سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ
إحسان إلهي ظهير



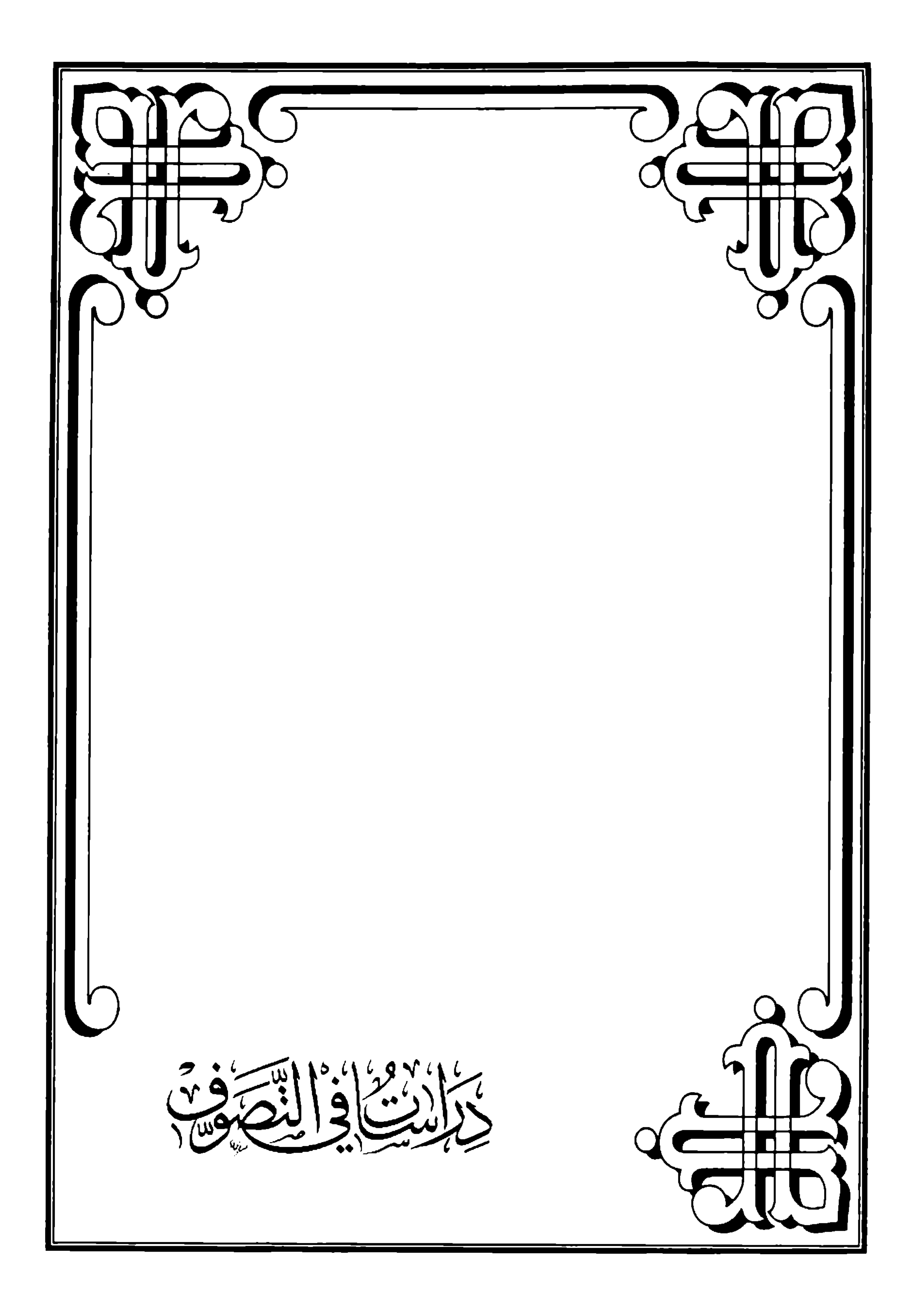
دراسات في التصوف

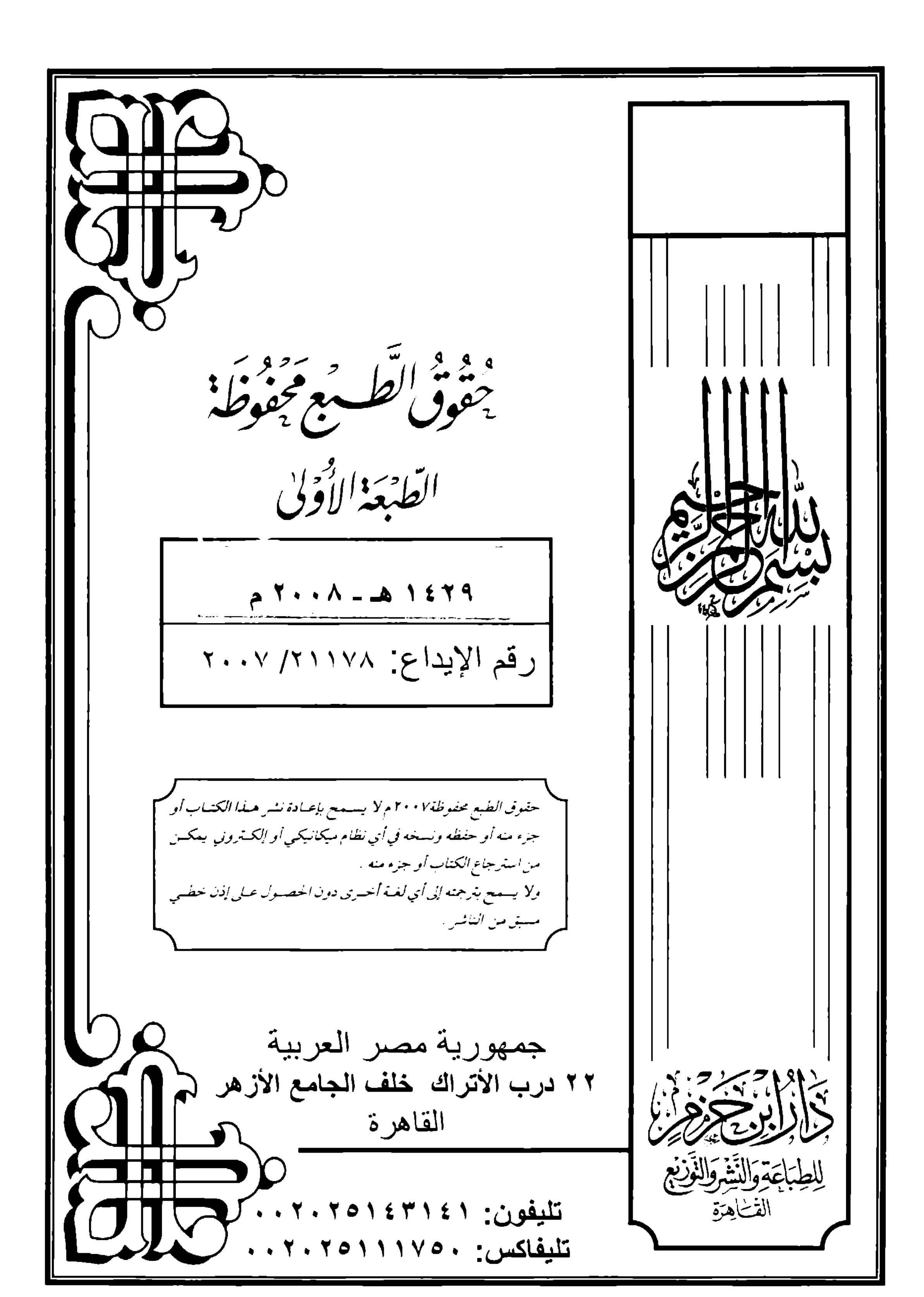


تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
إحسان إلهي ظهير
١٣٦٠ - ١٤٠٧هـ
١٩٤١ - ١٩٨٧م

تقديم
الدكتور سيد بن حسين العفاني

دار ابن حزم
القاهرة


دراسات في التصوف



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع: ٢١١٧٨/ ٢٠٠٧

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة

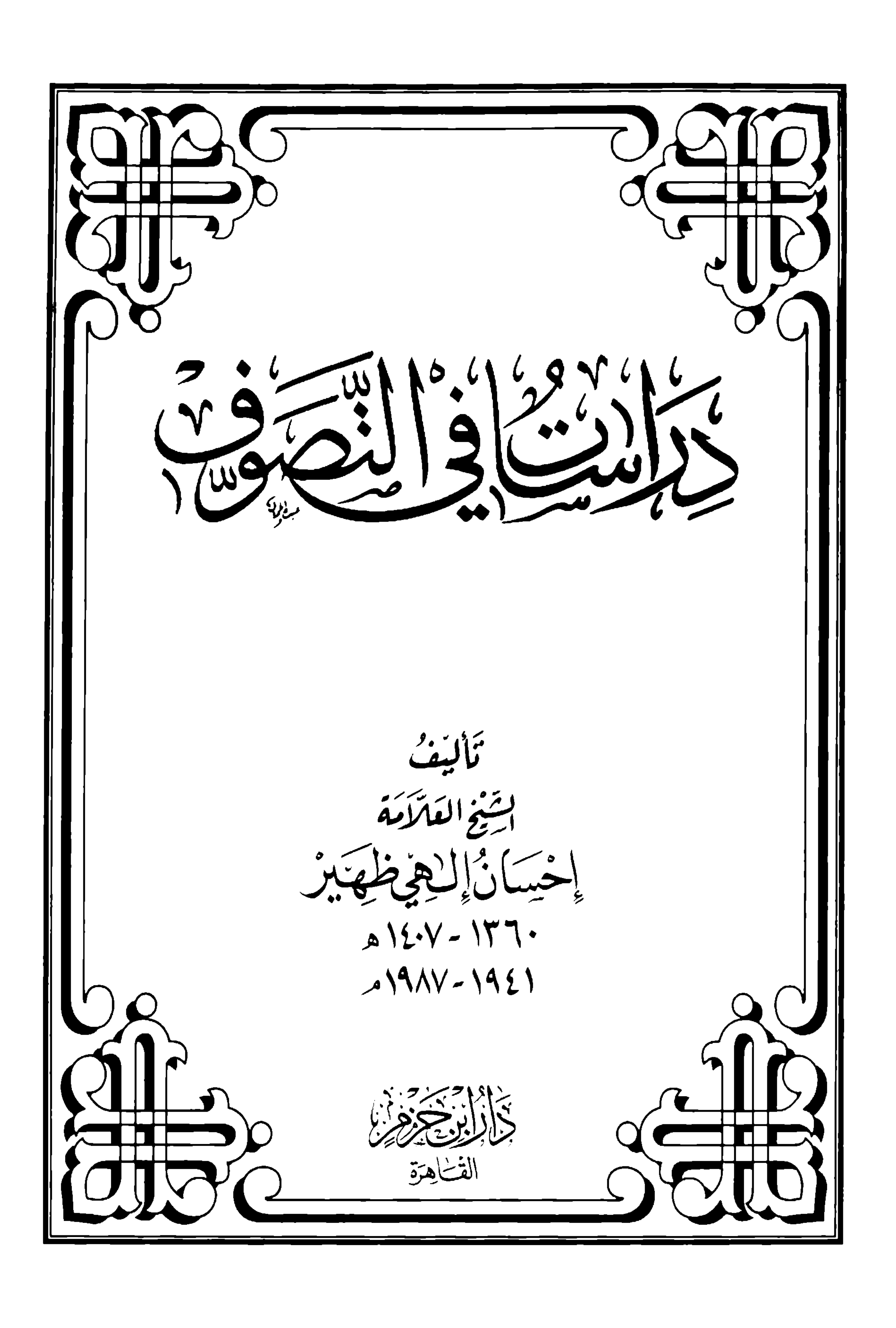
جمهورية مصر العربية

٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠



دراسات في التصوف

تأليف

الشيخ العلامة

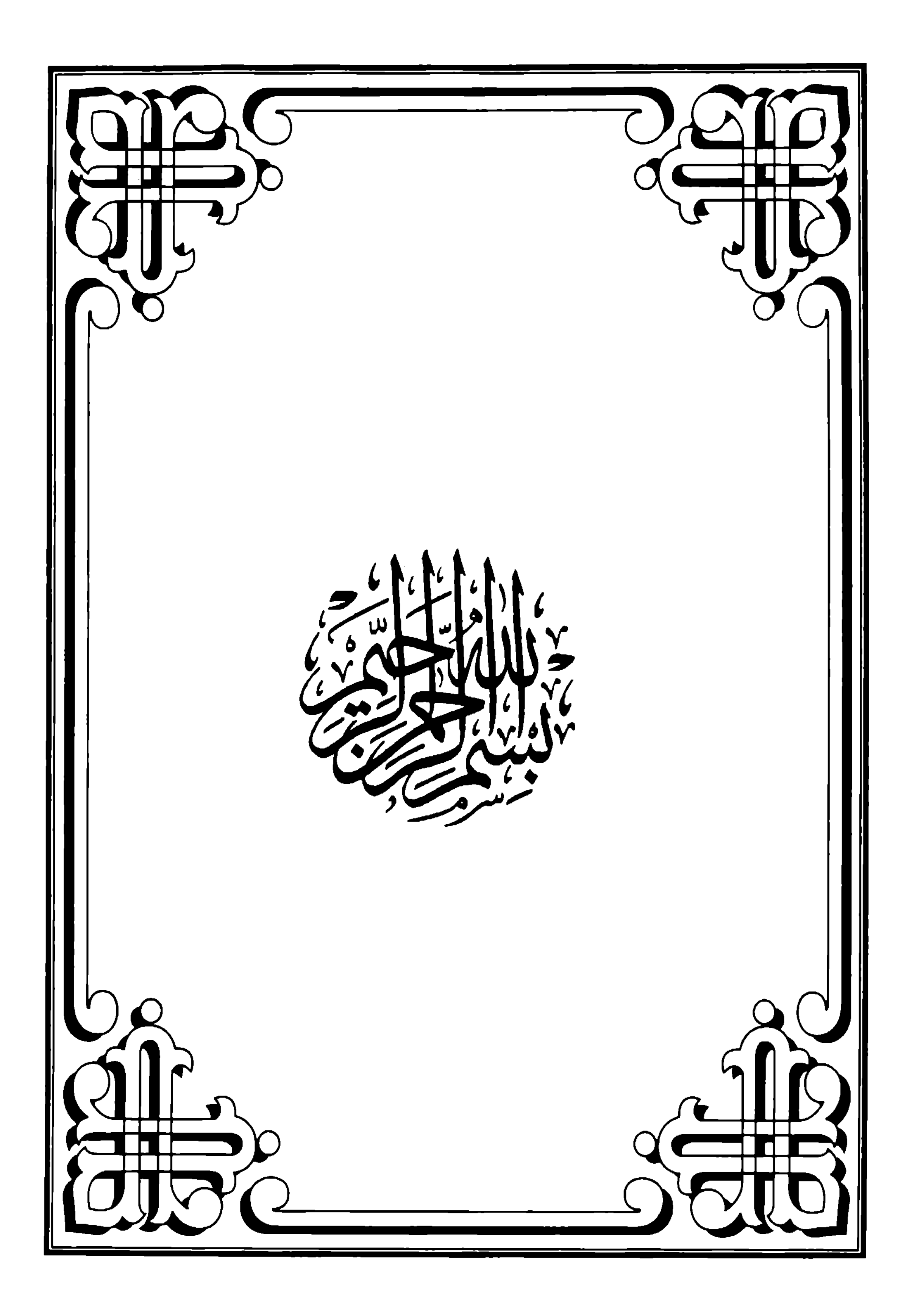
إحسان إلهي ظهير

١٣٦٠ - ١٤٠٧ هـ

١٩٤١ - ١٩٨٧ م

دار ابن حزم

القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة بقلم
الدكتور/ سيد حسين العفاني

الحمد لله **وكفى وسلام على** عباده الذين اصطفى وبعد،

فهذه ترجمة **لفارس نبيل من فرسان•أهل** السنة والجماعة، وعالم باكستان الكبير الشيخ إحسان **إلهي ظهير. وتعجز الكلمات أن توفيه حقه وقدره في نفوسنا.**

*** العالم الرباني المجاهد شيخ علماء باكستان:**

الشيخ إحسان إلهي ظهير (١٣٦٠- ١٤٠٧هـ) ألذي فضح الرافضة والقاديانية والبابية والبهائية والإسماعيلية والنحل المارقة:

حفظ الشيخ إحسان إلهي ظهير القرآن في سن التاسعة، ودرس علومه في الجامعة الإسلامية بمدينة ججرانوالا، ودرس كتب الحديث النبوي على يد الحافظ محمد جوندلوي- شيخ العلامة عطا الله حنيف- وذلك في مدينة فيصل آباد. ودرس الفلسفة والمنطق على يد الشيخ شريف الله حتى برع فيها، ويظهر ذلك من خلال ردوده العلمية في مؤلفاته التي يرد فيها على الملل والنحل والعقائد.

تنقله في الدراسات الجامعية والعليا ومناصبه:

١- حصل على ليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان ترتيبه الأول على جميع طلبة الجامعة، وحصل على نسبة ٩١%، وذلك في عام ١٩٦١م.

٢- بعد نجاحه في الجامعة الإسلامية رجع إلى بلاده باكستان، والتحق بجامعة البنجاب بكلية الحقوق والعلوم السياسية، وحصل على الليسانس.

٣- ثم حصل في الدراسات العليا على الماجستير في الشريعة، وفي اللغة العربية والفارسية والأردية.

٤- رئيس تحرير مجلة ترجمان الحديث التابعة لجمعية أهل الحديث بلاهور، والفاترسية والأردية.

٥- مدير تحرير مجلة أهل الحديث الأسبوعية.

٦- زاول الخطابة، ومناظرة المنحرفين، وكان قوي الحجة له قدم راسخة في المناظرة.

٧- كان خطيبًا بارعًا شديدًا في نشر دعوته[١].

* الشيخ القدح المعيي في جهاده في الدعوة ونشر السنة، وقمع البدعة، وبيان أباطيل أهل الزيغ والانحراف... وقلمه المبارك وكتبه القيمة أشد وقعًا من السهام في نحور أهل الضلال من أصحاب الملل الفاجرة المارقة والغلاة، بارك الله في هذه الكتب وجاب الدول لفضح هذه النحل وألقى محاضرات بالكويت، والجامعات السعودية وأيام موسم الحج، وألقى ندوات ومحاضرات بالعراق، وأمريكا، وزار بريطانيا ومصر وإيران للبحث عن كتب ومصادر القاديانية، والبهائية والشيعة لتوثيق ما كتبته هذه الفرق من كتبها. وزار المغرب وتونس وأسبانيا وفرنسا بحثًا عن الكتب والمصادر التي تتعلق بالإسماعيلية.

*** إخلاصه وتجرده يضعان القبول لكتبه:**

يفوح عبق الإخلاص من كتب الشيخ إحسان ومن دعائه نصرًا للسنة ونصحًا للأمة يقول- رحمه الله-:-

«... إني لأرجو الله تعالى العلي القدير أن ينفع به الخلائق، الأحباء والأباعد، وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم ويجعله ذخيرة لي في الدين والدنيا، وفي الحياة بعد الممات، وأن يحشرني في زمرة أصحاب نبيّه، وعظمة أصحابه ورفاقه وتلامذته، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعن أسلاف هذه الأمة وعلمائها ومحسنيها، جعلنا منهم، إنه سميع مجيب»[٢].

* ويقول: «... وأخيرًا أدعو الله العلي القدير أن ينصر الحق وأهله، ويخذل الباطل ومعتنقيه، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه»[٣].

---

(١) «إحسان إلهي ظهير- الجهاد والعلم من الحياة إلى الممات» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (ص ٧-٨) مكتبة ابن تيمية- الكويت.. وبقية الترجمة تحتوي معظم الرسالة مع تقديم وتأخير وزيادات.

(٢) «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير ٣٠ محرم ١٤٠٤هـ.

(٣) «الشيعة والقرآن» لإحسان إلهي ظهير ١٧ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

* ويقول- رحمه الله-:

«... إننا حين نكتب ما **نكتب قاصدين هذا أو ذاك خدمة** ولا حتى للعلم وغير العلم، أو إرضاء لفلان، أو إغضابًا **لفلان، بل نكتب ما نكتب خدمةً** للإسلام، وذودًا عن حرماته ومقدساته، نافين عنه تحريف الغالين، **وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين عصبية** له وغيرةً عليه، رادين على من يريد **تشويه** صورته النقية الصافية **وتبشيع وجهه المضيء** المنير بخرافاته وترّهاته، وببدعه وشركياته.

هذا هو الهدف، وهذه هي الحقيقة من البحث والكتابة في الفرق المنحرفة، **والطوائف الباغية الخارجة** على الإسلام. فما كتبنا عنهم حتى اليوم **إلا ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة. وما علينا إلا البلاغ المبين، والله ولي التوفيق فهو حسبي ونعم الوكيل**»(١).

* ويقول في زيارته لمصر والتي أثمرتِ كتابه «الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبدالواحد وافي» في ٢٦/ ١١/ ١٤٠٤هـ- ١٤/ ٨/ ١٩٨٤م:

«... أدعو الله تعالى القدير أن يوفقني لأداء هذه المهمة خلال يومين قبل مغادرتي مصر الطيبة، وأن يلهمني الرشد والصواب. وأخيرًا أتوجه إلى علماء مصر والأزهر خاصة، مجيبًا بهم وداعيًا إياهم أن يقوموا بواجبهم الديني ودورهم الذي تحتم عليهم دفاعًا عن شريعة الله ودينه الذي ارتضاه لنفسه دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

لقد قدمنا ما كان في وُسْعنا وذخرنا مع أننا جئنا إلى مصر ببضاعة مزجاة فعليهم أن يوفوا الكيل ويتصدقوا بعلمهم على المسلمين، ويردوا عنهم كيد المبطلين المنتحلين، والله ولي النعم وهو ملهم التوفيق، وصلى الله على رسوله خير خلقه محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه الأخيار ومن تبعهم إلى يوم الدين»(٢).

* ويقول: «... وأرجو الله العلي القدير أن يخلص نياتنا لوجهه الكريم ويجعلنا مدافعين عن حوزة العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم إنه سميع مجيب»(٣).

---

(١) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير ١٢ شوال ١٤٠٥هـ.

(٢) «الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبدالواحد وافي».

(٣) المصدر السابق.

*** مناظراته ومناقشاته:**

بعد دراسات متعمقة ومستفيضة لجميع الفرق المنحرفة طيلة السنوات الماضية، وبعد إطلاع واسع على هذه الأفكار والعقائد، ومعرفة مبادئها وأهدافها المخربة استطاع الشيخ إحسان بفضل الله تعالى أن يوقف هذه الدعوات عند حدِّها، ويبطل كثيرًا من معتقدات وأفكارها؛ وذلك من خلال المناظرات والمناقشات التي جرت بينه وبين دعاتها ورجالها.

ومن هذه الطوائف: طوائف الخرافيين، والمقلدين، والمعتصبين، والاشتراكيين، والشيوعيين، والشيعة، والقاديانيين، والنصارى، والبهائيين. فسجن من جراء ذلك مرات عدة.

*** قيمة كتبه ومؤلفاته:**

حين يتجول الإنسان في بساتين كتُب الشيخ إحسان تلوح أمام ناظريه كلمة الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب «الاعتصام» للشاطبي: «ادخل دار الكتب الخديوية، وارم ببصرك إلى الألوف من المصنفات في خزائنها، تر أن كثرتها قلة، وكثيرها قليل؛ لأن القليل منها هو الذي تجد فيه علمًا صحيحًا لا تجده في غيره؛ لأنه مما فتح الله به على صاحبه دون غيره» وايم الله لقد كانت كتب الشيخ إحسان من هذا القليل.

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يُقال له قليلُ

وقد اهتمت الأوساط العلمية والحكومات بما كتبه الشيخ إحسان لما فيها من دراسات مهمة ومفيدة ومتعمقة لعقائد هذه الفرق وأفكارها، ومفيدة لكل مهتم في دراسة الفرق.

فهذا الملك فيصل- رحمه الله- قد طلب من المختصين في السعودية شراء كتب الشيخ إحسان إلهي وتوزيعها على حسابه الخاص في أفريقية وآسية وأوربة. واهتم الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس إدارات الفتوى والتشريع والإرشاد والدعوة، ورئيس الجماعة الإسلامية سابقًا كذلك. والشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل بالمملكة العربية السعودية. والشيخ محمد بن علي الحركان -رحمه الله- الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي،

والشيخ محمد عبدالله المطلق سفير السعودية في الباكستان، والشيخ الشربتلي في مكة المكرمة، والمراكز **الإسلامية في جميع** بلدان العالم، والمكتبات العامة والتجارية.

*** مؤلفاته باللغة العربية:**

(١) الشيعة والسنة: فرغ منه وطبع في ١٨ ربيع **الثاني ١٣٩٣هـ ١٩٧٣**م.

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في الأوساط العلمية، والدينية، وأزال **النقاب عن الوجه الحقيقي** للتقية المصطنعة بالكذب والافتراء، وأبان حقيقة هذا **المعتقد: في الله، وفي** الرسول عليه السلام، وفي الصحابة والأئمة، كما بين **حقيقة معتقد هؤلاء في كتاب** الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه **ولا من خلفه، الكتاب المعجزة العظيمة التي** جاء بها النبي عليه السلام والباقية إلى قيام الساعة.

وللمرة الأولى في تاريخ التأليف في الملل والنحل يؤلف كتاب بهذا التفصيل الذي لم يسبق إليه، بالمراجع المستندة، والمصادر المعتمدة، والكتب الموثوقة لدى القوم أنفسهم، مع ذكر العبارات التي احتجوا بها واستشهدوا فيها وبالصحفات والمجلدات والطبعات فجاء الكتاب لا نظير له في المؤلفات الحديثة.

(٢) الشيعة وأهل البيت: طبع عدة طبعات آخرها الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

وهو يتحدث عن حقيقة هؤلاء الذين يتحدثون ويزعمون أنهم يحبون آل البيت وموالاتهم، وتبرهن الأدلة على أنهم أشد الناس عداوة لأهل البيت وسنة النبي عليه السلام، كما يبرهن الشيخ في الكتاب ليس فقط على مخالفة أهل البيت بل إهانتهم بتهم وأقاويل وتلفيقات أهل البيت منها براء. فمن كان في بيته هذا الكتاب فقد عرف حقيقة ادعائهم حبّ آل بيت النبي ﷺ الذي هو في الحقيقة طعن لهم وإهانة.

(٣) الشيعة والتشيع: فرق وتاريخ. يعتبر من آخر الكتب التي ألفها الفقيد في هذه الملة وهي سلسلة ليست بالكثيرة- أربعة كتب- ولكنها في الحقيقة

تغني طالب العلم الباحث عن هذه الملة وكتبها من عقدية وتاريخية، بل إن المؤلف -رحمه الله- عندما أظهر ما في كتب هذه الملة من الزيغ والضلال الذي لا يقبله العقل السليم حتى من الشيعة، جعلهم يفكرون ويتعقلون ويتبصرون ويدققون النظر لتمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ في مذهبهم وقد تميزت الكتب الأربعة بعدم التكرار والمشابهة عما في الأخرى.

وميزة هذا الكتاب أنه يشتمل مع تاريخ التشيع والشيعة تغيير التشيع الأول وتبدل الشيعة الأولى وفرقها التي حدثت ونشأت بهذا الاسم، وانقرضت أو بقيت، ومطاعنها على أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما عثمان ومعاوية وغيرهما رضي الله عنهم والرد عليها ردًّا علميًّا ومنطقيًّا.

(٤) **الشيعة والقرآن**: يفضح الشيخ إحسان موقف الشيعة من القرآن، وقولهم بتحريف القرآن ونسبة ذلك إلى كبار أئمتهم من خلال كتبهم والمصادر الشيعية حتى لا تنطلي التقية الشيعية على السذّج من أهل السنة.

(٥) **الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبدالواحد وافي**: في كتابه «بين الشيعة وأهل السنة» ٢٦/ ١١/ ١٤٠٤هـ- ٢٤/ ٨/ ١٩٨٤م.

موضوعه أن أحد الكتاب من الدكاترة المصريين قد ألف ردًّا على الشيخ إحسان إلهي بعد صدور كتابه «الشيعة والسنة» أسماه «بين الشيعة وأهل السنة» يناصر فيه مذهب الشيعة، وأن مذهبهم لم يكن بعيدًا كل البعد عن مذاهب أهل السنة، ولم تكن وجوه الخلاف بينه وبينهم لتزيد كثيرًا عن وجوه الخلاف بين أهل السنة بعضهم مع بعض.

كيف يسوغ له أن يبرئ ساحتهم من الاعتقادات التي يحملونها، ويدينون بها؛ وهي أساس مذهبهم وديانتهم، بكل سذاجة وبكل طيبة، وبكل جرأة ملتمسًا لهم الأعذار التي لم يلتمسوها لأنفسهم قط، ومخترعًا لهم المعاذير التي لم يرضوها لهم، في بلدة سنية خالية من الشيعة والتشيع، بعد أن ذاقت الأمرين في عصر من ماضيها؛ أيام تسلُّط طائفة الفاطميين على السنة وذبحهم لهم. ولقد شهدت في وقتهم مساجد أهل السنة وجوامعهم ومجالسهم العديدة شتائمهم وسبابهم لسادات الصحابة والخلفاء الراشدين أصحاب محمد ﷺ

وذلك لقرون طويلة.

إنه لمن المؤسف أن تنطلي **على كثير من أهل** السنة السذج مكايد الرافضة وحيلهم ودموع التماسيح التي **تصدر عنهم والبكاء على مقتل** الحسين رضي الله عنه وحب آل البيت. والتاريخ يروي لنا **الحقائق التي تدينهم وتبين زيف هذا الحب** المصطنع المخادع.

لقد جاء هذا الكتاب ردًا على هذا المخدوع بالدفاع عنهم لعله يساتير به **ويستفيد منه، ولا يجعل** العجلة الأساسية ديدنه في المستقبل؛ لأنَّ بها موالاة من يتبرأ **الله تعالى من أفعالهم** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

(٦) الإِسماعيلية- تاريخ وعقائد- فرغ منه وطبع في ١٢ شوال ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

قسم الكتاب إلى قسمين: قسم تاريخي ويشتمل على أربعة أبواب، وقسم عقائدي وهو القسم الأكبر في الكتاب.

*** ويشتمل على أبواب خمسة:**

١- الإسماعيلية ومعتقداتها.

٢- الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد ﷺ.

٣- الإسماعيلية والتأويل الباطني.

٤- ماهية الدعوة ونظامها.

٥- الإسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات.

ولا بد من أمور يجب علينا ذكرها والالتفات إليها، قد ناقشها هذا الكتاب، يشتمل على ذكر إسماعيلية الدور الأول وعقائدهم ومعتقداتهم وتاريخهم وأخبارهم، ومنهم إسماعيلية دور التكوين والنشأة إلى آخر دور الظهور الذي ينتهي بقتل الآمر بن المستعلي بن المستنصر، سنة ٥٢٤ هـ الذي يعبر عنهم بالإسماعيلية إلى الطوائف والفرق المختلفة، وهو ينتهي إلى موت المستنصر سنة ٤٨٧ هـ وتولية المستعلي بالخلافة الإسماعيلية مع ذكر الافتراق الذي وقع في الإسماعيلية بدون التطرق إلى تفاصيلها لانتهاء دور الظهور عند

جميع الأطراف الإسماعيلية، ولم يشمل الكتاب إسماعيلية الدور الجديد الذي يبدأ «بالحسن الصباح» في فارس «وقلعة الموت» وغيرها من القلاع الجبلية، و«بالدعوة الطيبة» تحت رعاية الصليحيين في اليمن والعقائد التي تجاهر بها كل من الطائفتين أولاً، ثم الطوائف الأخرى المتفرعة منهما.

جاء هذا الكتاب مبتكرًا في موضوعه حيث حصل مؤلفه على وثائق ومستندات من كتب القوم وغيرها تدينهم لم تقع في حوزة أحد من قبل أبدًا.

(٧) البابية- عرض ونقد القسم الأول-:

* يقول الشيخ: وأما البابية والبهائية فلم أزل حريصًا على اقتناء العادات عنهما وجمع الكتب، مشتغلاً بالمناظرات والمناقشات مع رجالهما ودعاتهما، وبكتابة الردود القصيرة في مجلتي، وهذا مع انهماكي في المعارك السياسية بجانب المعارك الكلامية مع الطوائف المنتشرة الكثيرة في بلادي من الخرافيين والبدعيين والمقلدين والمتعصبين، والاشتراكين والشيوعيين، والشيعة، والقاديانيين، والنصارى وغيرهم.

لنا في كل يوم معدٌ سبابٌ، أو قتالٌ أو هجاءُ، فالبابية والبهائية لم تؤسسا إلا لمخالفة هذا الدين القويم، والصراط المستقيم، وللدعاية الباطلة ضد الإسلام، وأنه لا يتلاءم مع هذا العصر ومتطلباته وحاجته، وإن البهائية هي وحدها التي تطابق مقتضيات العصر فكان من الضروري أن تبين الحقيقة الصادقة؛ فموازنة الإسلام ومقارنته مع البهائية إهانة له وانتقاصة لهذا الدين العظيم حيث إنه لا توافق بين الحق والباطل، وبين العلم والجهل، وبين الظلمات والنور: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩- ٢١].

(٨) القاديانية- فرغ منه وطبع في ٢٧ رمضان ١٣٨٦هـ المدينة المنورة، وبعد، فقد أنشئت في القرن العشرين فئتان خبيثتان بإيعاز من الاستعمار الكافر لتحويل المسلمين عن قبلتهم وكعبتهم، ومهوى أفئدتهم ومسكن مهجهم، مكة المكرمة، وحصرهم في الأوطان التي يسكنونها والبلدان التي يعيشون فيها لتقطع تلك الرابطة الوثيقة التي تربط ملايين البشر من الشرق والغرب، ومن

الشمال إلى الجنوب، **الرابطة** التي يتألم **لأجلها** من يسكن في بخارى وسمرقند وغيرها من بلدان **المسلمين**.

وقد مرّ بنا ذكر طرف من **عقائدهم الفاسدة**.

* ولقد وجه الشيخ إحسان إلهي في الكتاب نداء **إلى الجمعيات الإسلامية وإلى كل من** يهمه أمر الإسلام والمسلمين، وإلى **رابطة** العالم الإسلامي **بمكة، والمؤتمر الإسلامي** العالمي، ومجلس البحوث الإسلامية بالقاهرة، **والجامعة الإسلامية بالمدينة،** وغيرها من الجمعيات والجامعات؛ بأن يعملوا على **إنقاذ المسلمين من مخالب هؤلاء** الكفار المرتدين- في العالم الإسلامي عامة **وفي أفريقية وأوربة خاصة، حيث يشكل القاديانيون خطرًا كبيرًا على** الإسلام والمسلمين **بمساندة الاستعمار وأعداء الملة الحنفية الذين يمولونهم** ويمدونهم بكل الإمكانات والوسائل لكي يبعدوا المسلمين عن الإسلام الحقيقي وما فيه من عزة وكرامة باسم الإسلام خداعًا ومكرًا لقلة وجود العلماء المسلمين الحقيقيين، وشغور مناصبهم في تلك البلاد وجهل أكثر المسلمين بحقيقة القاديانية الأصيلة وأهدافهم وغفلة العالم الإسلامي عن أفريقية في الوقت الذي تنشر القاديانية أكثر من خمس مجلات راقية بمعونة أعداء الإسلام للدس، وإفساد عقائد المسلمين، ونشر أفكار الكفر بينهم. بينما لا توجد مجلة واحدة للمسلمين في أفريقية كلها تجابههم وتبين فساد عقيدتهم وهذا مع مئات المبلغين القاديانيين الذين يتجولون من أدنى أفريقية إلى أقصاها غير القارات الأخرى. وقد أقاموا سبّعا وأربعين مدرسة، وبنوا ستين ومائتي مسجدًا هناك. هذا غير ما يتبع ذلك من المكتبات العامة والخاصة والمؤلفات والنشرات وترجمة القرآن إلى لغات شتى كما فتحوا في الآونة الأخيرة المستشفيات والدور الاجتماعية في مختلف أنحائها، وأصبح عدد أتباعهم حسب نشراتهم الإحصائية أكثر من مليوني شخص في مدة لا تتجاوز خمس عشرة سنة.

(٩) البريلوية عقائد وتاريخ ١٢/ ٦/ ١٤٠٣ هـ - ٢٣/ ٣/ ١٩٨٣م:

البريلوية جديدة من حيث النشأة والاسم، ومن فرق شبه القارة الهندية من حيث

التكوين والهيئة، ولكنها قديمة من حيث الأفكار والعقائد، مثل الفرق المنتشرة الكثيرة في العالم الإسلامي بأسماء مختلفة، وصور متنوعة، من الخرافيين وأهل البدع.

عندما يقرأ القارئ هذا الكتاب في أي قطر من الأقطار سيجد أن هذه الفرق شبيهة بالفرق الموجودة عنده في بلاده ولكنها بأسماء أخرى مختلفة، فهي كالتيجانية والسنوسية والمهدوية والقاديانية والسهروردية والنقشبندية والجشتية والرفاعية وغيرها من الفرق الكثيرة المنتشرة في العالم الإسلامي.

* يقول المؤلف: عندما ألفت هذا الكتاب عن هذه الملة قرأت ما قرابته ثلاث مائة مؤلف عنها حتى أضحى هذا الكتاب كما ترى.

فهذه الملة شأنها شأن الملل الضالة الأخرى التي ادعت العصمة لمؤسيسها ومروِّجي باطلها. فهذا أحمد رضا زعيم هذه الطائفة ولد سنة ١٢٧٢هـ-١٨٦٥م ادعى أن قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ ينطبق عليه.

* ويقول عنه مريدوه: «إن البرِيلوي لم ينطق بلسانه المبارك بلفظة غير شرعية، والله عصمه من كل زلة».

وقالوا: «إن الله صان قلمه ولسانه من الخطأ».

وقالوا: -وما أقبح ما قالوا- إن الحضرة الأعلى -أي البريلوي- كان في يد الغوث الأعظم - يعني الشيخ عبدالقادر الجيلاني - كالقلم في يد الكاتب. والغوث الأعظم في يد رسول الله محمد ﷺ كالقلم في يد الكاتب، والرسول في الحضرة الإلهية ما ينطق عن الهوى.

وقالوا: «إن رضا الله في رضا الرسول ورضا رسول الله في رضى البريلوي».

وقالوا: «عن وجود البريلوي كان آية من آيات الله المحكمات».

(١٠) **البهائية**- نقد وتحليل ٢٤/ ١٢/ ١٩٧٥م.

ولد مؤسس البهائية ومنشئها المرزة حسين علي في قرية «نور» من قرى المازندران من إيران، يوم ٢ محرم سنة ١٢٣٣هـ ١٢/ ١١/ ١٨٨٧م.

تلقى العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير حتى بلغ الثالثة عشرة، ثم اشتهر

بالعلوم المتنوعة فكان يتكلم في أي موضوع شاء ويحل أي معضلة تعرض له، ويتباحث في المجامع مع العلماء ويفسر أعوص المسائل الدينية وأوتي جدلاً ولحنًا، وكانت له معرفة واسعة وإلمام تام بالروايات الشيعية وكتبها، ولا سيما الكتب التي تروى عن المهدي والمهدوية، كما كان مطلعًا على كتب الصوفية والباطنية والفلاسفة القدامى والفلسفة السفسطائية القديمة مع دعواه الكذب «ما قرأت ما عندهم من العلوم وما دخلت المدارس فاسأل المدينة عني كنت فيها لتوقن بأني لست من الكذابين» والدارس لكتبه، والباحث فيها، يجد أنه أمام مقتطفات صوفية، وسرقات باطنية، ومقتبسات كلامية، وعبارات طويلة مسروقة من كتب القدامى.

علاقاته بالاستعمار البريطاني: كان له اتصالات بالدول الأجنبية كبريطانية التي أعانته في دعواه؛ وذلك لصرف المسلمين عن الدين الصحيح الحق، وصرفت عليه الأموال الطائلة، وسافر إلى بريطانية وإلى روسية وتركية وغيرها من البلاد لترويج نحلته الباطلة.

* جاء كتاب الشيخ إحسان إلهي لإعلام المسلمين بخطر هذه الفرق الباطنية الخبيثة الباطلة التي تحاول أن تندس في صفوف المسلمين لتمزيق شملهم، وتشتيت كلمتهم وتمزيق صفوفهم. وبالفعل؛ لقد كان لهم ما كان حتى صدوا كثيرًا من المسلمين عن دعوة الحق وعن الكتاب والسنة في الهند، وباكستان، وإفريقية، وغيرها من البلاد. ولا زالوا يفعلون. لهذا جاء الكتاب صرخة مدوية لتحذير الحكومات الإسلامية والعربية من خطر خطر هؤلاء ومن ارتباطهم بالصهيونية العالمية التي تمدهم بالمال والعتاد لترويج فكرتهم وتسود.

بلغت مصادر الشيخ إحسان إلهي في هذا الكتاب مائتين وثمانية وسبعين مرجعًا عربيًا وأجنبيًا ومن كتب القوم.

(١١) **الباطنية بفرقها المشهورة.**

(١٢) **فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها.**

(١٣) **النصرانية**- وكان يضع اللمسات الأخيرة عليه.

(١٤) **التصوف**- المنشأ والمصادر- الجزء الأول- ١٤٠٦هـ.

(١٥) **التصوف**- الجزء الثاني- وهذا آخر مؤلفاته، انتهى منه قبل وقوع الحادث بسبع ساعات في مدينة سيالكوت في ولاية البنجاب.

*** أعداد مراجعه في كتبه:**

١- القاديانية: رجع فيه إلى (١٥٠) مرجعًا.

٢- البريلوية: رجع فيه إلى (١٨٠) مرجعًا.

٣- البابية: رجع فيه إلى (١٧٤) مرجعًا.

٤- الشيعة والسنة: رجع فيه إلى (٨٨) مرجعًا.

٥- الشيعة والقرآن: رجع فيه إلى (٨٤) مرجعًا.

٦- الشيعة وأهل البيت: رجع فيه إلى (٢٣٠) مرجعًا.

٧- الشيعة والتشيع: رجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

٨- الإسماعيلية: رجع فيه إلى (٣٦٢) مرجعًا.

٩- الرد الكافي: رجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

١٠- البهائية: رجع فيه إلى (٢٧٨) مرجعًا.

*** مؤلفاته باللغات الأخرى:**

١- القاديانية: بالإنجليزية.

٢- الشيعة والسنة: بالفارسية.

٣- كتاب الوسيلة: بالإنجليزية والأردية.

٤- كتاب التوحيد.

٥- الكفر والإسلام: بالأردية.

٦- الشيعة والسنة: فارسي- إنجليزي- تايلاندي.

*** نسأل الله أن يتقبَّل الشيخ إحسان إلهي ظهير في عداد الشهداء:**

في الساعة ١١ ليلاً يوم ٢٣/ ٧/ ١٤٠٧هـ بجمعية أهل الحديث بلاهور.. وفي ندوة العلماء «أهل الحديث» في حضور ٢٠٠٠ شخص دوّت انفجارات بالمكان أصيب الشيخ إحسان إلهي ظهير.

وقُتل من العلماء في هذه الحادثة عشرة غير الشيخ إحسان وأصيب ١٠٠ شخص ١٤ منهم في حالة خطيرة، وسقطت بعض العمارات والبيوت القريبة من مكان الحادث وخيم الحزن العام على باكستان ومدنها، وأُغلقت بعض المحال

التجارية في لاهور، وإسلام آباد وكراتشي، وأذاع راديو الرياض الخبر، وعرضت السعودية عن طريق سفيرها طلب معالجته في مستشفيات الرياض.

جيء به من باكستان إلى المملكة العربية السعودية للعلاج في مستشفيات الرياض بناءً على طلب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رئيس إدارات الإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، وذلك عندما كلم الملك فهدًا عن إحسان؛ فأمر الملك بطائرة من باكستان إلى الرياض، ولكن وفاته المنية قبل أن يستكمل علاجه وفاضت روحه إلى بارئها في الساعة الرابعة من صباح يوم الإثنين ١ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ٣٠ من مارس ١٩٨٧م، فغُسِّل هناك، وصلى عليه الشيخ عبدالعزيز بن باز وجمع كبير من محبيه، وسُمِع البكاء والنشيج من الناس حزنًا على المجاهد الكريم، ثم نُقِل جثمانه بالطائرة إلى المدينة المنورة حيث دفن في مقبرة البقيع مع الصحابة وآل البيت وأمهات المؤمنين، فنعم المكان ونعم جار القبر ونسأل الله أن يرزقه الفردوس الأعلى، وأن يجعله من أهل عليين.

* **من ذكرى النوادر تستمد العبر:**

* قال الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني:

«نعم، من ذكرى النوادر من الأشياء والحكم والأفذاذ والشجعان تستمد العبرة، وتستلهم الفكرة؛ فنادر الشيء هو الباقي ذكره في النفوس والعقول، وعلى منواله يستفيد الأحياء من الذي تركه».

كان إحسان إلهي ظهير قليلًا من الرجال في هذه العصور أمثالُه، وكان شجاعًا في قوله الحق، باحثًا عن الحقيقة، ناصحًا لأمته، مرددًا كلام نبيه: **«الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»**، قالوا: لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**. مبينًا عوار الخبث والخبثاء لأكثر من عشرين سنة. وقف مع الحق، ونُصْرته والقيام به، لا تهمه في نشره لومةُ لائم ولا صرخة جاهل، ولا عواء جبان، ولا تهديد عدو؛ فكلفه ذلك حياته، فهل مَنْ وضع حياته لنصرة الحق ولا يعرف ذلك؟ اللَّهم إلا الذي حمل الفكرة، ولا يعرف ماهية تلك الفكرة؛ فحامل الفكر لا بد أن يكون ناصرها

ومؤيدها، والمؤمن بها وناشَرها والمجاهرَ بها؛ وإلا فكيف تنتشر الفكرة؟ وكيف تقمع البدعة؟ إذا لم يكن حاملها بشجاعة إحسان! وتنقيب إحسان لأعداء الفكرة نجاةٌ لحملة الفكرة (وبينهما أمور مشتبهات فاتقوا الشبهات كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)، إحسان- رحمه الله- أراد أن يحمي قومه من أن يقعوا في حبائل الشيطان؛ فأوضح لهم خبث الأفكار التي ينادي بها أربابها، أراد أن يحذر أمته وبني قومه من خطورة الوقوع فيها لأنها النار التي تلظى، والشر الذي ليس وراءه إلا الشر «النجاء النجاء إني أنا النذير العريان».

وضع الجبناء الذين لا يقوون على صد اندفاع الحق، وسطوع شمسه، المتفجرات ليُسكتوا صوتَ إحسانٍ بالموت، ونسوا أن إحسان الآن بدأ يتكلم، انهالت الناس والجماهير على كتب إحسان تطلبها من كل مكان، وفي كل مكتبة، وبدأ القراء يقرءون بعد أن كانوا لا يقرءون، والآن بدءوا يفهمون بعد أن كانوا لا يتعمقون في القراءة، الآن بدأوا يحذرون بعد أن كانوا يأمنون.

الجبان جبان وإن عز، والنفيس نفيس وإن قلَّ، فالعبرة بقيمة الأشياء.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم نافع، أو ولد صالح يدعو له».

بقيت الكتب تنهل منها الناس، وبقي من أبناء الشيخ إحسان، هشام، ابتسام، ومحتشم، وميمونة، ستناديهم كتب أبيهم أن يكونوا مثل أبيهم.

وأصبح واضحًا للمسلمين تمامًا ضلال الشيعة وفرقهم.

ورحم الله فضيلة الشيخ إحسان، وحسن ظننا بالله أن يتقبله في عداد الشهداء، وأن يرزقه الفردوس الأعلى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. سيد بن حسين العفاني



بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للشيخ إحسان إلهي ظهير ١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ

إحسان إلهي عالم باكستاني من أولئك الذين حملوا لواء الحرب على أصحاب الفرق الضالة، وبيَّنوا بالتحقيق والبحث.الأصيل مدى ما هم فيه من انحراف عن سبيل الله وحياد عن سنة نبيه، وإن ادعوا الإسلام وملئوا ما بين الخافقين نفاقًا وتقية.

ولد في «سيالكوت» عام (١٣٦٠هـ)، ولما بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن كاملًا، وأسرته تعرف بالانتماء إلى أهل الحديث، وقد أكمل دراسته الابتدائية في المدارس العادية، وفي الوقت نفسه كان يختلف إلى العلماء في المساجد، وينهل من معين العلوم الدينية والشرعية، حيث درس كتب الحديث النبوي الشريف على يد الحافظ محمد جوندلوي شيخ العلامة عطا الله حنيف، كما درس الفلسفة والمنطق والعقل على يد الشيخ شريف الله حتى برع فيها.

الجامعة والنبوغ الجامعي:

لقد حصل الشيخ على الليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان ترتيبه الأول على طلبة الجامعة، وكان ذلك عام (١٩٦١م)، وبعد ذلك رجع إلى باكستان وانتظم في جامعة البنجاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، وفي ذلك الوقت عُيِّن خطيبًا في أكبر مساجد أهل الحديث بلاهور، ثم حصل على الليسانس أيضًا.

وظلَّ يدرس حتى حصل على ست شهادات؛ ماجستير في الشريعة، واللغة العربية، والفارسية، والأردية، والسياسية، وكل ذلك من جامعة البنجاب، وكذلك حصل على شهادة الحقوق من كراتشي.

المناصب الوظائف والدعوة:

كان -رحمه الله- رئيسًا لمجمع البحوث الإسلامية بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة «ترجمان الحديث» التابعة لجمعية أهل الحديث بلاهور في باكستان، كذلك كان مدير التحرير بمجلة «أهل الحديث» الأسبوعية، وكان -رحمه الله- عظيم الشأن في أموره كلها: رجع يوم رجع إلى بلاده ممتلئًا حمسًا للدعوة الإسلامية.

وقد عُرض عليه العمل في المملكة العربية السعودية فأبى آخذًا بقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

يقول عنه الدكتور محمد لقمان السلفي في مجلة الدعوة:

«لقد عرفت هذه المجاهد الذي أوقف حياته، بل باع نفسه في سبيل الله أكثر من خمس وعشرين سنة عندما جمعتني به -رحمه الله- مقاعد الدراسة في الجامعة الإسلامية، جلست معه جنبًا إلى جنب لمدة أربع سنوات، فعرفته طالبًا ذكيًا يفوق أقرانه في الدراسة والبحث والمناظرة، وجدته يحفظ آلاف الأحاديث النبوية عن ظهر قلب، كان يخرج من الفصل ويتبع مفتي الديار الشامية الشيخ ناصر الدين الألباني، ويجلس أمامه في فناء الجامعة على الحصى يسأله في الحديث ومصطلحه ورجاله، ويتناقش معه، والشيخ رحب الصدر يسمع منه، ويجيب على أسئلته، وكأنه لمح في عينيه ما سيكون عليه هذا الشاب النبيه من الشأن العظيم في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله بالقلم اللسان».

وكان الشيخ -رحمه الله- يتصل بالدعاة والعلماء في أيام الحجِّ في شتى

بقاع الأرض، يتداول معهم الموضوعات الإسلامية والمشاكل التي يواجهها المسلمون.

دعاة الضلالة والحقد:

لكل مجاهد مخلص خصوم وأعداء، ولكل حق ضده من الباطل، وبما أن الشيخ كان سلفي العقيدة من المنتمين لأهل الحديث فقد جعله هذا في حرب فكرية دائمة مع الطوائف الضالة كالرافضة والإسماعيلية والقاديانية.

لقد كان يرفضها، ويردُّ على ضلالاتها، ويجابهها في كل مكان وكل منتدى، شأنه شأن كل مؤمن حقيقي الإيمان يعتقد في قرارة نفسه أن الكتاب والسنة هما الطريق الأوحد ولا طريق سواه لكل من أراد أن يكون من المنتمين لدين الإسلام، ويعتقد كذلك أن أديانًا تبنى على الكذب وتتستر خلف التُّرَّهات والأباطيل لجديرة بألا تصمد أمام النقاش، وأن تتضعضع أمام سواطع الحق ونور الحقيقة.

ولهذا الأمر طفق يلقي المحاضرات، ويعقد المناقشات والمناظرات مع أصحاب الملل الضالة، ويصنف الكتب المعتمدة على مبدأ الموضوعية في النقل والمناقشة والتحقيق، وكثيرًا ما كان يرد على المبطلين بأقوالهم، ويسعى إلى كشف مقاصدهم والإبانة عن انحرافهم وضلالهم، وفي كل ذلك كان يخرج من المعركة منتصرًا يعضده الحق، وينصره الله تعالى.

ولما أحسَّ به أهل الانحراف، وشعروا بأنه يخنق أنفاسهم، ويدحض كيدهم عمدوا إلى طريقة تنبئ عن جبن خالع عمدوا إلى التصفية الجسدية بطريقة ماكرة.

وفاته واستشهاده:

في لاهور بجمعية أهل الحديث وبمناسبة عقد ندوة العلماء كان الشيخ يلقي محاضرة مع عدد من الدعاة والعلماء، وكان أمامه مزهرية ظاهرة الرحمة والبراءة، وداخلها قنبلة موقوتة، وانفجرت لتصيب إحسان إلهي ظهير بجروح بالغة، وتقتل سبعة من العلماء في الحال، ولحق بهم بعد مدة اثنان آخران، وكان ذلك في (٢٣/ ٧/ ١٤٠٧هـ) ليلًا.

وبقي الشيخ إحسان أربعة أيام في باكستان، ثم نقل إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية على طائرة خاصة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله- واقتراح من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وأدخل المستشفى العسكري، لكن روحه فاضت إلى بارئها في الأول من شعبان عام (١٤٠٧هـ)، فنقل بالطائرة إلى المدينة المنورة، ودفن بمقبرة البقيع بالقرب من صحابة رسول الله.

آثاره:

بالإضافة إلى محاضرته في باكستان، والكويت، والعراق، والمملكة العربية السعودية، والمراكز الإسلامية في مختلف ولايات أمريكا، فقد كتب العديد من الكتب والمؤلفات التي سعى إلى جمع مصادرها من أماكن متفرقة كأسبانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران، ومصر، وإليك قائمة بأسماء تلك الكتب:

١- الشيعة والسنة (١٣٩٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٨) مرجعًا.

٢- الشيعة وأهل البيت (١٤٠٣هـ)، وهي الطبعة الثالثة، ورجع فيه إلى (٢٣٠) مرجع.

٣- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ورجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

٤- الإسماعيلية تاريخ وعقائد (١٤٠٥هـ)، ورجع فيه إلى (٣٦٢) مرجع.

٥- البابية عرض ونقد، ورجع فيه إلى (١٧٤) مرجعًا.

٦- القاديانية (١٣٨٧هـ)، ورجع فيه إلى (١٥٠) مرجعًا.

٧- البريلوية عقائد وتاريخ (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (١٨٠) مرجعًا.

٨- البهائية نقد وتحليل (١٩٧٥م)، ورجع فيه إلى (٢٧٨) مرجعًا.

٩- الرد الكافي على مغالطات الدكتور على عبد الواحد وافي (١٤٠٤هـ)، وجرع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

١٠- التصوف، المنشأ والمصادر الجزء الأول (١٤٠٦هـ).

١١- دراسات في التصوف وهو الجزء الثاني، وهذا آخر مؤلفاته، انتهى منه قبل وقوع الحادث بسبع ساعات في مدينة «سيالكوت» في ولاية البنجاب.

١٢- الشيعة والقرآن (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٤) مرجعًا.
١٣- الباطنية بفرقها المشهورة.
١٤- فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها.
١٥- النصرانية.
١٦- القاديانية باللغة الإنجليزية.
١٧-كتاب الوسيلة بالإنجليزية والأردية.
١٨- كتاب التوحيد.
١٩- الكفر والإسلام بالأردية.
٢٠- الشيعة والسنة بالفارسية والإنجليزية والتايلندية.

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، له الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء ويختار، وهو أعلم حيث يجعل من يشاء من عباده علم هدى وداعية فلاح، لا إله إلا هو الحكيم العليم.

وبعد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

لقد كان الأستاذ الكاتب المعروف الشيخ إحسان إلهي -رحمه الله- رغب مني أن أكتب مقدمة لكتابه «دراسات في التصوف» الذي أراد له -رحمه الله- أن يكون القسم الثاني من كشف التصوف والصوفية، ولبيان الفطرة التي درج عليها هذا المنهج، ومن أي مبدأ ظهر.

وليس بخافٍ أنه -رحمه الله- قد أسهم بقلمه وخطابته في مجال مكافحة البدع والمبتدعة إيما إسهام، كان لحماسه واندفاعه في دفاعه عن العقيدة أثره في بلاد الباكستان وغيرها، بما لا يجهله أحد من المهتمين برصد نشاط أهل البدع في عشر السنوات الماضية، وقد ألحَّ عليَّ بعد سفره الذي لم ألقه بعدُ، إلا على سرير الانتقال إلى الآخرة.

لقد كانت تربطني بالفقيد علاقة وطيدة، ترسخت أصولها على مرِّ الأيام، وكنت كثيرًا ما ألحُّ عليه بتوخي الحذر، وأن لا يفرق نشاطه؛ لئلا يكثر خصومه فيكيدوا له بكيد الشيطان؛ إذ الشيطان للإنسان عدو مبين، وأعوانه في إنفاذ مقاصده وبث فساده ونشر غوايته أنشط من سواهم، ولكن طبعه -رحمه الله- ونفسه المندفعة للحق - فيما يظهر لي - وحبُّه في فضح نوايا أهل البغي والفساد، واطلاعه على مقاصدهم الخبيثة؛ جعله لا يتأثر بعذل عاذل أو دعوة

إلى أناة في كفاح باطل

لقد كنت أخشى عليه كيد **أعدائه ومكرهم، لا سيما** بعد تطور وسائل الشر والفتك، وتفنن صانعي التدمير **بإحداث أفتك الوسائل وأمضاها**، غير أن خوفي عليه ونصيحتي له بالحذر لم يمنع من **إنفاذ الله قضاءه، وإنما هي حاجة في** النفس قضيتها، وقضاء الله وقدره أسبق من **ذلك**.

كان -رحمه الله- يظهر لي إحساسه بالمرارة من نشاط أهل التشيع في نشر **مذهبهم، وشدة تدليسهم** على العامة، وتجنبهم إثارة المشاعر في بداية أمرهم حتى **إذا استحوذوا على النفوس** بالخديعة تارة والإغراء تارة أخرى كشروا عن **أنيابهم في وجه خصومهم، وخرجوا على سجيتهم في عدائهم لمخالفيهم متسترين في بداية الأمر بثوب النفاق، لابسين بعد التمكن** ثوب الفاتك الشرس، وكان ينعي على أهل الحق كسلهم في سبيل نشر حقهم والدعوة إليه والدفاع عنه، وكنت أحرص على تعزيته وتسليته بمطالعة سير الدعاة إلى الله، وأن العاقبة للمتقين، وأن الغفلة والإخلاد إلى الدعة قد لا تطول بإذن الله، وأن عليه الصبر ومعالجة الأمور على أساس الواقع وما هو كائن.

لقد كان -رحمه الله- يحدثني كل مرة عن لقاءاته في سفراته، وتقبل الناس للحق وحاجتهم إلى تضحية في سبيل توعيتهم، فأبدي له أن ما يراه من استحسان وقبول من أدلة توفيقه وأسباب تسليته، وأحثه على الصبر والأخذ بالحكمة والرفق -رحمه الله- رحمة واسعة.

لقد كان أمله أن تكون كلماتي عن كتابه هذا وبيان ما فيه من حق وما يحذر فيه عن زيغ حيث أحس شدة نفرتي من البدع وأهلها، وما درى -رحمه الله- وما دريت أن كتابتي ستكون بمثابة رثاء له، وتألم للمصيبة بموته بأيدي أهل الغدر والحقد.

ناولني -رحمه الله- أو أرسل إلي كتابه هذا وهو صورة لمسودة الكتاب لم تمسه يد المراجعة، ولم يعد عليه نظر التعقيب بالتفقد والتعديل، بل فيه التعليقات وشطب الكلمات وخفاء كثير من الصفحات بالنسبة للتصوير، مما

جعل قراءة كثير من مواضعه متعسرة أو متعذرة، ولكني على كل حال قرأت كثيرًا منه، وفهمت مقصده -رحمه الله- من إعداده؛ حيث رأى كثرة من انخدع بالتصوف رغم ما في طواياه من البلايا والرزايا والعقائد الكفرية، فأراد أن يجلي للناس بأسلوب عصري يعتمد على النقل لأدلة فضائح هذا المسالك من كتب دعاتها وأولياء زعامتها، وأبان بما نقل عن سفاهة أحلام القوم وطيش عقولهم، وأنا هنا لا أحب أن أتحدث عن الكتاب وما فيه من نقول يذوب القلب أسى لصدورها عمن ينتمي للإسلام، فهذا الشيء يتحدث عنه الكتاب نفسه، وأحب أن أعتذر عن إصلاح ما في الكتاب الذي قرأت أكثره لضيق وقتي، ولأملي أن تكون مبيضته موجودة لدى ورثة الشيخ إحسان -رحمه الله- لأن بين استلامي لصورة المسودة وقتله -رحمه الله- بأيدي أهل الغدر والخيانة عدة أشهر، فعسى أن يكن قلمه قد عدل وبدل وأجال فيه فكره وبصيرته، فأقام الاعوجاج ووصل بين ما قد يكون موجودًا من انفصال، ولكني أقول: إنه كتاب ينبغي أن يقرأ هو وسابقه لما فيهما من إيضاح، ولما عُرف عن الكاتب -رحمه الله- من حرص على الاعتماد على كتب من يرد عليهم من المبتدعة أنفسهم، كما فعل في كتاباته عن التشيع في سلسلة كتبه المعروفة النافعة، وكما كتب عن القاديانية والبريلوية وسواهم.

إن الفقيد -رحمه الله- قد أضاف إلى المكتبة الإسلامية سلسلة ثمينة ينبغي أن يعتنى بنشرها وما قد يوجد فيها من ملاحظات نادرة، فهي مغمورة بما حوته من البحور الزاخرة من فيض بيان الحق، وكشف الباطل، وتعرية أهله أمام نظر متطلبي طريق الفلاح.

لا أحب الإطالة في أسلوب إنشائي أو كلام عن الفقيد وآثاره؛ لأني أرجو أن يكون لدى محبيه وذويه ومحبي الدعوة إلى الحق ما يغني عن القول، وإنما كتبت ما كتبت وفاء ببعض حق الفقيد -رحمه الله- وتحقيقًا لشيء من رغبته أن يخلو بعض كتبه من كلمة لي تؤيد منحاه وتدعو إلى نصرة منهجه، فوعدته بالاستجابة، وما كنت لأرضيه حيًا وأتراجع عن ذلك بعد موته، فقد رأيت حقًا عَلَيَّ إجراء القلم بشيء من مراده، ولا يسعني وأنا أريد إيقاف شَبَاة

القلم إلا أن أسأل الله أن يجعله من الشهداء عنده، وأن يبارك في آثاره، وأن ينفع بها، وأن يصلح ذريته ويتولى حفظهم، وأن يُعطِّف عليهم قلوب من يستطيعون نفعهم وبثَّ تراث والدهم، **فالواجب على القادرين بجاههم أو** مالهم أو أقلامهم وأفكارهم أن ينصروا دين الله، **ويسعوا في إبعاد كل ما قد يشوه مظهره**، أو يصدُّ عنه أو قد يطمس ضياءه، **وإذا كان أهل الحق أو كثير منهم قد أقعدهم** حصول الدنيا والانجراف وراء بريقها واغترار الكثيرين **بمظاهرها، فينبغي أن تكون** للمسلم رجعة إلى الله وتأمل في مصيره واستحضار **لسير المجاهدين ومواقفهم** وبذلهم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، **وتركهم أموالهم وأهليهم من أجل دعوة** الناس وإرشادهم وبيان الحق **لهم رجاء المثوبة من الله واتقاء لعقابه عند الغفلة عن طاعته**، والله المسئول أن يوقظ الضمائر وينبه الغافلين لحقهم، ويشد عزائمهم، وأن ينصر دينه، وأن يذل أهل الزيغ والانحراف، وأن يرزق العلماء القيام بحق العلم وصيانته ونشره؛ ليسير الناس على نور وهدى، وأخيرًا رحم الله إحسان إلهي ظهير وآنس وحشته، وبارك في ذريته وأهل بيته، وأخلف الله على الأمة الإسلامية من يسعى جاهدًا لبث الدعوة وفضح الباطل، وأكثر لنا من هذا الصنف المتذرع بالعلم والحكمة والصبر في سبيل قمع كل باطل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

صالح بن محمد اللحيدان
مجلس القضاء الأعلى
المملكة العربية السعودية
الطائف (٢١/ ١٠/ ١٤٠٧هـ)



مقدمة

الحمد لله منزل القرآن وجاعله هدى للمتقين، وموعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وشفاء ورحمة للمؤمنين.

والصلاة والسلام على رسول الله مبشر الناس ومنذرهم، وداعيهم إلى الله بإذنه وسراج منير، إمام العالمين وأشرف المرسلين، الذي به ختمت النبوة، وكمل به الدين، وآله وصحبه ومتبعيه إلى يوم الدين.

لقد وعدنا عندما كتبنا الكتاب الأول في هذا الموضوع، وهو «التصوف.. المنشأ والمصادر» بأننا سنتبعه كتابًا آخر في حجمه وضخامته، وها نحن أولاء نفي بالعهد، ونصدق الوعد، ونضع بين يدي القراء والباحثين كتابًا آخر في موضوع التصوف أيضًا مقرِّين معلنين بأنه ما زال البحث جاريًا، والتنقيب ماضيًا في كتب الصوفية ورسائلهم، مصنفاتهم ومؤلفاتهم، ولم نستطع أن نمسك زمام القلم ونحول بينه وبين ما يسطر، مع حرصنا الشديد بأن لا يطول الكلام، وقلما سلم مكثار، ولكن الموضوع يتطلب المزيد، ومع إصدار هذا الكتاب الثاني الذي ربما يزداد حجمه عن الكتاب الأول قليلًا، نرى بأننا مطالبون بكتاب آخر، ولعلنا بذلك استطعنا إحاطة معظم جوانب هذه الطائفة وأفكارهم ومعتقداتهم وسلوكهم ومميزاتهم التي بها يمتازون عن الآخرين، أو يميزون عما سواهم، ولكننا نَعِدُ القارئ بأن موعده لن يكون بعيدًا، فإن أراد الله وشاء ذلل الصعوبات، وسخر العقبات، وغلَّبنا على النوازل والملمات، وأبعدنا عن المصائب والكربات، وهو كاشف الغمِّ، فارج الهمّ، مجيب دعوات المضطرين، لن نأتي على آخر هذه السنة إلا ونكون قد وضعناه لطلبة العلم وقرَّائنا الأكارم، لأن الكتب موجودة، والنصوص والعبارات منها مأخوذة، وما بقي إلا وضعها في مكانها اللائق، وتنظيمها وترتيبها، ثم جمعها وتأليفها، وسيكون ذلك الجزء مشتملًا على أهم ما نريد أن يشتمل على طرق

التصوف ومنشئها، أعيانها وأكابرها، ولا يعني هذا بأن هذا الكتاب خالٍ عن ذلك المبحث، لا ولا، ولكننا لم نبحث فيه إلا أهمَّ الطرق وأشهرها بين الناس، وببعض الاختصار والاقتضاب بدون الإفاضة والإطناب، كما لم نُرِدْ ذكر المغالين المشهورين من المتصوفة وأفكارهم وعقائدهم، آرائهم وتعاليمهم، ولو أنهم كلهم غلاة ولكن غير المشهورين بالغلو كالحلاج وابن سبعين ومحيي الدين ابن عربي، وعمر بن الفارض، وجلال الدين الرومي والسهروردي المقتول، والقونوي، والبقلي الشيرزاي وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

وكذلك بعض المواضيع التي لم نستطع التطرق إليها والإلمام بها في كتابينا هذين، ولها أهميتها في جلاء الفكر وتنوير الرأي وبيان الحكم، ونحاول قبل البدء في ذلك القسم من المبحث والكتاب، وأثناء هذه الفترة التي سنشتغل فيها حسب المخطط بفضل الله وتوفيقه في «المسيحية»، «والبهرة والآغاخانية»، الجزء الثاني من كتابنا «الإسماعيلية» نحاول أن نحصل على كتب ومصنفات الصوفية ووثائقهم ورسائلهم التي لم نحصل عليها بعد؛ كي يجتمع للمعتنين بهذا الموضوع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر فيه، وما ذلك على الله بعزيز.

وبعدُ: فإن هذا هو الكتاب الثاني في موضوع التصوف يشتمل على أبواب ثمانية، لكل باب منهم جزء مقسوم، ويبحث في أهم الجوانب الفكرية والعقائدية لهذه الطائفة من الناس.

فالباب الأول: «التطرف من لوازم التصوف» يشتمل على تعاليم الصوفية التي لم تبنَ إلا على المغالاة والتطرف، وليست من الدين الوسط الذي قيل فيه على لسان من جاء به: «**إن الدين يسر**». و «**يسروا ولا تعسروا**».

وأن الله أنزله لهداية البشر وتهذيب النفوس لا لتعذيبها وحملها على ما لا تطيق ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

---

(١) آية ٢٨٦ سورة البقرة.

ولكن القوم قلبوا الأمور وجعلوها معكوسة، فبالغوا في الإنذار، وتطرفوا في التعسير، ولقد بيَّنا كل هذا في هذا الباب مستندين إلى كتب القوم ورسائلهم، نصوصهم وعباراتهم حسب دأبنا المعهود.

الباب الثاني: فيه زيادة على ما في الباب الأول حيث ذكرنا فيه أمورًا خالف القوم فيها نصوص الكتاب والسنة، النصوص الصريحة والواضحة الجلية والتي لا تحتمل التأويل، وبيَّنا كيف جلوز القوم حدود الشرع، وتركوا العمل به مع ادعائهم الزهد والتقوى، مع أن الزهد والتقوى يمنعان المتلبسين بهما الابتعاد عن الشريعة قِيدَ شِبْرٍ.

والباب الثالث: وضعنا فيه النقاط على الحروف بأن التصوف ليس إلا مؤامرة ضد الإسلام ودستوره ومنهاجه، حِيكَتْ بمهارة، وأحكم نسيجها بالدهاء والمكر.

والباب الرابع: بحثنا فيه عن البدع والمحدثات التي لزمت طريق القوم، وبها عُرفوا ومُيزوا عن الآخرين، فصارت كالشعار لهم، واللباس الذي يتزينون به في المجالس والمحافل.

والباب الخامس: «طرق التصوف وأعيانها» فلقد ذكرنا فيه أهم الطرق الصوفية والمشهورة بين العرب، وهي: «الشاذلية»، و«القادرية»، و«التيجانية»، و«النقشبندية»، واقتصرنا على هذه الخمسة مع ووجود الأخرى الكثيرة، ذخرًا لكتابنا القادم، وبما أنها ليست بتلك الشهرة والانتشار والقبول بين الناس، ولو أن بعضًا منها مشهورة في جهة ومغمورة في جهة أخرى، مثل الجشتية والسهروردية فإن أكثر المتصوفة في شبه القارة الهندية الباكستانية منسلكون في إحداهما، خلاف الأخرى فإنها ليست بتلك الشهرة في هذه البلاد، ولعلنا في ترجمتنا هذا الكتاب هاتين السلسلتين إلى اللغة الأردية نضيف إلى هذا الكتاب هاتين السلسلتين.

وسيجد القارئ متعة في هذا الباب ما لا يجد في غير هذا الكتاب وهو يقرأ هذه السلاسل والطرق.

والباب السادس: يتضمن مجموعة من المصطلحات الصوفية التي شاع

استعمالها وكثر في الكلام الصوفي، وقد ضممنا إلى هذا الباب -وهو آخر هذا الكتاب- مباحث لم نستطع إدراجها في الأبواب السبعة؛ لعدم مناسبتها وعلاقتها المباشرة لتلك الأبواب رغبة منا بأن لا يحسَّ القارئ بالنقص في هذا الخصوص وهو يبحث عن التصوف، فحرصًا منا على ذلك أدرجناه في هذا الباب تحت عنوان «مصطلحات الصوفية» ومثال ذلك قضية وحدة الشهود، ووحدة الوجود، وكذلك مسألة وحدة الأديان، فإننا لم نستطع ذكرها ومع أهميتها في أحد الأبواب الستة المذكورة لعدم وجود المناسبة والداعي إليها، فذكرها ههنا.

فهذه هي الأبواب الستة لهذا الكتاب، ولو ضمت إلى الأبواب الثلاثة من الكتاب الأول لكفت القارئ والباحث فهم التصوف ومعرفة المتصوفة، ولا يعني ذلك أن هذا الكتاب متوقفة الاستفادة منه على الكتاب الأول، فإن الأمر ليس كذلك؛ لأنه كتاب مستقل، وليس كالجزء الأول منه، وكذلك هذا الكتاب، ولكن يحسن للقارئ أن يقتني هذا وذاك لأننا ذكرنا في هذا أشياء لم نذكرها في كتابنا الأول، وكذلك العكس.

فإن هذا الكتاب يشتمل على تعاليم الصوفية وعقائدهم، أفكارهم ومعتقداتهم، مميزاتهم وخصائصهم، بدعهم ومستحدثاتهم، وطرقهم وأحوال زعمائهم، وغيرها من الأمور.

حيث إن الكتاب الأول يختصُّ بذكر منشأ التصوف ومصادره مع ذكر المعتقدات التي تربطه بالمذاهب والأديان القديمة منها والحديثة من المذاهب الهندية والفارسية والأفلاطونية الحديثة والمسيحية والغنوصية إلى دين التشيع والشيعة.

فالكتابان بينهما عموم وخصوص من وجهٍ يجتمعان في قضية التصوف والمتصوفة، ويفترقان من حيث المبحث والموضوع.

أما بعد..

فإننا نريد أن نذكر الباحث والقارئ أننا لم نسلك في هذا الكتاب إلا مسلكنا القديم.

أولًا: أنا لا نلوم الخصم إلا علىٰ ما يقولوه ويتفوه به.

ثانيًا: ولا ننقل من كتاب ومؤلف غير معتمَد وموثوق لدى القوم أنفسهم، بل نثبت الحجة ونقيم البرهان مستندين إلى كتب القوم ونصوصهم وعباراتهم، فلا ننقل شيئًا من كتب المخالفين والمناوئين اللهم إلا للاستشهاد وللاستدلال، وربما يعسر علينا وجود شيء في كتب من نكتب عنه ونرد عليه، فنجده في كتب المخالفين والمعادين نقلًا عن أولئك ولكننا لا نعتمد عليه قبل أن نتحقق من وجوده عندهم وثبوته لديهم، وإلا فقد أعرضنا الجانب عن إيراده ونقله مهما كانت أهميته وحيثيته.

ثالثًا: سلكنا في كتبنا كلها أصعب المسالك وأشقها حيث لا نكتفي بإيراد رواية واحدة ولا روايتين لإلزام الخصم كي لا يحكم عليها بالشذوذ والندرة، بل نسرد روايات كثيرة ونوردها واحدة تلو الأخرى، ونضعها في جميع الجانب كي لا يجد منها مخرجا ويستسلم إما بالاعتراف والإقرار، أو التبرؤ والاستنكار.

رابعًا: لا نجعل المحكَّ والمعيار لمعرفة الصدق من الكذب، والحقِّ من الباطل، وتمييز الطيب من الخبيث، والجيد من الرديء إلا الكتاب والسنة، فالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد اتفق المسلمون على عدم وقوع أي تحريف وتغيير فيه، وأن يأتيه خلل أو نقص، فهو محفوظ بحفظ الله

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(١).

والسنة سنة رسول الله المعصوم بعصمة الله، والمحفوظ بحفظ الله، والناطق بوحي الله، والمضمون له في كلام الله

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾(٢).

فكل قول يخالف قول الله، وكل عمل يخالف عمل رسول الله فهو

---

(١) آية ٩ سورة الحجر.

(٢) آية ٣-٤ سورة النجم.

متروك مردود لا يُعبأ به ولا يُلتفت إليه، **صدر عن** كبير أو صغير، تقي أو شقي؛ لأن المؤمنين ليسوا **ملزمين باتباع أحد من الرجال** وآرائهم، بل إنهم أمروا باتباع كتاب الله وسنة رسول **الله ﷺ وهذا لا يحتاج إلى** بيان، فإنه واضح جلي، وقد ذكرنا الآيات والأحاديث **في هذا المعنى في صميم الكتاب في مختلف** المواضيع، فكل قول يوافق الكتاب والسنة **فهو قول** حق وصدق وصواب **مهما كان مصدره** ومنشؤه، وكل قول وعمل يعارضه الكتاب أو السنة **فهو قول باطل وعمل غير مقبول**، من أي مصدر وأينما نشأ.

فالشرع **عبارة عن القرآن والسنة وهو** الأصل، وعليه يعرض جميع الآراء والأفعال **والعقائد والمعتقدات، ويحكم عليها بالصحة والسُّقم والحقِّ** والبطلان، **ولا يُلتفت إلى شيء غيره.**

خامسًا: لم ننقل عن كبار الصوفية وأعيانهم، زعمائهم وقادتهم إلا ما نقله المتصوفة عنهم في كتبهم، سواء كانت نسبة هذا القول وذلك العمل إلى ذلك الشخص صحيحة أم غير صحيحة؛ لأن العهدة على الناقل والراوي، ولو أننا لا نظن بأن مَنْ ينسب إليه المتصوفة تلك الأقوال والأعمال المخالفة المعارضة لصريح الكتاب والسنة والعقل كذلك يكون صحيحًا نسبتها إليه؛ حيث إننا نحسن الظنَّ فيهم، ونبرؤهم مما ينسب إليهم، ويتهمون به كمثل رابعة العدوية، والجنيد البغدادي، وعبد القادر الجيلي وغيرهم من الأعيان، فقد ذكروا عنهم أشياء ونقلوا عنهم أقوالًا، ورووا عنهم أعمالًا يأبى القلب قبولها عن أمثالهم، ولكن ما لنا وللقلب، فإننا ننقل مما ننقل عن كتب المتصوفة الموثوقة المعتمدة لديهم، ومؤلفوها أيضًا من الأعيان والأكابر، لا الأجانب والأصاغر، وزيادة على ذلك لا نكتفي برواية وجدت فيها، بل ونجد لها شواهد ومتابعات، وهذا ما في وسعنا.

ولا بد من أن نتكلم ههنا بكلمة ولو للتاريخ؛ بأننا ما وجدنا قومًا يكثرون الكذب على أئمتهم ومشايخهم مثل الصوفية والشيعة، فما أكثر ما نسبوه إليهم، وهم منه براء، والله أعلم.

فالقصد من هذا كله أننا لم نتكلم على أحد إلا ما نقل عنه في كتب القوم

أنفسهم، **وليس علينا إلا عهدة النقل**، فإننا ملزمون **بإثبات المنقول في كتب القوم، وأما ثبوته** عمن ينقلونه فهذا ليس من شأننا؛ **لأن الإسناد من خصائص حديث** رسول الله ﷺ وبذلك سلمه الله وحفظه **من كذب الكاذبين، وزور** المبطلين المنتحلين، ونريد من قُرَّاء هذا **الكتاب بالأخص أن لا ينسوا هذه** النكتة الحساسة فإنها مهمة جدًا.

ونرجو الله -سبحانه تبارك **وتعالى- أن ينفع الناس** بهذا الكتاب ويجعل له **قبولًا ورواجًا مثل ما مَنَّ علينا في الكتب** الأخرى السابقة عليه، وأن يغفر لنا **خطايانا المقصودة منها وغير المقصودة**، ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم؛ فإنه ما دعانا إلى كتابة هذا الكتاب والكتب الأخرى عن الفرق الباطلة المنحرفة إلا رغبتنا الصادقة بأن يسلك المؤمنون سبيل رسول الله ﷺ الخالية من شوائب الشرك وأدران الوثنية والبدع والزيغ والضلال، ويتجنب السبل الملتوية والمعوجة **التي لا تصل وتوصل إلى الله ونعيمه ومرضاته في الدنيا** والآخرة، وإلا ما لنا ولهذه المواضيع التي لا تشكل إلا خطرًا، ولا تثير إلا شغبًا من أصحاب تلك الفرق وأولئك الطوائف، وخاصة في هذا الزمان الذي قلَّ فيه المخلصون المناصرون لكتاب رب العالمين وسنة أشرف المرسلين، وكثر فيه النفاق والمداهنة والمداراة باسم السياسية والمصلحة، وحبب فيه التملق والتشدخ اللهم إلا من رحم الرب وما أقلهم، وإن الجنة لحفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات والملذات، فعلى الله توكلنا، وهو عمدتنا وملجؤنا ومأوانا ومفزعنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على رسوله خير الخلائق أجمعين، وعلى صحبه ومن تمسك واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إحسان إلهي ظهير
ابتسام كاتيج شادمان لاهور
باكستان
(٩/ جمادى الأول /١٤٠٧هـ)
(١٠/ يناير/ ١٩٨٧م)

الباب الأول
التطرف من لوازم التصوف

لقد ذكرنا فيما سبق في كتابنا «التصوف. المنشأ والمصادر»[١] أن التطرف من لوازم **التصوف وخصائصه، وأنه** أمر زائد على الزهد المشروع المُحَبب إليه، ولا **يوجد صوفي لا يبالغ في التجوع** والتعري وترك الحلال، ويفرط في التقشف والتعنت **وتعذيب النفس وتكليفها ما لا يطاق**، وجلب الأذى، والتجاوز في أوامر الله ونواهيه، **والتقدم بيد يدي الله** ورسوله حتى يصل إلى اجتناب ما أمر الله به وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، وإتيان ما منع الله عنه ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وأوردنا بعض الأمثلة هناك مناسبة للمقام، تاركين التفصيل لهذا الكتاب، ونريد أن نذكر الباحث والقارئ قبل دخولنا في صميم الموضوع أن المشروع هو ما شرعه الله ورسوله، والمستحب هو ما استحبه الله ونبيه وصفيه خير الخلائق أجمعين، وكل أمر لم يأمر به الله ولم يفعله رسول الله ﷺ مهما حسن منظره، وعظم شأنه، وحُبب إلى النفوس فهو قبيح مردود في دين الله الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه، وشرك بالله وكفر به وبكتابه وبرسوله؛ حيث إنه عبارة عن عدم كمال الدين وتمام النعمة، وختم نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن الله -عز وجل- قال في كتابه المحكم مخاطبًا أصحاب رسول الله ﷺ في حياة نبيه وصفيه وفي أيامه الأخيرة. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢]

---

(١) انظر مقدمة الكتاب ص ٩ ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان

(٢) سورة المائدة الآية ٣

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[١].

وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢].

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٣].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٦].

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٨].

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٩].

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[١٠].

وقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[١١].

---

(١) سورة الحشر الآية٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٤) سورة الحجرات الآية١

(٥) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٦) سورة الأنفال الآية ٢٠ .

(٧) سورة الشورى الآية ٢١ .

(٨) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٩) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(١٠) سورة النور الآية ٥٤ .

(١١) سورة محمد الآية ٣٣ .

وقـــال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

وأمر نبيه ﷺ أن يقول:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٢].

وقـال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٤].

هذا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»**[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[٦].

وقال: **«إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[٧].

وقال: **«من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»**[٨].

وقال ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**[٩].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٩ .

(٣) سورة النور الآية ٦٣ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

(٥) رواه في «الموطأ» وله شاهد في الحكم.

(٦) رواه في شرح السنة، وقال النووي: «هذا حديثة صحيح».

(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٩) رواه البخاري.

هذا، ولقد روي عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدًا ولا أفطر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء النبي ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

وقال النبي ﷺ: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[٢].

وقال الداودي شارحًا هذا الحديث: «إن التنزه عما رخص فيه النبي ﷺ من أعظم الذنوب؛ لأنه يرى نفسه أتقى لله من رسوله، وهذا إلحاد».

وعلق عليه ابن حجر بقوله: «لا شك في إلحاد من اعتقد ذلك»[٣].

وروي عن العرباض بن سارية ﷺ أنه قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[٤].

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر «فتح الباري» لابن حجر.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١].

وعنه رضي الله عنه أيضًا أنه قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية[٢]».

ومثل ذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[٣].

وأخيرًا ما ثبت في الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٤].

فالدين والشريعة عبارة عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما لم يَرِد ذكره فيهما فليس له من الأمر من شيء، فإن أسلاف هذه الأمة -وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ- فهموا الدين هكذا، ولم يكونوا يحيدون عنهما قِيدَ شِبْرٍ، وكل ما لم يثبت ولم يرد ذكره في كتاب ربهم وسنة نبيهم عدُّوه زيادة على الشرع وحدثًا في الدين وبدعة مرفوضة، وعملًا مردودًا، صغيرًا كان أم كبيرًا.

وعلى ذلك قال صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود لمن رآهم يسبحون بالحصا:

«على الله تحصون؟ لقد سبقتم أصحاب رسول الله ﷺ علمًا، وقد

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والنسائي والدارمي وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) متفق عليه.

أحدثتم بدعة ظلمًا»[١].

وروي أن عبد الله بن مسعود بلغه أن الناس يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحًا معلومًا، ويهللون ويكبرون. قال: فلبس برنسًا، ثم انطلق فجلس إليهم؛ فلما عرف ما يقولون رفع البرنس عن رأسه، ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن. ثم قال: لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علمًا، أو لقد جئتم ببدعة ظلمًا. قال: فقال عمر بن عتبة: نستغفر الله ثلاث مرات. ثم قال رجل من بني تيم: والله ما فضلنا أصحاب محمد علمًا، ولا جئنا ببدعة ظلمًا، ولكنا نذكر ربنا. فقال: بلى، والذي نفس ابن مسعود بيده، لقد فضلتم أصحاب محمد علمًا، أو جئتم ببدعة ظلمًا. والذي نفس ابن مسعود بيده، لئن أخذتم آثار القوم ليسبقنكم سبقًا بعيدًا، ولئن حرتم يمينًا وشمالًا لتضلن ضلالًا بعيدًا»[٢].

وعن أنس بن مالك أنه قال: كنا عند عمر فقال: «نُهينا عن التكلف»[٣].

وعنه نقل يعلى بن أمية أنه قال: «طفت مع عمر بن الخطاب؛ فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا. قال: فابعد عنه، فإن لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة»[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة»[٥].

وروى أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: «كل عبادة لم يتعبدها

---

(١) انظر «البدع والنهي عنها» لمحمد بن وضاح القرطبي الأندلسي المتوفى ٢٨٦هـ، ص ١١/ ط دار الرائد العربي بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ٩ .

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك».

أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم»[١].

ولقد نقل عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- أنه قال «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا»[٢].

وكان يردد أيضًا:

وَخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً وَشَرُّ الأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَدَائِعُ[٣]

وذكر الشاطبي عن ابن رواح عن الحسن أنه قال: «صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا صيامًا وصلاة إلا ازداد من الله بعدًا»[٤].

ومثل ذلك روي عن هشام بن حسان أنه قال: «لا يقبل الله من صاحب بدعة صيامًا، ولا صلاة، ولا حجًّا، ولا جهادًا، ولا عمرة، ولا صدقة، ولا عتقًا، ولا صرفًا، ولا عدلًا»[٥].

وأخيرًا نذكر ما ذكره الشاطبي في «اعتصامه» تعريفًا للبدعة، فيقول: «البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى».

ثم فصَّل قوله: «تضاهي الشرعية. يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيًا لا يستظل،

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) «سنن الدارمي» ج١ ص ٦٠ .
(٣) «الاعتصام» للشاطبي ج١ص ٨٥ .
(٤) أيضًا ج٢ص ٨٢ .
(٥) أيضًا ص ٨٤ .

والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة.

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وَثَمَّ أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة، لأنها من باب الأفعال العادية»[١].

أما بعد: فبعد هذا التمهيد والتوطئة المختصرة، وذكر قول الله -عز وجل- حيث خاطب أهل الكتاب بقوله:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[٢].

نقول: إن أمور التصوف وأعمال المتصوفة كلها مبنية على مخالفة تلك الأسس والقواعد، وليس فيها اتباع ولا اعتدال؛ بل كلها ابتداع وغلو وتطرف ورهبانية ابتدعوها، ما كتبها الله عليهم، ولا أوجبها رسول الله ﷺ ولا عمل بها أصحابه ورفاقه، تلامذته الراشدون، ومبلِّغو تعاليم إلى العالمين، الذين اقتفوا آثاره، واهتدوا بهديه، واتبعوا سننه، وحملوا رايته، وجاهدوا في الله حق جهاده، ولم يكن واحد منهم معطلًا نفسه، منزويًا في الرباطات والتكايا، منعزلًا في الخانقاوات والزوايا، متعطلًا عن العمل، تاركًا للجمعة والجماعة، مخترعًا الطرق المخصوصة للوصول إلى الله، ومتخذًا التعنت والتطرف تقربًا وتزلفًا إليه، ولم يكن يعد التجوع والتعري سببًا للنجاة، ولا التسول والاستجداء وسيلة للنجاح، وكانوا تجارًا زراعًا صناعًا ورعاءً للإبل والماشية، يكسبون الحلال ويرزقون به أولادهم أهلهم وذويهم، ويطعمون الطعام على حبِّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، أصحاب الأهل والعيال، وأرباب البيوت

(١) «الاعتصام» للشاطبي ج ١ص ٣٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧١

والأموال، يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، اللهم إلا من لم يجد إليها سبيلًا، مغلوبًا على أمره مقهورًا مجبورًا، وكاد يكد ويجد، ويجتهد صابرًا شكورًا إلى أن يغنيه الرزاق ذو القوة المتين.

خلافًا للمتصوفة الذين جعلوا مسلكهم مبنيًا على الغلو والتطرف، ومسلكهم على التعنت والتقشف، الذي لم ينزل به من سلطان، ولم يأت به في السنة من برهان، مخالفين طريقة نبي الله وصفيه، وطريقة أصحابه خيار خلق الله وأوليائه، مخترعين مبتدعين غير مقتدين ولا متبعين، فقالوا: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات[1].

وذكروا أن الجوع هو ركن من أركان التصوف، وأساس من أسسه، فقال قائلهم: «ومن شأن المريد كثرة الجوع بطريقه الشرعي، وهو معظم أركان الطريق، فكما أن الشارع جعل معظم الحج عرفة، كذلك أهل الله جعلوا الجوع هو الطريق»[2].

ونقل النفزي الرندي أن الجوع أحد الأركان الأربعة للتصوف، والبقية هي: الصمت والخلوة والسهر، ومن حصل عليها فقد حصل على كلية الدواء، والتحق بزمرة الأولياء والبدلاء[3].

وقال الشعراني: «كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا، ليس له في طريق الفقراء نصيب»[4].

وعلى ذلك نقل القشيري عن أبي علي الروذباري أنه قال: «إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع. ألزموه السوق، وأمروه بالكسب»[5].

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج١ص ١١٧ بتحقيق عبد الحليم محمود.

(٢) «الأنوار القدسية» في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني ج١ص ٥٥ ط دار إحياء التراث العربي بغداد.

(٣) انظر «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج١ ص ٩٢ ط القاهرة.

(٤) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج٢ ص ٩٤ بتحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ط مصر.

(٥) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري ج١ ص ٣٧٧ .

وذكر الكمشخانوي عن الجوع أنه أحد أركان المجاهدة، **وبسببه تنفجر ينابيع الحكمة لأهل** السلوك، وهو من صفات أهل **الحقيقة**.

كما نقل عن سهل بن عبد الله التُسْتَرِيّ **أنه كان يقول: «جعل الله في** الشبع الجهل والمعصية، **وفي** الجوع العلم **والحكمة»**.

قال أبو **سليمان** الداراني: «مفتاح **الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة** الجوع».

وقال **يحيى بن معاذ** الرازي: **«الجوع نور، والشبع نار»**[1].

والصفوري يمدح الجوع الصوفي، يقولك قائلهم: «لأن أترك لقمة من **عشائي** أحب **إليَّ من قيام** ليلٍ، والجوع في خزائن الله لا يعطيه إلا لمن أحبه»[2].

وحكى ابن الملقن عن يحيى بن معاذ الرازي المتوفى ٢٥٨هـ أنه قال: «الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع»[3].

وذكر صوفي قديم أبو عثمان الهجويري في شرف الجوع كلامًا كثيرًا مع ما ذكر فيه أحاديث واهية موضوعة، فيقول: «وقوله عليه السلام: بطن جائع أحب إلى الله من سبعين عابدًا غافلًا».

اعلم أن للجوع شرفًا كبيرًا، وهو محمود عند الأمم والملل؛ لأن خاطر الجائع يكون أَحَدَّ من وجهة الظاهر، وتكون قريحته أكثر تهذيبًا، وجسده أصحَّ، ومن هيَّئوا أنفسهم بالرياضة لا يكون له شره كبير؛ لأن الجوع للنفس خضوع، وللقلب خشوع، فجسد الجائع خاضع وقلبه جائع؛ لأن القوة النفسانية تتلاشى به».

وقال رسول الله ﷺ: **«أجيعوا بطونكم، وأظمئوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم، لعل قلوبكم ترى الله عيانًا في الدنيا»**.

---

(١) «جامع أصول الأولياء» لأحمد الكمشاخانوي ص ١٦٣ ط المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨هـ، ومثله في «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٣٤ .

(٢) «نزهة المجالس» للصفوري ج١ ص ١٧٧ط بغداد.

(٣) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٣٢٢ .

وإذا كان للجسد من الجوع بلاء، فإن للقلب به ضياء، وللروح به صفاء، وللسر لقاء. وحين يدرك السر اللقاء، وتجد الروح الصفاء، ويجد القلب الضياء، فأي ضير إذا لقي الجسد البلاء؟!»[1].

ونقل الشعراني عن الخراز أنه كان يقول: الجوع طعام الزاهدين[2].

ونقل عن أحمد الرفاعي أنه قال: «أنا أحب للمريد الجوع والعري والفقر والذل»[3].

وعلى هذا الأساس نقلوا حكايات وأكاذيب عديدة؛ لتمجيد الجوع وتحميد المتجوعين والثناء عليهم، أكاذيب واضحة صريحة، فقالوا: «إن سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ كان لا يأكل الطعام نيفًا وعشرين يومًا»[4].

ومرة قالوا عنه أيضًا: إنه كان يأكل كل خمسة عشر يومًا مرة، فإذا دخل رمضان لم يكن يأكل شيئًا إلى يوم العيد»[5].

ومثل ذلك نقلوا عن إبراهيم بن أدهم أيضًا.

وروى الطوسي أكثر من ذلك عن أبي عبيد البسري أنه كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسد عليه الباب ويقول لامرأته: اطرحي كل ليلة رغيفًا من كوة في البيت، ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان، فتدخل امرأته البيت فإذا الثلاثون رغيفًا موضوعة في ناحية البيت»[6].

وأغرب من ذلك أن الهجويري نقل هذه الحكاية عن الطوسي نفسه، وهذه هي ألفاظها: «إن الشيخ أبا نصر السراج الملقب بطاوس الفقراء

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٥٧٠ ترجمة عربية ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م.

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص ٩٧ .

(٣) «الأنوار القدسية» لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ١٣٢ط بغداد.

(٤) «اللمع» للطوسي أبي نصر السراج ص ٢٦٩ .

(٥) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٥٦٧ ترجمة عربية دكتورة إسعاد عبد الهادي ط بيروت ١٩٨٠م.

(٦) أيضًا.

وصاحب كتاب «اللمع» ورد بغداد في شهر رمضان، **فأعطوه في مسجد الشونيزية**، وأسلموا إليه إمامة الدراويش، فأمهم **حتى العيد، وكان يختم القرآن** خمس مرات في التراويح. وكان الخادم **كل ليلة يضع قرصًا في** الخلوة؛ فلما كان يوم العيد رحل ﷺ **ونظر الخادم فكانت الثلاثون قرصًا** في مكانها[١].

ومن الغرائب **أن هذه القصة هي قصة البسري بعينها** بألفاظها ومدلولاتها، **ولو كانت للطوسي نفسه لم يكن ليسردها للآخر**، أو أن الحكايات واحدة من **الأولين والآخرين**.

وعلى كل فإن المكي أبا طالب زاد عليهما حيث حكى عن أحد المتصوفة أنه وقف على راهب، فذاكره بحاله وطمع في إسلامه، وترك ما هو عليه من الغرور، فكلمه في ذلك بكلام كثير إلىٰ أن قال له الراهب: فإن المسيح كان يطوي أربعين يومًا، وأنا معتقد إعجاز هذا، وأنه لا يكون إلا لنبي. فقال له الصوفي: فإن طويت خمسين يومًا أما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام، وتعلم أن ما نحن عليه حق وأنك على باطل؟ قال: نعم. فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب إلا من حيث يراه الراهب إلى أن طوى خمسين يومًا، فقال: أزيدكم أيضًا. فطوى إلى تمام الستين، فعجب الراهب منه، واعتقد فضله وفضل دينه، وقال: ما كنت أظن أن أحدًا يجاوز فعل المسيح عليه السلام، ولكن هذه أمة تُشبه بالأنبياء في العلم والفضل[٢].

وروى ابن الملقن عن أبي بكر الفرغاني أنه دخل مصر على هذا الزيّ، فعُرف بها، واجتمع إليه الصوفية، فتكلم عليهم، فعرض له السفر، فقام من مجلسه، وخرج معه نحو من سبعين منهم، فمشى في يومه فراسخ، لا يعرج على أحد فانقطع من كان خلفه، وبقي منهم قليل، فالتفت إليهم، وقال: كأني بكم قد جعتم وعطشتم؟ فقالوا: نعم. فعدل بهم إلى دير فيه صومعة راهب؛ فلما دخلوا أشرف الراهب على أصحابه وناداهم: أطعموا رهبان

---

(١) «اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي ص ٢١٧ .

(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٥٦٧ .

المسلمين، فإن بهم قلة صبر على الجوع فغضب من ذلك، ورفع رأسه إليه، وقال: أيها الراهب، هل لك إلى خصلة تتبين بها الصابر والجازع؟ قال وما ذاك؟ قال تنزل من صومعتك، فتتناول من الطعام ما أحببت، ثم تدخل معي بيتًا، ونغلق علينا الباب، ويدلى لنا من الماء قدر ما نتطهر به، فأول من يظهر جزعه، ويستغيث من جوعه، ويستفتح الباب، يدخل في دين صاحبه كائنًا من كان، على أنني منذ ثلاث لم أذق ذواقا قال الراهب لك ذلك. فنزل من صومعته، وأكل ما أحب وشرب، ثم دخل مع أبي بكر بيتًا، وغلق الباب عليهما، والصوفية والرهبان يرصدونهما، لا يسمع لهما حس أربعين يومًا؛ فلما كان في اليوم الحادي والأربعين سمعوا حسحسة الباب، وقد تعلق أحد به، ففتحوا، فإذا الراهب قد تلف جوعًا وعطشًا، وإذا هو يستغيث بهم إشارة، فسقوه، واتخذوا له حريرة[1]، فصبوها في حلقه، والفرغاني ينظر إليهم[2]

وروى أحدهم عن أبي محمد الباثغري أنه مضى عليه ثمانون يومًا لم يطعم فيها شيئًا[3]

وذكر أصحاب الطبقات الصوفية عن أحد المتصوفة في الهند شاه ميان جي بيغ أنه كان يعتكف من غرة رجب إلى العاشر من محرم مغلقًا عليه أبواب الحجرة، وكان يمكث فيها ستة أشهر لا ماء ولا طعام، وقد مات سنة ٨٩٩ هـ[4]

ونقلوا مثل ذلك عن شاه كمال البغدادي الهندي المتوفى سنة ١٢٩هـ[5]

---

(١) الحَريرةُ: دقيقٌ يُطْبَخُ بلبن.

(٢) ««قوت القلوب» في معاملة المحبوب» لأبي طالب المكي ج٢ص ١٦٦ ط دار صادر بيروت.

(٣) «كشف المحجوب» ص ٥٦٨

(٤) انظر «تذكرة أولياء بر صغير» للميرزا محمد اختر الدهلوي أردو ج٢ ص ٤٢ط لاهور باكستان

(٥) انظر «تذكرة أولياء باك وهند» للدكتور ظهور الحسن شارب ص ٣٢٠ ط لاهور باكستان.

وحكى ابن الملقن عن مفرج الدماميني أنه لما اشتري -**وكان عبدًا**- **مكث ستة أشهر لا يأكل ولا يشرب**[(١)].

فاستقلوا هذا المدة فنقلوا عن البسطامي أنه **قال: «دعوت نفسي إلى شيء** من الطعام فلم تجبني، **فمنعتها** عن الماء سنة»[(٢)].

أين هذا من إبراهيم بن أدهم حيث **ذكروا عنه أنه مكث أول** دخوله الطريق **سنة لا أكل ولا** شرب ولا نام[(٣)]. **ومن الشيخ الجيلاني** حيث نقل عنه الشعراني **أنه مكث بداية أمره سنة لا يأكل ولا** يشرب ولا ينام؟!![(٤)].

ولم **يكتفوا بهذه المدة أيضًا** حتى قال كبير القوم أبو القاسم القشيري رواية عن السلمي، أنه قال بإسناده عن أبي عِقال المغربي أنه أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات[(٥)].

فهل هذا معقول يا عباد الله؟ وهل هذا من الدين؟ وهل أمرنا رسول الله ﷺ **بأن نأتي مثل هذا الشعبذات؟ أو كان أحد من أصحابه يأتي** بمثل هذه النِّيرَنْجِيَّاتِ والطِّلَّمسات والمخاريق؟ ولكن القوم يعدونها من لوازم الولاية والكرامة، فيخترعون القصص، ويبدعون في اختلاقها، وينسجون الأساطير، ويسردون الأباطيل، ويحشونها بالكذب المحض ويغلون ويبالغون فيه.

فمن الغرائب أن أبا النصر السارج الطوسي جاوز الحدود فقال: رأيت إنسانًا من الصوفية مكث سبع سنين لم يشرب الماء[(٦)].

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٤٧٢ .

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص ١١٥ ط صادر بيروت، ومثله في «تذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار ص ٩٣ ط باكستان.

(٣) كتاب «الطبقات في خصوص الصالحين والاولياء» لمحمد ضيف الله الجعلي ص ٦١ ط المكتبة الثقافية بيروت.

(٤) «الأخلاق المتبولية» لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ١٥٠ .

(٥) انظر «الرسالة القشيرية» ج١ ص ٢٢٠ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط القاهرة ١٩٧٢م.

(٦) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٠٨ .

وقال واحد من هؤلاء: «إن الشيخ بديعًا المتوفى سنة ٨٤٠هـ الذي يُعدُّ من كبار المشايخ وأولياء الهند، وحائزًا على مقام الصمدية لم يذق طعامًا مدة اثني عشر عامًا»[(١)].

وكتب الآخر عن الآخر وهو فريد الدين مسعود المتوفى ٦٦٤هـ **بأنه وقف على رجليه في** عالم الاستغراق عشرين سنة، لم **يجلس فيها ولم يأكل شيئًا**[(٢)].

وأما عبد العزيز الديريني المتوفى ٦٩٧هـ فلم يستكثر هذا، بل نقل عن أبي هند أنه صام أربعين **سنة لم يعلم الناس ولا أهل** بيته، كان يأخذ الخبز ويخرج فيتصدق به، فيظن الناس **أنه يأكل في البيت، ويظنُّ أهل بيته أنه يأكل مع** الناس[(٣)].

هذا ورووا **في فضل التجوع روايات كتلك الحكايات واهية باطلة، مختلقة** مصطنعة، مثل ما ذكر الكمشخانوني أن عمر بن عبد العزيز أجاع صنفًا من الطير أربعين صباحًا، ثم طاروا في الهواء ورجعوا رائحة المسك تفوح منها. قال القشيري: لا يبعد أنها وصلت إلى الجنة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام[(٤)]. كما روى الآخر عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: بطن جائع أحب إلى الله من سبعين عابدًا غافلًا[(٥)].

وروى الصفوري الشافعي عنه ﷺ: أفضلكم عند الله منزلة أطولكم جوعًا[(٦)].

---

(١) انظر «خزينة الأصفياء» لغلام سرور اللاهوري ص ٢٩٠ ترجمة أردية ط لاهور باكستان.

(٢) «تذكرة أولياء باك وهند» للدكتور شارب الدهلوي ص ٥٥ .

(٣) انظر ««طهارة القلوب» والخضوع لعلام الغيوب» لعبد العزيز الداراني ص ٢٠٩ط مصطفى الحلبي مصر ١٩٧٢م.

(٤) «جامع أصول الأولياء» للكمشخانوي ص ١٦٤

(٥) «نزهة المحجوب» للهجويري ص ٥٦٩ .

(٦) «نزهة المجالس» للصفوري الشافعي ص ١٧٧

وأيضا: من أجمع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه[١]. ونوروا **قلوبكم** بالجوع وخشن الثياب[٢].

ونقل ابن عجيبة الحسني عن ابن سليمان الداراني **أنه قال**: **أحلى ما تكون** العبادة إذا لصق ظهري ببطني[٣].

ومثل هذا ورد عن القوم في ترك **الماء البارد والعذب**، واجتناب اللحم، والتحرز عن الطيبات، **فيقولون**: **من شرب الماء لم يشتق** إلى الجنة[٤].

وروى **الكلاباذي والقشيري عن الجنيد** أنه قال: دخلت يومًا على السري السقطني وهو يبكي، **فقلت له**: ما يبكيك؟ فقال: جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا أبتي، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه ههنا. ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان. فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته. قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه، حتى عفا عليه التراب[٥].

وأما الشعراني فروى عن بعض مشايخ الصوفية أنه كان يقول: مثقال ذرة من لحم تقسي القلب أربعين صباحًا[٦].

وهناك حكايات أخرى سردها النفزي الرندي المتوفى ٧٩٢هـ، منها ما نقله عن إبراهيم الخواص أنه قال: «كنت في جبل (لكام) فرأيت رمانًا فاشتهيته،

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج٣ ص ٨٠ ط دار القلم بيروت الطبعة الأولى.

(٢) «نزهة المجالس» للصفوري ج١ ص ١٧٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٥٤ ط القاهرة.

(٤) «المعارضة والرد» المنسوب إلى سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ ص ١٢٥ بتحقيق محمد كمال جعفر ط دار الإنسان القاهرة ١٩٨٠م.

(٥) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٧٢، أيضًا «نزهة المجالس» للصفوري ج ١ص ٢٤٥ط بيروت: أيضًا «التعرف لمذهب أهل التصوف» لأبي بكر الكلاباذي ص ١٨٤ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٦) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٤٦ .

فدنوت منه فأخذت واحدة فشققتها، فوجدتها حامضة، فمضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلًا مطروحًا قد اجتمعت عليه الزنابير، فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لَمْ يَخْفَ عليه شيء. فقلت: أرى لك حالًا مع الله تعالى، فلو سألته أن يحميك ويقيك من شهوة الرمان، فإن لذع [شهوة] الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا».

وقال السري رضي الله تعالى عنه: إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها. فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضًا وفسخًا كما تقدم.

قال جعفر بن نصير رضي الله تعالى عنه: دفع إلَيَّ الجنيد درهمًا وقال: اشترِ به التين الوزيري. فاشتريته؛ فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها، وبكى، وقال: احمله! فقلت له في ذلك، فقال: هتف بي هاتف: أما تستحي شهوة تركتها من أجله ثم تعود إليها.

وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنهما: إن فلانًا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها. قال: لأنك تأكل مع خبزك تمرًا، وهو لا يزيد على الخبز شيئًا. فقلت: إن كنت تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة؟ قال: نعم، وغيرها. فأخذ يبكي، فقال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينيك! أعَلَى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، هو إذا ترك شيئًا لم يعاود فيه أبدًا.

وقال أحمد بن الجواري: اشتهى أبو سليمان الداراني -رضي الله تعالى عنه- رغيفًا حارًّا بملح، فجئت به إليه، فعضَّ منه عضَّة، ثم طرح الرغيف، وقال: عجلت إلَيَّ شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي، قد عزمت على التوبة فاقبلني. قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى.

قال أبو تراب النخشبي ﵁: ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة، تمنت خبزًا وبيضًا وأنا في سفر، فعدلت إلى قرية، فقام واحد وتعلق

بي وقال: هذا كان مع اللصوص، فضربوني سبعين دِرَّة، ثم عرفني رجل منهم، فقال: هذا أبو تراب النخشبي. فاعتذروا إلَيَّ، فحملني رجل منهم إلى منزله، وقدَّم لي خبزًا وبيضًا، فقلت في نفسي: كلي بعد سبعين دِرَّة.

وقال بعضهم: اشتهى أبو الخير العسقلاني -رضي الله تعالى عنه- السمك سنين، ثم ظهر له ذلك مع موضع حلال؛ فلما مدَّ يده إليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه أصبعه، فذهبت في ذلك يده، فقال: يا رب، هذا لمن مدَّ يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام؟[1].

كما رووا عن أبي الخير الأقطع أنه عقد مع الله عقدًا أن لا يمد يده إلى شيء مما تنبت الأرض بشهوة، فنسي وتناول عنقودًا من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه إذ تذكر العقد فرمى بالعنقود وبقي ما في فمه، فبصقه وجلس نادمًا. قال: فما استقر بي الجلوس حتى دار بي فرسان ورجال وقالوا: قم. فساقوني إلى أن أخرجوني إلى ساحل بحر إسكندرية، فرأيت هناك أميرًا وبين يديه سودان قد قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون ومعي ترس وحربة، فقالوا: هذا منهم بلا شك. فقطع أيديهم وأرجلهم إلى أن وصل إلَيَّ، فقال لي: قدِّم يدك. فمددتها ثم رفعت رأسي، وقلت: إلهي وسيدي ومولاي، يدي جنت، فرجلي ماذا صنعت؟ فدخل عليه فارس، ورمى بنفسه على الأمير، وقال: هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير التبناتي. فرمى الأمير نفسه إلى الأرض وأخذ يدي المقطوعة من الأرض يقبلها، وتعلق بي يبكي ويعتذر إلي، فقلت له: جعلتك في حلٍّ من أول ما قطعتها. وقلت: يد جنت فقطعت[2].

فهكذا حرم الصوفية على أنفسهم أكل الطيبات، وابتعدوا عنها زعمًا منهم أن هذا الصنيع سيقربهم إلى الله تعالى، وأنى لهم ذلك.

هذا، وكتب السهروردي أن الصوفية عوَّدوا أنفسهم بتقليل المطعم حتى ردَّ بعضهم نفسه إلى أقل قوتها، فيقول: ومن الصالحين مَنْ كان يعير القوت

(١) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ص ٢٠١ وما بعد.
(٢) انظر «طبقات الشعراني» ج١ ص ١٠٩، «خزينة الأصفياء» ص ١١٠ ط باكستان.

بنوى التمر، وينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعير بعود رطب، وينقص كل ليل نواة. ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف من شهر[١]

ونقل كذلك عن الزاهد خليفة أنه كان يأكل من كل شهر لوزة[٢]

وروى النفزي الرندي عن بعضهم أنه مكث خمسين سنة لم يزد على زبيبة كل يوم[٣]

وحتى النبهاني في كتابه عن سهل أنه كان قوته في السنة بدرهم شعير بغير ملح ولا أدم[٤]

وهذا كله رغم ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يخالف صنيعهم، ويعارض طريقهم حيث قال الرب -تبارك وتعالى- في كلامه

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[٥]

وإن رسول الله ﷺ كان يحب الحلواء والعسل[٦]

وعن عبد الله بن جعفر أنه قال «رأيت النبي ﷺ يأكل الرطب بالقثاء»[٧]

وعن عمرو بن أمية «أنه رأي النبي ﷺ يحتز من كتف شاة في يده، فدعي إلى الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها، ثم قام فصلى، ولم يتوضأ»[٨]

وعن أنس «أن خياطًا دعا النبي ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع النبي ﷺ

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٢٢٣

(٢) أيضًا

(٣) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج١ ص ١٥٠

(٤) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص ١١٥ ط دار صادر بيروت

(٥) آية ٣٢ الأعراف

(٦) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنهما

(٧) متفق عليه

(٨) متفق عليه

فقرب خبز شعير ومرقًا فيه دُبَّاء[1] **وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدُّبَّاء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ»**[2].

وعن جابر «**أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم، فقالوا: ما عندنا إلا خلٌّ. فدعا به، فجعل يأكل به ويقول: نِعْمَ الإدام الخل، نِعْمَ الإدام الخل**»[3].

وعن أبي أيوب قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام أكل منه، وبعث بفضله إلي**»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع -وكانت تعجبه- فنهس منها**»[5].

وعن ابن عباس قال: «**كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز، والثريد من الحيس**»[6].

وعن أبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة**»[7].

وعن عائشة «**أن النبي ﷺ كان يأكل الْبِطِّيخَ بالرطب**»[8].

وعن ابني بسر السلميين، قالا: «**دخل علينا رسول الله ﷺ فقدمنا زبدًا وتمرًا، وكان يحب الزبد والتمر**»[9].

وعن عِكْرَاشِ بن ذؤيب، قال: «**أتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر**[10]،

---

(١) الدُّبَّاء بالضم والتشديد والمَدّ: القَرْع، الواحدةُ: دُبَّاءةٌ.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٦) رواه أبو داود. والْحَيْس: أن يُؤْخَذ التَّمْر فَيُنْزَع نَوَاهُ، وَيُخْلَط بِالأَقِطِ أَو الدَّقِيق أَو السَّوِيق. اهـ. وَلَوْ جُعِلَ فِيهِ السَّمْن لَمْ يَخْرُج عَنْ كَوْنه حَيْسًا.

(٧) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي.

(٨) رواه الترمذي.

(٩) رواه أبو داود.

(١٠) كثيرةِ الوَذْرِ: كثيرة قِطَع اللحم. والوَذْرَة بالسُّكون: القِطْعة من اللحم. والوَذْرُ بالسكون أيضًا: جَمْعُها.

فخبطت بيدي في نواحيها، **وأكل رسول الله ﷺ** من بين يده، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى، **ثم قال: يا عِكْرَاشُ، كل من موضع واحد فإنه** طعام واحد. ثم أتينا بطبق فيه **ألوان التمر، فجعلت آكل من بين يدي،** وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، فقال: **يا عِكْرَاشُ، كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد**»[١].

وعن **جابر «أن النبي ﷺ** دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له، **فسلم فرد الرجل وهو يُحَوِّلُ الماء** في حائط، فقال النبي ﷺ: إن كان عندك ماء بات **في شَنَّةٍ وإلا كَرَعْنَا. فقال:** عندي ماء بات في شَنٍّ. فانطلق إلى العريش **فسكب في قدح ماءً، ثم حلب عليه من داجن،** فشرب النبي ﷺ ثم أعاد، **فشرب الرجل الذي جاء معه**»[٢].

وعن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: «**كان أحب الشراب إلى** رسول الله ﷺ **الحلو البارد**»[٣].

وعن عائشة قالت: «**كان النبي ﷺ يستعذب له الماء من السقيا. قيل: هي عين بينها وبين المدينة يومان**»[٤].

وعن أنس قال: «**لقد سقيت رسول الله ﷺ بقدحي هذا الشراب كله؛ العسل والنبيذ والماء واللبن**»[٥].

وعن عائشة قالت: «**كنا ننبذ لرسول الله ﷺ في سقاء يوكأ أعلاه، وله عزلاء، ننبذ غدوة فيشربه عشاء، وننبذ عشاء فيشربه غدوة**»[٦].

وأخيرًا ما قاله رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**»[٧].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه مسلم، وابن ماجه.

وَخَيْرُ **ما ورد في** هذا أن رسول الله ﷺ إذا وجد **أكل وشرب وشكر، وإذا لم يجد ما** يأكله ويشربه صبر، ولم يكن يَرُدُّ **موجودًا كما** لم يكن يتكلف **مفقودًا،** وما أحسن ما كتب الحافظ ابن قيم **الجوزية -رحمه الله- عن** هديه ﷺ وسيرته في الطعام فقال: كان **هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا** يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا، فما قرب **إليه شيء من الطيبات** إلا أكله إلا أن **تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعامًا** قط إن اشتهاه أكله وإلا **تركه، كما ترك أكل الضب لما لم يَعْتَدْهُ،** ولم يحرمه على الأمة بل أُكِلَ على **مائدته وهو ينظر، وأكل الحلوى** والعسل وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن، والدجاج، ولحم الحبارى، ولحم الوحش، والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشوي، وأكل الرطب التمر، وشرب اللبن خالصًا ومشوبًا، والسويق والعسل بالماء، وشرب نقيع التمر، وأكل الخزيرة -وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق- وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد -وهو الخبز باللحم- وأكل الخبز بالأهالة - وهي الودك، وهو الشحم المذاب- وأكل من الكبد المشوية، وأكل القديد، وأكل الدباء المطبوخة -وكان يحبها- وأكل المسلوقة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد -وكان يحبه- ولم يكن يرد طيبًا ولا يتكلفه، بل كان هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار، وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في السفر، وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بإصبع واحد، والجشع الحريص يأكل بالخمس ويدفع بالراحة، وكان لا يأكل متكئًا»[(١)].

ولكن القوم عكسوا الموضوع فحرموا ما أحل الله، وتعنتوا وتطرفوا في ترك الطعام والشراب، وأسسوا أسسًا وأصلوا قواعد لا يوجد لها في كتاب الله

---

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٣٧ .

وسنة رسول الله ﷺ ولا في سيرة أصحابه، خيار خلق الله، وأبرار هذه الأمة المغفور لها، لم يأخذوها إلا من البراهمة ورهبنة النصارى[١]

ومن تطرفات القوم وتعنتهم في هذا أيضًا ما رواه الغزالي أن مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه، فاشتهى قدحًا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفًا حارًا، فمضى الخادم وحمل إليه، فأخذه مالك بن دينار، ونظر فيه ساعة، وقال: يا نفس، قد صبرت ثلاثين سنة، وقد بقي من عمرك ساعة. ورمى القدح من يديه، وصبَّر نفسه ومات[٢]

فهل هذا من الدين يا ترى؟ وهل هذا هو الزهد الذي يدنون حوله ويطبلون؟

ولقد روى القشيري مثل هذا عن بشر بن الحارث أنه اشتهى الباقلاء سنين فلم يأكله، فرؤي في المنام بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي وقال أي الربُّ كُلْ يا مَنْ لَمْ يأكل، واشرب يا مَنْ لَمْ يشرب[٣]

وقبله السلمي روى في «طبقاته» عن بشر هذا أنه قال إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة، فما صفا لي درهمه. وقال له رجل لا أدري بأي شيء آكل خبزي؟ فقال له: اذكر العافية واجعلها إدامك[٤]

وروى ابن الملقن عن أبي عبد الله المغربي المتوفى ٢٩٩هـ أنه مكث سنين كثيرة لا يأكل ما وصلت إليه أيدي بني آدم[٥]

وذكر الكمشخانوي أن أبا تراب النخشبي كان يأكل من البصرة إلى مكة

---

(١) انظر تفصيل ذلك وأدلته في كتابنا «التصوف. المنشأ والمصادر» الباب الثاني ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٢) «مكاشفة القلوب» إلى حضرة علام الغيوب لأبي حامد الغزالي ص ١٥ ط الشعب القاهرة.

(٣) «الرسالة القشيرية» ج١ ص ٧٦، أيضًا «روضة التعريف» للسان الدين بن الخطيب ص ٥٣٩ ط دار الفكر العربي

(٤) طبقات السلمي ص ١٤ ط مطابع الشعب ١٣٨٠هـ، أيضًا «طبقات الأولياء» لابن الملقن المتوفى ٨٠٤ هـ مكتبة الجانجي القاهرة.

(٥) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٤٠٣

أكلة واحدة[١].

وقال الشعراني: راض الصوفية أنفسهم بالجوع **حتى صارت تصبر على الطعام** أربعين يومًا وأكثر، وبعضهم حجَّ من مصر **بأربعة أرغفة، حملها معه** أكل في كل ربع من الطريق رغيفًا، بعضهم **حج برغيفين، رغيف أكله بمكة** ورغيف أكله في العقبة، وبعضهم **أكل في مصر من يوم خروج الحجاج** فلم **يأكل** شيئًا حتى رجع مصر[٢].

والصوفي الفارسي الباخرزي المتوفى سنة ٧٣٦هـ كتب أن المشايخ قالوا: **لا تأكل ما تشتهي، وإن تأكل لا تطلبه**، وإن تطلبه لا تتزين به. وقالوا: ما فوق الخبز فهو شهوة ولو كان ملحًا، ولكن البعض يقولون: إن الخبز من كبرى المشتهيات، وأعلاها اللحم والحلوى، وأدناها الملح والخل[٣].

ونقل ابن عجيبة الحسني عن **سهل** التُّسْتَرِيِّ أنه قال: لأن أتركَ من عشائي لقمة أحب **إلَيَّ من قيام ليلة**[٤].

ونقل العطار عن سري السَّقَطِيِّ **أنه كان يقول**: منذ أربعين سنة تتمنى نفسي شرب العسل، ولكني لم أجبها[٥].

وعلى ذلك يتركون التكسب -ويرونه من المبغضات بل المنكرات والمحرمات، ويأمرون بالتسول والاستجداء أو الكسل والخمول- مع أنه من سنة رسول الله وسنة خلفائه الراشدين المهديين بعده، الذين أُمِرَ المؤمنون باقتدائهم واتباع سنتهم، وهو سنة أصحاب رسول الله ﷺ عامة إلا من أعوزه الفقر أو أقعدته الملمات.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تعد ولا تحصى، نذكر منها ما

---

(١) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ١٦٤ .

(٢) «درر الغواص» للشعراني ص ٩٥ من هامش «الإبريز» للدباغ ط مصر.

(٣) «أوراد الأحباب وفصوص الآداب» (فارسي) لأبي المفاخر يحيى الباخرزي بتحقيق إبرج أفشار ص ٢٣٣ط جامعة طهران ١٩٦٦م.

(٤) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٣٤

(٥) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار ص ١٥٣ ط لاهور.

رواه المقداد بن معديكرب أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يديه»[١].

وروت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»[٢].

وقال ﷺ:

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه»[٣].

وعن رافع بن خديج **أنه قال:**

«قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»[٤].

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال:

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[٥].

وأخيرًا ما رواه الزبير بن العوام عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[٦].

وفي هذا المعنى ما رواه أبو داود وابن ماجه **«أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ فقال: بلى، حِلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: ائتني بهما. فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا**

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) رواه أبود داود ومثله في الدارمي.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الترمذي، والحاكم، والدارمي واللفظ له.

(٦) رواه البخاري.

آخذهما بدرهمين. **فأعطاهما إيّاه، فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك**، واشتر بالآخر قدومًا، فأتني به. **فأتاه به، فشد فيه** رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب **وبع، ولا أرينك خمسة** عشر يومًا. فذهب الرجل يحتطب ويبيع، **فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم**، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا. **فقال رسول الله ﷺ: هذا** خير لك من **أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة** لا تصلح إلا لثلاثة: **لذي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أو لذي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أو لذي** دَمٍ مُوجِعٍ»[(١)].

وعن أبي سعيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[(٢)].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا حسد إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالًا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار**»[(٣)].

وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**»[(٤)].

وعن أبي هريرة قال: «**يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المُقِلّ، وابدأ بمن تعول**»[(٥)].

فهذا ما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه في فضل الكسب، وهو أزهد العالمين وأتقاهم لله، وقد أقرَّ بذلك الطوسي حيث قال: إن التكسب من سنة رسول الله ﷺ. ونقل عن سهل بن عبد الله أنه قال: من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة. كما نقل عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول: لا خير فيمن لا يذوق ذلَّ المكاسب.

---

(١) «مشكاة المصابيح» ج ١ ص ٥٨١ .
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أبو داود.

وأيضًا مكاسبك لا تمنعك عن التعويض والتوكل إذا لم تضيعهما في كسبك[١]

ولكن المتصوفة يقولون عكس **ما قاله** الرسول وما أمر به وما ورد في كتاب الله، فقولون من طلب معاشًا فقد ركن إلى الدنيا[٢]

وأبو نصر السراج الطوسي الذي أقرَّ بكون التكسب سنة رسول الله ﷺ **هو الذي نقل عن ذي** النون المصري أنه قال إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء[٣] **كما ذكر أن رسول** الله ﷺ لم يأمر أصحابه بطلب المعاش[٤] ظنًا منه **بأن التكسب رخصة وإباحة لمن** لم يطق حال التوكل[٥] وهذا غلط وفاسد؛ **لأن التوكل ليس معناه الترك، بل معناه الجد والعزم،** ثم الاعتماد على الله بأنه وحده **يثمر الجهود ويقللها من النجاح لا الإنسان،** وهذا معنى قوله تعالى ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٦]

ولكن ابن محمد الشطا الدمياطي يقول. اترك الكسب حال كونك متجردًا عن الأهل والأولاد[٧]

وذكروا عن ابن السماك أنه كان يقول. لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولاً بما أنت عليه مسئول غدًا، وإياك والفضول فإن حسابها يطول

إني علمت وخير العلم أنفعه ... أن الذي هو من رزقي سيأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعديني[٨]

---

(١) انظر كتاب «اللمع» للطوسي ص ٩٥٢ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م.
(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٦٥
(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ص ١٦٢
(٤) أيضًا ص ١٨٤
(٥) أيضًا ص ٥٢٤
(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٩
(٧) «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» لأبي بكر محمد الشطا الدمياطي ط دار الكتب العربية مصر
(٨) «شرح كلمات الصوفية» جمع وتأليف محمود الغراب ص ١٤٠ ط القاهرة ١٤٠٢هـ.

وحكوا في كتبهم عن أويس القرني أنه لقيه هرم بن حبان **على شاطئ الفرات يغسل** كسرًا وخرقًا قد التقطها من المنبوذ، وكان **ذلك** أكله **ولباسه، قال**: فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال. **في أي شيء خرجت؟ قلت**: اطلب المعاش فقال إذا وقع الطلب ذهب **الزهد**[(١)]

وذكر السهروردي عن أبي يزيد **البسطامي أنه قيل له: ما** نراك تشتغل بالكسب؛ **فمن أين معاشك؟ فقال: مولاي يرزق** الكلب والخنزير تراه لا **يرزق أبا يزيد**[(٢)]

ويقول السهروردي أيضًا: إذا كمل شغل الصوفي بالله، وكمل زهده لكمال تقواه بحكم الوقت عليه يترك التسبب[(٣)]

ونقل عبد الرحمن الجامي الصوفي الفارسي الكبير عن إبراهيم بن أدهم. أنه قال لشخص أتريد أن تكون وليًا من أولياء الله؟ فقال: نعم. فقال له. لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة[(٤)]

وذكر الفيتوري عن فتح الله بوراس القيرواني أنه كان من أهل التوكل ولا يكتسب من الدنيا شيئًا، ولا قبضت يده منجلًا يحصد به الزرع، ولا جعل محراثًا يحرث في أرض بادية ولا حاضرة، ولا وجبت عليه زكاة الفطر قط[(٥)]

وقال ابن عجيبة الحسني التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التدبير والاختيار. والصوفي الصادق علامته أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة[(٦)]

---

(١) ««قوت القلوب»» لأبي طالب المكي ص ٢٦٧

(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٥٩، أيضًا كفاية الأتقياء للدمياطي ص ٢٨

(٣) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٥٣

(٤) ««نفحات الأنس»» للجامي ص ٦ طبعة فارسية إيران ١٣٣٧ هجري قمري.

(٥) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص ٧٤ ط مكتبة النجاح طرابلس ١٩٧٦م.

(٦) ««ايقاظ الهمم» في شرح الحكم» لابن عجيبة الحسني ص ٤ط البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٢م.

ونقل الجامي عن إبراهيم الهروي أنه قال: من أراد أن يبلغ كل الشرف فليختر سبعًا على سبع الفقر على الغني، والجوع على الشبع، والدون على المرتفع، والذلّ على العزّ، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة[١] ومثله في «غيث المواهب»[٢]

وكتب فريد الدين العطار حكاية عن إبراهيم بن أدهم أنه قال لأحد أثناء طوافه حول الكعبة: لا تصلح أن تعدَّ في الصالحين ما لم تغلق على نفسك باب العز والتنعم وتفتح باب الذل والفقر[٣]

فهكذا أعرض الصوفية عن التكسب والأشغال بطلب الرزق بظنٍّ منهم أن هذه تعاليم الإسلام وحاشاه عن ذلك، وهكذا حثُّوا الناس على التمسك بالفقر والذل، واختيار الخمول الكسل.

هذا، ومن تطرفات المتصوفة التعري، وتعذيب النفس والجسم، ولقد ذكرنا منها روايات وحكايات عديدة في كتابنا «التصوف. المنشأ والمصادر»[٤]

ونورد ههنا في بيان تقشفهم وغلوهم في ترك الطيبات التي أحلها الله لعباده، وأخرجها للمؤمنين، وتزين بها رسول الله ﷺ وأصحابه وتلامذته الراشدون، فيذكر ابن الملقن. قال بعض الصوفية دخلت على بشر في علته، فقلت. عظني. فقال إن في هذه الدار نملة، تجمع الحبَّ في الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يومٌ أخذتْ حَبَّة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أمَّلت نالت[٥]

ونقل الكلاباذي عن أبي المغيث وهو يذكر مجاهدته، فيقول. كان لا

(١) ««نفحات الأنس»» للجامي ص ٤٥

(٢) انظر «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ص ٢٠٠

(٣) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار أردو ص ٦١ ط باكستان.

(٤) انظر الباب الثاني.

(٥) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ١١٦ ط مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٣م.

يستند ولا ينام على جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته **عينه قعد، ووضع جبينه على** ركبتيه فيغفو غفوة[(١)].

وهذا مع ذكر الرب تعالى المؤمنين في قوله:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[(٢)].

وأما نجم الدين الكبرى المتوفى **٦١٨هـ فقد كذب على** عيسى -عليه السلام- حيث قال: **إنه كان نائمًا متوسدًا بلبنه، فهب** من منامه فإذا اللعين عند رأسه، **فقال له: ما جاء بك إليّ؟ فقال:** طمعت فيك. فقال: يا ملعون أنا روح الله **كيف تطمع في؟ قال:** إنك أخذت قماشي فطمعت فيك. قال: وما ذاك القماش؟ **قال:** هذه اللبنة تحت رأسك. فرماها عيسى -عليه السلام- حتى فارقه[(٣)].

وذكر الطوسي عن ابن الْكُرَيْنِيّ -وكان أستاذ الجنيد- أنه أصابته جنابة ليلة من الليالي، **وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة، فجاء إلى الشط ليلة، وكان بردًا** شديدًا، فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد. قال: فطرح نفسه في الماء مع المرقعة، ولم يزل يغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء، وقال: اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف علي. قال: فلم تجف عليه شهرًا كاملًا، وأراد بذلك تأديبًا لنفسه[(٤)]. وهل هذا تأديب أو تعذيب؟

وذكر الصوفي الهندي للاهوري عن يوسف الأسباط أنه كان من أولياء الله الكبار، قد مكث عريانًا أربعين سنة لم يكن يضع على جسمه شيئًا إلا قطعة من المسوح يستر بها عورته[(٥)].

---

(١) «التعرف لمذهب أهل التصوف» لأبي بكر الكلاباذي ص ١٧٥ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩١ .

(٣) «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين الكبرى ص ١٥ ط بتصحيح المستشرق الألماني الدكتور فريتزمائر ط ويسبادن ألمانيا ١٩٥٧م.

(٤) كتاب «اللمع» للطوسي ص ١٩٨ .

(٥) انظر «خزينة الأصفياء» لغلام سرور اللهوري ص ٣٦ .

ومنها ما ذكروه عن الشيخ الشرياني القصوري **أنه** تعرى وتجرد عن الثياب ومكث متعريًا صيفًا وشتاءً إلى أن أدركه الموت، **وكان مع** ذلك يصطلي نارًا ليلًا ونهارًا في الصيف المحرق **والشتاء المبرد**[١]. **ومثله الآخر** ذكره كل حسن القادري في «التذكرة الغوثية»[٢].

ونقل العطار عن الجنيد أن رجلًا شكى إليه **الجوع والتعري، فقال: أجاعك الله وعراك**؛ لأن الجوع والتعري من نِعَمِ الله، لا يرزقها إلا لعباده **المقربين**[٣].

وذكر **الطوسي عن حسن الفزار** الدينوري أنه حج اثنتي عشرة حجة حافيًا، مكشوف الرأس، **فكان إذا دخل في رجله شوك** يمسح رجله بالأرض ويمشي[٤].

مع ورود النهي عن النبي ﷺ في مثل ذلك حيث روى ابن عباس أنه: **«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أختي نذرت أن تحج ماشية. فقال النبي ﷺ: إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئًا، فلتحج راكبة، وتكفر عن يمينها»**[٥].

وفي هذا المعنى روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يهادي بين ابنيه، فسأل عنه؟ فقالوا: نذر أن يمشي. فقال: إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه. وأمره أن يركب[٦].

هذا ويذكر الدريني عن صوفي مشهور ملقب بمسروق أنه حج فما نام قط إلا ساجدًا[٧]. أهذه مفخرة أم زيادة على الكتاب والسنة؟ وأين هذا من حديث

---

(١) «تذكرة أولياء بر صغير» لميرزا الدهلوي ج ٤ ص ١٠٢ باكستان.

(٢) انظر «تذكرة غوثية» ص ٢٩١ ط تجلي بريس دلهي.

(٣) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٨٩

(٤) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٢٣ .

(٥) رواه أبو داود.

(٦) رواه أبو داود.

(٧) انظر «طهارة القلوب» لعبد العزيز الدريني ص ١٦١ط مصطفى البابي الحلبي.

الرسول ﷺ كما ذكره النفزي أيضًا في كتابه حيث روي **عن أبي هريرة** ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» رواه البخاري[١].

وأما تطرفهم في سهر الليالي وقلة النوم **فيذكر الهجويري عن أبي الفوارس** شاه بن شجاع الكرماني أنه ورد **في آثاره أنه لم ينم لأربعين عامًا**، وعندما نام **رأي الله سبحانه وتعالى في النوم، فقال: يا إلهي**، كنت أطلبك بسهر الليالي **فرأيتك في النوم. فقال: يا شاه، لقد أدركت** في النوم بغيتك بسهرك الليل، ولو كنت **نمت هناك لما رأيت هنا**[٢].

وحكى مثل **ذلك** الغزالي عن وهب بن منبه أنه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل، فذهب عنه النوم أربعين سنة[٣].

مع أن رسول الله ﷺ كان ينام ويسهر، ويعمل ويستريح، وأصحابه كذلك، وأن الله **-عز وجل- قال**:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾[٤].

ولكن الصوفية يروون عن مشايخهم أنهم لم يكونوا ينامون الليل ويقطعونه في الذكر والتلاوة، كما ذكر ابن عجيبة الحسني: وقد كان منهم من يقطع الليل كله في ركعة، ويختم القرآن في كل ليلة[٥].

ويحكي عبد السلام الفيتوري عن نفسه أنه يسبح سبعين ألفًا وباسم الجلالة خمسمائة ألف في كل يوم وليلة، ويختم القرآن قبل أن يستقر الضيا[٦].

---

(١) انظر «غيث المواهب العلية» ج ٢ ص ١٦٨ .

(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣٥٠ ترجمة عربية ط بيروت، أيضًا «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٦٩ .

(٣) ««مكاشفة القلوب»» للغزالي ص ٣٠ ط الشعب القاهرة.

(٤) سورة الفرقان الآية ٤٧ .

(٥) «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٤٦٠ .

(٦) «الوصية الكبرى» للفيتوري ص ٦٦ .

وبقطع النظر عن عدم وقوع هذا عقلًا كره الرسول ﷺ ختم القرآن في أقل من ثلاث حيث قال

«لم يفقه من قرأ في أقل من ثلاث»[١].

ولكن القوم جعلوا الغلو والمغالاة من أصول الولاية والكرامة مسفهين العقل، فينقل المنوفي الحسيني عن عبد الفتاح الشبلنجي الشاذلي أنه كان يصلي مائة وثمانين ركعة تهجدًا كل ليلة، ويقرأ نصف القرآن كل نهار مع سبعين ألفًا على المسبحة مع أوراد وأذكار شتى[٢] ونقل عن بعضهم أنه ادعى: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم وأقوم الليل[٣].

ونقل الجامي عن الجنيد أنه قال: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه سبعون سنة ما رؤي مضطجعًا إلا في علة الموت[٤].

ونقل القوم عن عطاء السلمي أنه كان إذا جنَّه الليل يخرج إلى المقابر، فلا يزال يناجيهم إلى الفجر[٥]

وذكر الشعراني عن الربيع أنه كان يخرج إلى المقابر ويحيي الليل كله هناك[٦]

ونقل الهجويري عن النوري أنه ظل يصرخ لمدة ثلاثة أيام وليال في بيته واقفًا في مكان واحد[٧]

ولم يستحي الشعراني فيما نقل رابعة البصرية كانت تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها ألك حاجة؟ فإن قال لا قامت إلى الصباح[٨]

---

(١) رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي، وصححه الألباني

(٢) انظر «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ج ٢ ص ٢٧٤ ط مؤسسة الحلبي بالقاهرة

(٣) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٣٦

(٤) «نفحات الأنس» للجامي ص ٥٣

(٥) «تنبيه المغترين» للشعراني ص ٣٤، ٣٥ط.

(٦) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ١ ص ٢٨

(٧) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣٤٤

(٨) «تنبيه المغترين» للشعراني ص ٣٥

وقال الدريني: كان السلف الصالحون إذا بلغ أحدهم أربعين سنة **طوى** فراشه[(١)].

والحاصل أن الصوفية يفتخرون بكثرة التعبد **وقيام الليل كله مع ورود** النهي في محكم التنزيل لصفي الله ونجيه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ **نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[(٢)].

وروى **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة وترجمان القرآن، قال:

«بت عند خالتي ميمونة ليلة، والنبي ﷺ عندها، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد؛ فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد، فنظر إلى السماء فقرأ:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حتى ختم السورة، ثم قام إلى القربة فأطلق شناقها ثم صب في الجفنة، ثم توضأ وضوءًا حسنًا بين الوضوءين، لم يكثر وقد أبلغ، فقام فصلى، فقمت وتوضأت، فقمت عن يساره، فأخذ بأذني فأدارني عن يمنيه، فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فآذنه بلال بالصلاة فصلى[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»**[(٤)].

هذا، ومن تطرفات الصوفية وغلوهم في التعبد والتحنث ما نقلوه عن الجنيد أنه كان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم

---

(١) «طهارة القلوب» لعبد العزيز الدريني ص ١٦١ ط مصطفى البابي الحلبي.

(٢) سورة المزمل الآية ١: ٤ .

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

يعود[١]. وحكوا عن الآخر أنه كما يصلي كل يوم ألف ركعة[٢].

ونسب الشعراني إلى أويس القرني أنه قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة[٣].

وحكى العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يصلي أربع ركعات للعشاء، وكان إذا فرغ قال: إن هذه الصلاة غير مقبولة عند الله. وكان يعيدها، ثم إذا فرغ يعيدها، وهكذا يفعل حتى ينقضي الليل كله[٤].

ألا يُعدُّ ذلك تجاوزًا عمَّا أمر الله به في كتابه وثبت عن رسول الله في سنته، أليس هذا هو معنى التقدم بين يدي الله ورسوله المنهي عنه في كتاب الله العظيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥]؟ أوليست هذه الفروض والواجبات التي فرضوها وأوجبوها عن أنفسهم حسب ما ينقل القوم عنهم، والعهدة على من نقل، والكلام على ما نقل مضاهاة للشارع والشرع، أفلا يندرج كل هذا تحت وعيد الله عز وجل:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٦].

أو تحت قول رسول الله ﷺ:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٧].

فالحاصل من الحكايات والادعاءات التي سردناها آنفًا أن الصوفية يريدون أن يثبتوا منها أن مشايخهم وأولياءهم ورؤساءهم كانوا قد وقفوا أنفسهم،

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج١ ص ١١٩، «مكاشفة القلوب» للغزالي ص ٣٠، «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج١ ص ٢٨٣.

(٢) «تنبيه المغترين» للشعراني ص ١١٤ ط.

(٣) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ٢٧.

(٤) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٩٤.

(٥) سورة الحجرات الآية ١.

(٦) سورة الشورى الآية ٢١.

(٧) متفق عليه.

ونذروا حياتهم للتعبد والتطوع، ولم يكونوا يشتغلون بشيء من أمور الدنيا، بل كان كل همهم الصيام والقيام، والذكر والسهر، والتسبيح والتهليل، والمجاهدات والرياضات، وإنها لرغبة عن سنة الرسول ﷺ وإعراض عن أسوته وقدوته واتباع سيرته كما روى ذلك عن أبي بردة أنه قال:

«دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيناها سيئة الهيئة، فقلت لها: ما لك؟ فما في قريش رجل أغنى من بعلك؟ قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فلقيه فقال: يا عثمان، أما لك بي أسوة؟ قال: بأبي وأمي أنت! وما ذاك؟ قال: تصوم النهار، وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل. قال: لا تفعل، إن لعينك عليك حقًا، وإن لجسدك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فصل ونم، وصم وأفطر»(١).

وعن أبي قلابة بلغ به ﷺ «أن ناسًا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا، فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعدًا شديدًا، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت. ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفية السمحة»(٢).

واعترف بذلك ابن زروق أيضًا حيث قال: الأجر على قدر الاتباع لا على قدر المشقة، والتشديد في العبادة منهي عنه كالتراخي عنها(٣).

ومن تطرفات الصوفية وزيادتهم، وغلوهم، وتعنتهم، ومبالغتهم في الخوف من الله تعالى كما ذكر صاحب «الأخلاق المتبولية» عن مشايخه أن كل واحد منه يغلب عليه البكاء والخوف، فيصير يتمرغ في الأرض كالطير المذبوح(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الدارمي.

(٣) «قواعد التصوف» لأحمد بن محمد زروق ص ٥٥-٥٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ.

(٤) انظر «الأخلاق المتبولية» لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ١٤٩ .

وأيضًا: الصوفية دائمًا يخافون أن يمسخ الله صورهم صورة كلب أو خنزير[١].

وقالوا: ومن أخلاق الصوفية خوفهم أن الله تعالى يخسف بهم الأرض[٢].

وذكر الكلاباذي والنفزي والشعراني وغيرهم عن السري السَّقَطِيّ أنه قال: إني لأنظر في المرآة كل يوم مرارًا مخافة أن يكون قد اسود وجهي[٣].

ونقل عن الكرخي أنه قال: أخاف أن لا يقبلني فأفتضح[٤].

وروى اليافعي عن أبي بكر الوراق أنه قال: ربما أصلي لله تعالى ركعتين فأنصرف عنهما، وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء[٥].

والكلاباذي نقل عن الفضيل أنه قال: الناس مغفورون كلهم لولا مكاني فيهم[٦].

وحكى العطار عن فتح الموصلي أنه كان يبكي كثيرًا حتى جرى الدم من عينيه، فسئل: لماذا هذا البكاء الشديد؟ قال: خوفًا من الله[٧].

ومثل ذلك نقل عنه ابن الملقن أيضًا حكاية عن أبي إسماعيل أنه قال: دخلت عليه يومًا، وقد مد كفه يبكي، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تتحدر، فدنوت منه؛ لأنظر إليه، فإذا دموعه قد خالطها صفرة، فقلت: بالله يا فتح، بكيت الدم؟ فقال: نعم، ولولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك.

---

(١) أيضًا ج ١ ص ٤٤٢ .

(٢) أيضًا ٤٤٢ .

(٣) «التعرف لمذهب أهل التصوف» ص ٧٠، أيضًا «غيث المواهب» ج ١ ص ١٣٤، أيضًا «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٢ ص ١٢ .

(٤) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٢ ص ٢١٢، «الأخلاق المتبولية» ج ٣ ص ١٥٣ .

(٥) «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ج ١ ص ٣٨٣ بهامش «جامع كرامات الأولياء» ط دار رضا.

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٧٠ .

(٧) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٥٧ .

فقلت: على ماذا بكيت الدموع ثم الدم؟ فقال: بكيت **الدموع على تخلفي عن** واجب حق الله، وبكيت الدم بعد الدموع حزنًا **ألا تكون قد صحت لي توبتي**[(١)].

وقال عماد الدين الأموي: حكي أن **الحسن البصري أقام ثلاثين** سنة لم يضحك. وقيل: إن عطاء السلمي **لم يضحك أربعين سنة**، وهذا كان حال سائر عباد البصرة، **غلبت عليهم المخاوف فكان** حالهم الحزن[(٢)].

وقد عد المتصوفة الحزن الدائم وعدم الضحك من علائم الخشية والتقوى مع أن رسول الله ﷺ **وهو أتقى** العالمين وأخشاهم لله كان يضحك ويبتسم، وقد روي عن عبد الله بن الحارث أنه قال: **«ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ»**[(٣)].

وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لِمَا أمرني به رسول الله ﷺ فخرجت حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله»[(٤)].

وعنه أيضًا قال:

«كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، ورجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٢٧٩ .

(٢) «حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب» لعماد الدين الأموي ص ١٥ بهامش «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»[١].

هذا ولقد حكى الصوفية عن أبي حفص أنه قال: منذ أربعين سنة أعتقد في نفسي أن الله ينظر إليَّ نظرة السخط[٢].

ومن أطرف وأعجب ما نقلوا في ذلك هو ما حكاه الشعراني عن العلاء بن زياد أنه ربما بكى سبعة أيام متوالية لا يذوق فيها طعامًا ولا شرابًا[٣].

فهذه هي شدة الصوفية وزيادتهم، تطرفهم ومغالاتهم في الخوف من الله تعالى. وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في هذا الخصوص: ومن خاف الله خوفًا مقتصدًا، يدعوه إلى فعل ما يحبه الله وترك ما يكره الله، من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء، وهو حال الصحابة ﷺ وأفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهاداتهم ووسعهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾

وقال ﷺ:

«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم». فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء، أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع[٤].

وإن الصوفية قد تطرفوا في التوكل على الله تعالى، وقطع الأسباب، وإغلاق باب الوسائل، وترك التحرز والاحتياط، ففسروا التوكل بغير معناه

---

(١) متفق عليه.

(٢) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج١ ص ١٣٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط القاهرة.

(٣) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ٣٥ .

(٤) «رسالة الصوفية والفقراء» لشيخ الإسلام ص ٢٠ ط دار الفتح القاهرة ١٤٠٤هـ.

الشرعي مما يخالف الكتاب والسنة، وعطَّلوا الجوارح **عن العمل، وظنُّوا أن الحركة** تنافي اليقين التوكل، فآثروا الخمول والكسل **على الجدِّ والعمل**، ورجَّحوا الراحة والسكون على الشغل والحركة، **كما نقل السلمي عن رويم** ابن أحمد البغدادي أنه قال. التوكل **إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق** بأعلى العلائق[١] ونقل عن الخواجه **عبد الله الأنصاري الهروي** أنه قال التوكل هو **إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب اجتهادًا** في تصحيح التوكل[٢]

ومثل ذلك قال ابن عجيبة الحسني موضحًا للمصطلح الصوفي التجريد

الشغل دون الكسب بالعبادة محض التوكل ورأي السادة

ثم السؤال آخر المكاسب وهو بشرط الاضطرار واجب

الاشتغال بالعبادة والتجريد عن الأسباب من أعظم القرب عند الألباب، إذ **لا يصفو الباطن من الأعيار ويملأ بالمعارف والأسرار إلا إذا تخلص الظاهر من كثرة الأكدار، ولا يتخلص من الأكدار إلا إذا تجرد من الأسباب** واتكل على الملك الوهاب[٣]

ويشرح معنى التوكل الصوفي أحمد الكمشخانوي حيث يكتب. وقال الحسن أخو سنان حججت أربع عشرة حجة حافيًا متوكلًا، وكان يدخل في رجلي الشوك فلا أخرجه؛ لئلا ينقض توكلي.

وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادًا وجاء جماعة من الشام إلى بشر الحافي، فطلبوا منه أن يحج معهم، فقال لهم نعم، ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيئًا، ولا نسأل أحدًا شيئًا، ولا نقبل من أحد شيئًا فقالوا أما الأول والثاني فنقدر عليه، وأما الثالث فلا نقدر عليه فقال خرجتم تحجون متوكلين على زاد الحجاج.

وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة فبينما أنا في الطريق إذ وقعت

---

(١) «طبقات السلمي» ص ٤٣ ط مطابع الشعب ١٣٨٠هـ.

(٢) «منازل السائرين» للخواجه عبد الله الأنصاري المنوفي ٤٨١هـ ص ٧٦ ط.

(٣) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسنى ص ٢٣٤، ٢٣٥ط عالم الفكر القاهرة.

في بئر، فطلبت مني نفسي أن أستغيث، فلم أفعل، فما تم هذا الخاطر حتى مرَّ برأس البئر رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى نسد رأس هذا البئر؛ لئلا يقع فيها أحد. فوافقه صاحبه، فهممت أن أصيح، ثم قلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب منهما. ثم سكت حتى سدوا رأس البئر ومضوا، فلما مضت ساعة سمعت حس شيء فتح رأس البئر ودلى رجله، وقال لي بلسان حاله: تعلق برحلي. فتعلقت بها، فأخرجني فإذا هو سبع فتركني ومرّ، فسمعت هاتفًا يقول: يا أبا حمزة، كيف ترى نجيناك من الهلاك بالهلاك؟!

وقال أبو سعيد الخراز: دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد، فسررت بالوصول، ثم فكرت في نفسي أنني سكنت إلى غير الله في توكلي، فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها.

وقال إبراهيم الخواص: بينا أنا أسير في البادية إذ قال لي أعرابي: يا إبراهيم، التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك، أما تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك يقويك، اقطع رجاءك عن دخول البلدان وتوكل[1].

وإليكم الآن نصًّا مهمًّا في هذا الخصوص ذكروه عن أبي مدين، يتضح منه مفهوم التوكل الصوفي؛ وهو الهروب عن طلب الحلال والتكسب، واللجوء إلى الراحة والتعطيل، والنصُّ بتمامه كما يلي:

الإمام أبو مدين عبد صالح إمام في التوحيد والتوكل، كان ببجاية من بلاد المغرب، وكان يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس، وكان قوي اليقين، ويدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهم من عبادة الله، فترك الحرفة، وجلس مع الله على ما يفتح الله له، وكان على طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس؛ فإنه كان يرد شيئًا يؤتى إليه به فقيل له: يا أبا مدين، لِمَ لا تحترف، أو لِمَ لا تقول بالحرفة، أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب

---

(١) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ٢٤٣-٢٤٤ .

وإنه الأفضل من غير الكسب؟ فقال: بها. فقيل له: فلم لا تحترف؟ فقال: الضيف عندكم إذا نزل بقوم وعزم على الإقامة كم تواقيت زمان وجوب ضيافته عليهم؟ قالوا: ثلاثة أيام. قال: وبعد ثلاثة الأيام؟ قالوا: يحترف ولا يقعد عندهم حتى يحرجهم. فقال ﷺ: ألستم تعلمون أن الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنص عليهم القيام بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيمًا، ولو أن الضيف في تلك الأيام أكل من كسبه أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟ فقالوا: نعم. قال الشيخ: الله أكبر أنصفونا إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافًا عنده، فهم في ضيافة الله فنحن أضياف ربنا -تبارك وتعالى- نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد، فتعينت الضيافة، فإنه تعالى ما دل على كريم خلق لعبده إلا كان هو أولى بالإنصاف به، فضيافتنا ثلاثة أيام. ثم قال: وأيام ربنا كما قال: كل يوم كألف سنة مما تعدون. فضيافته بحسب أيامه، ونحن نأخذ ضيافته على قدر أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة، وإذا أكمل ثلاثة أيام الله من نزلنا عليه وانقضت لا نحترف ولا نأكل من كسبنا، عند ذلك يتوجه اللوم واعتراضكم علينا وإقامة مثل هذه الحجة علينا، ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا[١].

ثم علق عليه المؤلف بقوله: انظر يا أخي ما أحسن نظر هذا، وما أعظم موافقته للسنة، فلقد نور الله قلب هذا الشيخ، فحق الضيف واجب؛ ولذلك استحسن ذلك منه المعترض، وانظر من هذا النفس إن كنت منهم.

واتفق للشيخ -وكان وقته التجريد وعدم الادخار- أن نسي في جيبه دينارًا وكان كثيرًا ما يرتب منقطعًا في جبل الكواكب، وكانت هناك غزالة تأتي إليه فتدر عليه، فيكون ذلك قوته؛ فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة وهو محتاج إلى الطعام، فمد يده على عادته إليها ليشرب من لبنها، فنفرت عنه، وما

---

(١) «شرح كلمات الصوفية» جمع محمود محمود الغراب ص ٢٧٧-٢٧٨ ط القاهرة ١٤٠٢هـ.

زالت تنطحه بقرونها، وكلما مد يده إليها نفرت منه، ففكر في سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه، ورمى به في موضع يفقده ولا يجده، فجاءت إليه الغزالة، وأنست به ودرت عليه[1].

ونقل العطار عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: خرجت إلى البرية متوكلًا على الله تعالى، فما وجدت فيها شيئًا للأكل مدة طويلة، فخطر على بالي أن أذهب إلى صديقي وآكل من عنده، فهتف بي هاتف: إن الله طهر الأرض من المتوكلين. قلت: ما هذا الصوت؟ ثم هتف هاتف: من أراد أن يأكل من بيت صديقه فليس بمتوكل[2].

هذا، وثبت عن رسول الله ﷺ ما يدل على خلاف ذلك تمامًا، وفيه ردٌّ وافٍ على الفكرة الصوفية الباطلة المخترعة، التي تناقض أسوة الرسول ﷺ وحياته الطيبة المباركة، فيروي أبو هريرة رضي الله عنه ويقول:

«خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا. فقاموا معه، فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته؛ فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: إيّاك والحلوب. فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا[3]».

فمن المتوكل؟ رسول هذه الأمة المجيدة، أم مشايخ الصوفية»؟

واعتمادًا على توكلهم غير الشرعي كانوا يخرجون للحجِّ بدون زادٍ ولا راحلة، كما يذكر ابن عجيبة الحسني عن إبراهيم الخواص أنه يقول: لقيت

(١) أيضًا ص ٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٦٠ .

(٣) رواه مسلم.

فقيرًا في البادية، فقلت له: إلى أين؟ فقال: إلى مكة. قلت: بلا زاد ولا راحلة؟ فقال: الذي يمسك السماوات والأرضين ويحفظهما لا يعجزه قوتي بلا سبب ولا علاقة. فقلت: صدقت[١].

وحكى أيضًا عن بعض مشايخه أنه دخل برية الحجاز مع أصحابه بغير زادٍ، فلما طالت عليهم المدة وأجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق وهزَّ شجرة، فأسقطت رطبًا جنيًا فأكلوا منها إلا شابًا، فقال له الشيخ، لِمَ لَمْ تأكل؟ قال: إني نويت التوكل على الله، ورفضت الأسباب جملة، فكيف أجعلك عندي بمنزلة السبب حتى تكون النفس متشوقة لما علمت منك. ثم لم يصحبهم تصحيحًا ليقينه وإتمامًا لعقده[٢].

وكذلك ذكر الجعلي الفضلي في «طبقاته» كثيرًا من الصوفية الذين خرجوا للحجِّ لا زادَ معهم ولا ماء[٣].

ونقل العطار عن إبراهيم بن أدهم أنه خرج إلى الحجِّ مع أصحابه، فقال له أصحابه في الطريق: ليس عندنا شيء من الزاد. فقال: توكلوا على الله، وانظروا إلى تلك الشجرة التي صارت ذهبًا. فنظروا فإذا الشجرة من ذهب[٤].

وروى ابن الملقن عن فتح الموصلي أنه قال: رأيت غلامًا بالبادية لم يبلغ الحلم، وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه، فسلمت عليه، فردَّ على السلام، فقلت إلى أين؟ قال: إلى بيت ربي. فقلت: وبماذا تحرك شفتيك؟ فقال: أتلو كلام ربي. فقلت له: إنه لم يجرِ عليك قلم التكليف. فقال: رأيت الموت يأخذ مَنْ هو أصغر مني سنًا. فقلت: خطوك قصير، وطريقك بعيد. فقال: إنما علَيَّ نقل الخطا وعليه الإبلاغ. فقلت: فأين الزاد والراحلة؟ قال: زادي يقيني، وراحلتي رجلاي[٥].

---

(١) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٣١٦ .

(٢) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٤٤١ .

(٣) انظر كتاب «الطبقات» للجعلي للفضلي ص ٦١ ط المكتبة الثقافية بيروت.

(٤) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٦٤ .

(٥) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٢٧٧، ٢٧٨ .

وأما تعاليم الإسلام فهي بعكسها تمامًا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان أهل اليمن** يحجون فلا يتزودون، ويقولون: نحن **المتوكلون. فإذا** قدموا مكة سألوا **الناس**، فأنزل الله تعالى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾»[1].

ولم يأمر النبي ﷺ أصحابه ورفاقه البررة بهذا النوع من التعطل؛ بل أمرهم بالطلب والعمل حيث قال:

«إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل **رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب**»[2].

وعن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- قال:

«**قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل**»[3].

وأما التوكل الصوفي فليس إلا إيثارًا للخمول، والجلوس في الرباطات والخانقاوات، وهروبًا عن الجد والكد، والاجتهاد والجهاد، كما يذكر السهروردي عن «عوارفه» رواية عن داود بن صالح أنه قال: قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن: يابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية:

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾؟

قلت: لا. قال: يابن أخي، لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يربط فيه الخيل، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة، فالرباط لجهاد النفس، والقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه، قال الله تعالى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

قال عبد الله بن المبارك: هو مجاهد النفس والهوى، وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر، على ما روي في الخبر«**أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**».

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه في «شرح السنة»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) رواه الترمذي.

وقيل إن بعض الصالحين كتب إلى أخٍ له يستدعيه **إلى الغزو**، فكتب **إليه: يا أخي** كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد، **والباب عليَّ مردود. فكتب** إليه أخوه: لو كان الناس كلهم لزموا ما **لزمته لاختلت أمور المسلمين** وغلب الكفار؛ فلا بد من الغزو والجهاد. **فكتب إليه: يا أخي، لو لزم** الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم **على سجاداتهم: الله** أكبر. لانهدم سور القسطنطينية[1]

هذا، وإن هناك أنواعًا أخرى من تطرفات المتصوفة في إظهار التواضع والذلّ، والرضا **بالدون والمسكنة** وهوان النفس، والسقوط في أعين الناس، فمن الصوفية المصابين بهذا النوع من التطرف الذي سموه خشوعًا وتواضعًا ورياضة للنفس أستاذ الجنيد أبو الحسن الْكُرَيْنِيّ كما ينقل عنه أبو طالب المكي وابن عجيبة أنه قال: نزلت في محلة فعُرفت فيها بالصلاح، فتشتت قلبي فدخلت حمامًا في جوف المحلة، وعتيت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها، ثم لبست مرقّعتي فوقها وخرجت أمشي قليلًا قليلًا ليفطن بي، فلحقوني فنزعوا مرقعتي، واستخرجوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربًا، فصرت أُعرف في الناحية بلصّ الحمام، فسكنت نفسي[2]

ويخرج نفسه عن حدِّ الكرامة الإنسانية، ويجعلها بمنزلة الكلب في حكاية ذكروها أن رجلًا دعاه ثلاث مرات إلى طعامه ثم يردُّه، فرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله المنزل في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك، فقال قد ريضت نفسي على الذلّ عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب؛ يطرد فينطرد، ثم يدعى فيرمى له عظم فيجيء[3]

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٥٠١ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٧٤، أيضًا «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٤٠٥

(٣) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج٢ ص ١٥٩، أيضًا «قوت القلوب» للمكي ج ٢ ص ٧٤

وأغرب من هذا ما ذكره النفزي الرندي نقلا عن أبي الحسن علي بن عتيق ابن يوسف القرطبي صاحب «كتاب بغية الطالب ومنية الراغب» أنه رأى أبا محمد بن عبد الله مفيد وهو يمشي في يوم شاتٍ كثير الطين، فاستقبله كلب **يمشي** على الطريق التي كان عليها. قال فرأيته **قد لصق بالحائط، وعمل للكلب طريقًا**، ووقف ينتظره ليجوز، وحينئذن يمشي هو؛ **فلما قرب منه الكلب، قال: فرأيته قد** ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفله، وترك الكلب **يمشي فوقه. قال: فلما جاوز الكلب**، وصلت إليه فوجدته وعليه كآبة، فقلت له يا سيدي، **إني رأيتك صنعت الآن شيئًا** استغربته، كيف رميت بنفسك في الطين، وتركت **الكلب يمشي في الموضع النقي؟ فقال لي: بعد أن عملت له طريقًا تحتي ففكرت، فقلت: ترفعت على الكلب، وجعلت نفسي أرفع منه**، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة[1]

فهذا هو التواضع والانكسار عند الصوفية، يظنون الترفع على الكلاب تكبرًا موجبًا لسخط الله تعالى ومقته، ولقد صرح بذلك ابن عجيبة الحسني حيث قال من رأى لنفسه قيمة على الكلب فهو متكبر ممقوت عند الله[2] وقال الآخرون من الصوفية من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر[3]

وأما أحمد بن أبي الحسين الرفاعي فأكرم كلبًا إظهارًا لتواضعه وهوانه، وقلة شأنه، وإذلالاً لنفسه، فيذكرون عنه أنه وجد كلبًا أجرب أخرجه أهل أم عبيدة إلى محلٍّ بعيد، فخرج معه إلى البرية، وضرب عليه مظلة وصار يطليه بالدهن، ويطعمه ويسقيه، ويحت الجرب منه بخرقة، فلما برئ حمل له ماء مسخنًا وغسله[4]

---

(١) «غيث المواهب العلية» للنفزي ج٢ ص ١٥٩بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، أيضًا «ايقاظ الهمم» ص ٤٠٦

(٢) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٤٠٤

(٣) انظر«الرسالة القشيرية» ج١ ص ١١٥، «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ٣ ص ٢٠٧، أيضًا «الطبقات الكبرى» له ج ١ ص ٨٣

(٤) «قلادة الجواهر» لأبي الهدى الرفاعي ص ٦٢، أيضًا «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١١٢

ثم علق على صنيع الرفاعي هذا ساترًا إيَّاه بقناع التقدس والتألة **بقوله**: **كان قد** كلفه الله تعالى النظر في أمر الدواب والحيوانات[(١)]

وليس ذلك فحسب بل ذكر عنه أبو الهدى **الرفاعي أنه كان يبتدئ من لقيه** بالسلام حتى الأنعام والكلاب، وكان **إذا رأى خنزيرًا يقول له**: أنعم صباحًا[(٢)] وحكوا عن عبد الرحيم **القناوي أنه رأى مرة في** عنق كلب خرقة **من صوف فقام له إجلالًا**

لا تدري من أين أخذ الصوفية هذه الآداب والطرق لرياضة النفس وإذلالها؟ ومن **الذي أمر** بالانكسار والتخشع والتذلل بين يدي الكلاب والخنازير؟ وما معنى قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[(٣)]

وقوله عز وجل

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(٤)]

ونذكر أخيرًا في هذا المعنى ما نقلوه عن عَلِيٍّ السِّيرَجَانِيِّ أنه دعا الله يومًا بضريح شجاع الدين الكرماني أن يرسل إليه ضيفًا يأكل معه، إذ جاء كلب فطرده، فهتف هاتف. تطلب ضيفًا ثم تطرده فحزن جدًّا وخرج للبحث عنه ووجده في برية، فقدم إليه طعامًا فلم يأكل، فتاب الشيخ إلى الله وأناب إليه. فنطق الكلب أحسنت يا شيخ، ولو عملت هذا الصنيع بموضع غير ضريح الشيخ شجاع الدين لعوقبت عقابًا شديدًا[(٥)]

ومن الحكايات التي يسردها الصوفية بيانًا لتواضع مشايخهم ما ذكرها اليافعي نقلًا عن إبراهيم بن أدهم أنه قال ما سررت بشيء كسروري يومًا

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ٢ ص ١١٢

(٢) «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» لأبي الهدى الرفاعي ص ٦٢، ٦٣ أيضًا «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١١٢

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠

(٤) سورة التين الآية ٤

(٥) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٧١

كنت جالسًا فجاء إنسان وبال عليَّ[١].

ونقل السلمي عن أبي محمد الراسبي أنه قال: لا يكون الصوفي صوفيًا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء، ولا يكون له قبول عند الخلق[٢].

وقال آخر: الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح، ويطؤه البرُّ الفاجر[٣].

وذكر الشعراني في طبقاته حكاية أبي العباس أحمد بن مسروق بيانًا لتواضعه وانسلاخه عن التكبر، وتجرده عن الترفع، فيقول: جاءه مرة شخص فدخل داره لوليمة كانت عند أبي العباس بلا دعوة، فقال أبو العباس: لله عليَّ أن لا أدعه يمشي إلا على خدي؛ حتى لأجلس موضع الأكل. فوضع خده على الأرض، ومشى عليه الرجل إلى أن بلغ موضع جلوسه، وصار يقول: مثل هذا الرجل يتواضع لي، ويحضر وليمتي، بأي شيء أكافئه؟[٤].

فبمثل هذه التفاهات كانوا يتصنعون بالتواضع، ويتكلفون به، ويتجاوزون إلى التهاون والتخاذل غير المعهود في السلف الصالح.

وأحيانًا يأمرون مريدهم بحلق اللحية وتعليق المخلاة في رقبته إذلالًا لنفسه، وإسقاطًا لجاهه[٥].

ويقول محمد بن أبي الحسن: مددت رجلي يومًا بعد صلاة المغرب، فهتف بي هاتف: أهكذا تجالس الملوك؟[٦].

ولا شك أن هذا تدين زائد على السنة، لا يعتبر تواضعًا إسلاميًا، بل زينه الشيطان، وأما نسبة قول إلى هاتف فإنها كثيرة في كتبهم ومقولاتهم،

---

(١) «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ص ٩٧ بهامش «جامع الكرامات» للنبهاني، أيضًا «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٤١٢ .

(٢) ««طبقات الصوفية»» لأبي عبد الرحمن السلمي ص ١٢٦

(٣) «ايقاظ الهمم» ص ٥ .

(٤) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٦٣ .

(٥) انظر «النور من كلمات أبي طيفور» ص ١١٣ ضمن «شطحات الصوفية» للدكتور عبد الرحمن بدوي ط الكويت، أيضًا «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٣٦ .

(٦) «نفحات الأنس» للجامي ص ١٢٨

يخترعون شيئًا وينسبونه إلى الهاتف، ويعنون به ملكًا من **الملائكة، وأحيانًا يدَّعون** أن الله سبحانه جلَّ شأنه هو الذي خاطبهم **وهتف بهم، كما بيَّنَّا ذلك في** كتابنا «التصوف. . المنشأ والمصادر»[١].

ونختم الكلام في موضوع التطرف في **التواضع على ما ذكره الشعراني** كقاعدة عامة لجميع المتصوفة **حيث قال: لا يصلح هذا** الأمر إلا لأقوام قد كنسوا **بأرواحهم المزابل على رضًا منهم واختيار**[٢].

وهناك تطرفات صوفية أخرى في أمور الدين والدنيا نذكر بعضًا منها **إجمالًا، فيقول السهروردي عبد** القادر: من تلفت عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدًا فلا صلاة له[٣].

وينقل الشعراني عن إبراهيم المتبولي أنه قال: كل من رجح الذهب على التراب فصلاته باطلة[٤].

وذكر أبو طالب المكي عن بعض الصوفية أنه قال: العامة يتوبون من سيئاتهم، والصوفية يتوبون من حسناتهم[٥].

وأيضًا: من تاب من تسعة وتسعين ذنبًا لم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين[٦].

وقالوا: التوبة فرض كل عبد في كل نفس[٧].

وحكى الكلاباذي عن التُّسْتَرِيِّ أنه قال: من غمض عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره[٨].

---

(١) انظر الباب الثالث «التشيع والتصوف».

(٢) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٨٨ .

(٣) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٣٢٠ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٤) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ١ ص ١٥٦

(٥) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ١ ص ١٨٩

(٦) أيضًا ص ١٩١ .

(٧) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ٩٣ .

(٨) «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي ص ٧٨ .

وقال الشبلي كما نقل عنه سسمي في 'صبقته' سهو طرفة عين عن الله لأهل المعرفة شرك بالله[١]

وحكى عماد الدين الأموي عن **إبراهيم الخواص** أنه كان **يتكلم في العلم** وحوله جماعة إلى أن طلعت عليه الشمس وحميت، **حتى وجدت حرَّها، وهو جالس لا** يعبأ بها؛ فلما اشتدت قلت له: يا سيدي، **ما ترى أن تقوم إلى الظل؟ فقال: ويلك**، ما تدلني إلا على الشرك[٢]

وقال الشاذلي: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من **المسلمين**[٣]

وقال **إبراهيم المتبولي: من رفع بصره إلى شيء** بغير نية الاعتبار كتبت عليه خطيئة[٤]

وأخيرًا ننقل من القوم أنهم قالوا· مبنى·التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغربة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين[٥]

فتلك هي دعواهم، وهذه هي أقاويلهم وأفاعيلهم مبنية على مخالفة الكتاب والسنة، ومنافية لما جاءت به الشريعة السماوية السمحة، ومناقضة لاعتدال الإسلام وقصد السبيل، وتقدُّمٌ بين يدي الله ورسوله وتجاوزٌ عليهما، وتعنت غير محبوب، وتقشف غير محمود، لم ينزل الله به من سلطان.

وكذلك يدخل في مناقضة الصوفية تعاليم الدين ومخالفتهم شرع الله أمور أخرى كثيرة، خالف فيها المتصوفة نصوص القرآن والسنة، فجمعوا بين

---

(١) «طبقات الصوفية» للسلمي ص ٨٣

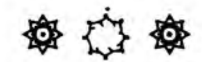
(٢) «حياة القلوب» في «كيفية الوصول إلى المحبوب» لعماد الدين الإِسْنَوِي

(٣) «الأخلاق المتبولية» للشعراني.

(٤) «الأخلاق المتبولية» للشعراني.

(٥) المصدر السابق

الشيئين؛ الإتيان بما لم ينطق به كتاب الله وسنة رسول الله، والمخالفة لما ورد فيهما، كما جاءوا ببدع وخرافات أخرى جعلوها دينًا وليست من الدين، نريد أن نذكرها في باب مستقل يلي هذا الباب؛ لكي يعرف القارئ ويعلم الباحث بأن التصوف ليس إلا تطرفًا في السلوك والأحوال والمعاملات، ومخالفة المنطوق والمنصوص في المعاملات والعبادات، وليس إلا ترويجًا للخرافات والبدع، وبالله التوفيق.



الباب الثاني
التصوف ومخالفة الشريعة

إننا ذكرنا في الباب الذي سبق أن الشريعة عبارة عن الكتاب والسنة، والله أمر المؤمنين بالتمسك بهما فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1]

كما قال أيضا:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[2]

وقال رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»[3]

فالمؤمن ملزم بأن يأتي ما أمره الشرع بعمله، وأن يترك ما أمره الشرع بتركه

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[4]

وأنه لمسلوب الخيار أمام أوامر الله ورسوله

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[5]

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) سورة النساء الآية ١١٥

(٣) رواه مالك في «الموطأ»

(٤) سورة الحشر الآية ٧

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٦

فالطيب ما طيبه الله ونبيه، والحسن ما حسنه الله ورسوله، والمسنون والمستحب ما استحبه الله ومُرْسَلُهُ، وكذلك القبيح والمذموم ما قبحه الله أو ذمه رسول الله ﷺ وليس للعقل فيه رأي، ولا للرأي فيه دخل، والأصل في العبادات المنع، كما أن الأصل في المعاملات الإباحة مع مراعاة الحديث القائل: «**الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**»(١).

وإن المتصوفة كما لم يقتدوا بأسوة رسول الله ﷺ في معاملاتهم من الأكل والشرب، واللبس والراحة، والكسب والتجارة، وغيرها من أمور الدنيا، ولم يتبعوا خطوات ذلك النبي الذي ذكره الرب جلَّ مجده في قرآنه وفرقانه:

﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

كذلك لم ينهجوا منهجه، ولم يسلكوا مسلكه، وما اقتفوا أثره، واهتدوا بهديه، وما اتبعوا سنته في الطاعات والعبادات، فزادوا عليها أشياء من عند أنفسهم كمًّا وكيفًا، كما أضافوا إليها أشياء لم تكن معهودة منقولة عن النبي المختار وخلفائه الراشدين الأبرار، وأصحابه الطيبين الأخيار، فضلوا وأضلوا، وحادوا عن الجادة المستقيمة، والمحجة البيضاء التي ترك رسول الله ﷺ أمته عليها، ليلها كنهارها، لا يضل سالكها، ولا يهتدي تاركها، فضلت مساعيهم بدل أن تكون مشكورة، وخسرت جهودهم وردت بدل أن تكون مقبولة، وحبطت أعمالهم بدل أن تكون نافعة محمودة، لتقدمهم بين يدي الله

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

ورسوله، واستصغارهم **وتقللهم** عمل رسول الله ﷺ في عباداته، ضعيتهم في معاملاته، واستحقارهم سنة من كان **أخشى الناس** وأتقاهم لله، فصاروا كالذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**، فخالفوا أوامر النبي ومنهياته زيادة ونقصانًا، **مُفرِطِينَ في أشياء، ومُفَرِّطِينَ في أخرى.**

كما تجاسروا على إنزالهم أنفسهم ومشايخهم على مرتبة التشريع والتقنين، **فأوجدوا أشياء، وابتدعوا** أعمالًا، وجعلوها من الدين ناسين قول الخالق المتعال:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1].

فابتعدوا عن الجادة، وتفرقت بهم السبل، وضلَّ عنهم سواء السبيل، التي هي سبيل الله وسبيل رسوله ﷺ وسبيل المؤمنين كما هو مبين في القرآن المجيد:

﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]. فخسروا خسرانًا مبينًا.

ونحن نذكر في هذا الباب مخالفات المتصوفة للقرآن والسنة، وبعض بدعهم التي ابتدعوها، ومحدثاتهم التي اخترعوها تقربًا إلى الله، ووصولًا إلى معرفته، وابتغاء لمرضاته حسب زعمهم، كما ذكرنا في الباب الذي سبق تطرفاتهم وتقشفاتهم التي لم يُرَ لها أثر فيهما ولا في سيرة المؤمنين الأولين، الذين نزل القرآن بينهم، والذين تتلمذوا على مُبَيِّن القرآن صلوات الله وسلامه عليه، فنذكر في هذا الباب مخالفة المتصوفة لصريح القرآن والسنة ونصوصهما الظاهرة الصريحة.

---

(١) سورة الشورى الآية ٢١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

من المعلوم في القرآن والسنة أن الله خلق الخلق وأمرهم **بعبادته، وأرسل إليهم** الرسل تترى، لكي يهدوهم إلى وحدانيته وعبادته، **وختمهم بمحمد** خاتم النبيين وأشرف المرسلين ﷺ وخلق الجنة **لمن أطاعه من خلقه وعبده** وحده، وخلق النار لمن غوى وعصى أوامر **ربهم، وطغى على** إرشادات أنبيائهم، فرغبهم في الطاعة بالجنة، **وأرهبهم من المعصية** بالنار، فقال

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]

كما قال:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[3]

وذكر أهل الفوز من أهل الخسران بقول:

﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[4]

فإن أهل السعادة من رغبوا في جنته، ورهبوا من النار، فأطاعوه وأطاعوا رسله، وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم، وعملوا بما أمروا فدخلوا الجنة.

وأهل الشقاء من لم يرغب في الجنة ولم يرهب من النار، فعصوا الله ورسله، وكفروا بما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[5]

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣١

(٣) التحريم آية رقم ٦

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥

(٥) سورة هود الآية ١٠٦إلى ١٠٨

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

و﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾(٢).

ووصف المؤمنين بأنهم يسألون ربهم جنته رغبة **فيها، ويستعيذون من النار رهبة منها**:

﴿**وَمِنْهُم** مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٣).

و﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٤).

وبيَّنَ أحوالهم بأنهم **لا يستريحون خوفًا** من عذابه وطمعًا في ثوابه فقال:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٥).

و ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾(٦).

و ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٧).

وهناك الدنيا والآخرة، وهناك يوم الفصل ويوم الدين، وإن الدنيا لمزرعة للآخرة، ويوم الفصل يحكم بين العباد فينظر فيما أمروا في الدنيا، وعلى ذلك يحكم لهم بما يستحقونهم في الآخرة، فقوم جعلوا نصب أعينهم الدنيا وحدها، وقوم تركوا دنياهم لآخرتهم فزهدوا فيها، وقوم جمعوا بين الحسنيين ففازوا بنعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وعن هذا كله أخبر الرب تبارك وتعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٨).

---

(١) سورة النساء الآية ١٣

(٢) سورة الجن الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٦ .

(٥) سورة السجدة الآية ١٦ .

(٦) سورة الإسراء الآية ٥٧ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٩٠ .

(٨) سورة البقرة الآية ٢٠١ إلى ٢٠٣

وقال:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

و﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٢].

و﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٣].

والآيات في هذه المعاني كثيرة جدًا.

ومثلها بل أكثر منها بأضعاف أحاديث نبوية شريفة، وكان رسول الله ﷺ وهو **أحب الخلائق إلى الله وأحبهم** لله، الذي قال سبحانه وتعالى في شأنه ﷺ:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٤].

كان أكثر الناس سؤالًا لجنته، واستعاذة من النار فكان يقول:

«اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل»[٥].

وروى الشيخان أنه كان يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه لما نزلت:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

دعا النبي ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال:

«يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار،

---

(١) سورة الدخان الآية ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٩١ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١٣ .

(٤) سورة الفتح الآية ٢ .

(٥) أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٦) متفق عليه.

يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها»[١]

فهذا هو منطوق القرآن والسنة.

وأما المتصوفة فلا يرون الأمر كذلك، فلا الدنيا عندهم **ولا الآخرة، ولا الخوف ولا الطمع**، ولا الجنة ولا النار، بل كثيرًا ما يستهزئون بها ويسخرون بذكرها، **فنقلوا عن** رابعة العدوية البصرية أنها كانت تنشد

يعبدون الله خوفًا من لظىً   فلظىً قد عبدوا لا ربنا
ولدار الخلد صلوا لا له   شبه قوم يعبدون الوثنا[٢]

وذكرها العطار فقال: **جاء إليها رجال من أهل الله** فسألت أحدهم: لماذا تعبد الله؟ فقال: **خوفًا من عقابه والجحيم التي بزت للغاويين.** فسألت الأخر، فقال طمعًا في جنته التي أعدت للمتقين. فقالت أما أنا فما عبدته خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته فأكون كالأجير السوء؛ بل عبدته حبًا له وشوقا إليه[٣]

وورد مثل هذا في «روضة التعريف بالحب الشريف» أيضًا[٤]

وروى الجامي عنها أنها قالت: وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك[٥]

وعلى ذلك قال المنوفي الحسيني بعد ذكر رابعة العدوية وجويرية ورابعة الدمشقية وغيرهن أولئك اللواتي طمعن في رحمة الله وأحببنه لا رهبة من عقابه، ولا طمعًا في ثوابه[٦]

---

(١) رواه مسلم.
(٢) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٤٩ ط المطبعة العامرية ١٣٠١هـ.
(٣) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٤٢
(٤) انظر «روضة التعريف» لوزير الدين بن الخطيب ص ٤٢٧
(٥) «نفحات الأنس» للجامي (فارسي) ص ٥٤٤ ط إيران.
(٦) «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ج ١ ص ٢٧٠

وأنشدت أيضًا:

أحبك حبين حب الهوى وحبًا **لأنك أهل لذاكا**
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي **بذكرك عمن سواكا**[(١)]

وذكر ابن عجيبة الحسني أنها قالت:

كلهم يعبدونه من خوف نار **ويرون النجاة حظًا جزيلا**
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا **في رياض ويشربوا السلسبيلا**
ليس لي في الجنان والنار رأي **أنا لا أبتغي بحبي بديلا**[(٢)]

وأكثر من ذلك ما نقله كل من القشيري والعطار والكلاباذي والكمشخانوي وغيرهم: مرضت رابعة العدوية، فقيل لها: ما سبب علتك؟ فقالت: نظرت إلى الجنة بقلبي فغار عليَّ قلبي، فأدبني، وقد آليت وحلفت أن ألا أعود[(٣)].

وليس هذا الاستغناء من الجنة والخوف والرهبة فحسب بل أكثر من ذلك نقل الشعراني استهزاءها بالجنة ونعيمها، والقرآن الكريم، فيقول: سمعت رابعة العدوية رضي الله عنها شخصًا يتلو قوله عز وجل:

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾

قالت: نحن إذن صغار حتى نفرح بالفاكهة والطير[(٤)].

---

(١) «التعرف لمذهب أهل التصوف» ص ١٣١، ١٣٢، «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ص ٥٧، أيضًا «روضة التعريف» ص ٤٢٧، أيضًا «نشر المحاسن الغالية» للباقي ج ١ بعاصر جامع كروان كرامات الأولياء للشعراني ط دار صادر بيروت.

(٢) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٣٢ ط مصطفى البابي، أيضًا هامش المعارضة والرد لمحمد كمال جعفر ص ١٣٧ .

(٣) انظر «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٥١٦، أيضًا «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٣٤، أيضًا التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٨٤، أيضًا «جامع أصول الأولياء» للكمشخانوي ص ١١٩ واللفظ له.

(٤) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ٢ ص ٧١ .

وليست رابعة العدوية وحدها من ينقلون عنها استغناءها عن الجنة واستحقار ذكرها، وعدم اهتمامها بالخوف والرجاء، والرهبة والرغبة، بل هذا هو موقفهم ومشربهم، فينقلون ذلك عن الآخرين أيضًا، فيقول السلمي والهجويري والسهلجي والمنوفي الحسيني: إن أبا يزيد البسطامي الذي قال فيه الجنيد البغدادي كما يروون أبو يزيد منا بمنزلة جبريل من الملائكة[(١)]

فكان يقول: الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم[(٢)]

ونقل ابن العريف عنه أيضًا أنه كان يسخر بالثواب ولم يكن يبالي بالعقاب، وكان يقول مخاطبًا للرب تعالى:

أريـدك لا أريـدك لـلـثـواب ولـكـنـي أريـدك لـلـعـقـاب[(٣)]

وكان يستهزئ بالجنة بقوله: لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار من النار[(٤)]

وقال أيضًا في هذا المعنى مَنْ عرف الله صار للجنة ثوابًا، وصارت الجنة عليه وبالًا[(٥)]

كما كان يستهزئ بالنار، فينقل عنه أنه كان يقول: وددت أن قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على باب جهنم. فسأله رجل ولِمَ ذاك يا أبا يزيد؟ فقال إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد[(٦)]

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣١٣

(٢) «طبقات الصوفية» للسلمي ص ١٩، «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣١٨، «جمهرة الأولياء» للمنوفي ج ٢ ص ١٣٩، انظر «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٦٩ نشر الدكتور البدوي ط الكويت.

(٣) «محاسن المجالس» لأبي العباس أحمد بن محمد الصوفي الصنهاجي ابن العريف ط باريس ١٩٣٣م، أيضًا «شرح كلمات الصوفية» جمع محمود محمود الغراب ص ١٨٠

(٤) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٤٧

(٥) أيضًا ص ١١٨

(٦) أيضًا ص ١٤٧

وأخيرًا ما ذكر عنه السلهجي في ازدرائه واستصغاره الجنة حيث يروي عن ابن أخي أبي يزيد أنه قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن أبي يزيد أنه جاء حاتم الأصم زائرًا له، فقال حاتم: قد قلت لتلامذتي: من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعًا في أهل النار فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذًا. فقال له أبو يزيد: ولكن قد قلت أنا لهم: ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة، فكل من أمر من الموحدين إلى النار أخذ بيده وأدخله الجنة[١].

ومثل ذلك نقلوا عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يستهزئ بنعيم الجنة بدعائه: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة[٢].

والشبلي الذي قال عنه الجنيد: لكل قوم تاج، وتاج هذا القوم الشبلي[٣].

ينقلون عن تاج قومهم هذا أنه كان يدعو: اللهم أخبئ الجنة والنار خبايا غيبك حتى تعبد بغير واسطة[٤].

ومن استهزائهم بالجحيم ونيرانها أنه قال في مجلسه: إن لله عبادًا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها[٥].

وكذلك كان يقول: لو خطر على بالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركًا[٦].

ومن استخفافه بوعيد أهل النار أنه سمع قارئًا يقرأ هذه الآية:

﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾

فقال الشبلي: ليتني كنت واحدًا منهم[٧].

وأما معروف الكرخي فيروون عنه أنه عبد الله لا خوفًا من ناره، ولا شوقًا

---

(١) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ٩٨، ٩٩.
(٢) «جمهرة الأولياء» لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ٢ ص ١٣٠.
(٣) «نفحات الأنس» للجامي ص ١٨٠.
(٤) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٥٧٧ ط دار النهضة العربية بيروت.
(٥) انظر كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٩١.
(٦) أيضًا ص ٤٩٠.
(٧) «اللمع» للطوسي ص ٤٩٠.

إلى جنته، فلذلك رؤي في النوم في حظيرة القدس جالسًا في سرادق العرش شاخصًا ببصره ينظر إلى الله[١].

ونقل ذلك عبد الغني الرافعي أيضًا فقال: قال بعض أخوان معروف الكرخي ﷺ: أخبرني يا أبا محفوظ، أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فقال له: ذكر الموت. فقل: أي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ. فقال: وأي شيء القبر؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة. فقال: وأي شيء هذا؟ ثم قال: فإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا[٢].

ونقل النفزي الرندي وأبو طالب المكي عن أبي حازم المدني أنه كان يقول: إني لأستحي من ربي أن أعبده خوفًا من العذاب؛ فأكون مثل عبد السوء، إن لم يخف لم يعمل، وأستحي أن أبعده لأجل الثواب؛ فأكون كالأجير السوء، إن لم يعط لم يعمل، ولكن أعبده محبة له[٣].

وكتب الجامي في نفحاته أن محمد بن سعيد الزنجي سئل عن الرذيل من هو؟ قال: الذي يعبد الله خوفًا ورجاء. قالوا: وأنت لِم تعبد؟ قال: خدمة وطاعة[٤].

ويقول الأنصاري الهروي المتوفى ١٨٤هـ: الحرمة هي التحري عن المخالفات والمجاسرات، وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهي، لا خوفًا من العقوبة فيكون خصومة للنفس، ولا طلبًا للجد فيكون مسترقًا للأجرة، ولا شاهدًا للجد فيكون متدينًا بالمراءاة، فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس[٥].

---

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» للدمياطي ص ١٠٧ .

(٣) «غيث المواهب العلية» للنفزي ج ١ ص ٢٤٢، أيضًا «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٥٦ .

(٤) «نفحات الأنس» للجامي (فارسي) ص ٣٨ .

(٥) «منازل السائرين» للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص ٦٨ ط انتشارات مولى نشر أفغانستان ١٣٥٠هـ.

وقال أيضًا تحت عنوان الرجاء الرجاء أضعف منازل المريد؛ لأنه معارضة من وجه، واعتراض من وجه، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة(١)

وحكى عماد الدين الأموي وغيره أن داود -عليه السلام- أوحى إليه الرب -تبارك وتعالى- أن أَودَّ الأوداء إلَيَّ مَنْ عبدني بغير نوالٍ. ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة ولا نارًا ألَمْ أكن أهلًا لأن أطاع(٢)

ومن احتقارهم وازدرائهم بالجنة ما ذكروا عن الصوفي عثمان بن عاشوراء أنه قال: خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير، وإذا أنا بالدنيا قد عرضت لي بعزها وجاها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها، فعرضت علَي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها. فقيل لي يا عثمان، لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا(٣)

ومثل ما نُقل عن البسطامي أنه قال. الجنة هي الحجاب الأكبر؛ لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكل من سكن إلى سواه فهو محجوب(٤) وقال الأموي الخواص من الأولياء زهدوا في الحور العين وغيرهم من النعيم للنظر إلى وجه الله تعالى، ثم أعرضوا عن الحور العين والقصور والاتكاء على الفرش والأرائك واللحوم والفواكه إلى مشاهدة كمال إله الكل(٥)

وفي هذا المعنى نقل الشعراني عن محمد الحنفي أنه دخل الحمام يومًا مع الفقراء، فأخذ ماءً من الحوض ورشَّه على أصحابه، وقال. النار التي

---

(١) أيضًا ص ٦٠

(٢) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢١٥ بهامش «قوت القلوب»، أيضًا «غيث المواهب العلية»

(٣) «غيث المواهب العلية» ج١ ص ١٨٠

(٤) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ٣٦١

(٥) «حياة القلوب للأموي» ج٢ ص ١٢٩

يعذب بها العصاة من أمة محمد ﷺ مثل هذا الماء في سحونته. ففرح الفقراء بذلك[١]

فلينظر القراء إلى الاسهزاء والاستخفاف وما أسوأه وأشنعه بالإضافة إلى النيل من شأن حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

«ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم. قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية[٢]. قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها»[٣].

هذا ويقول الإسكندري: من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه[٤].

ومن أهم ما روي في ذلك ما رواه ابن الملقن في «طبقاته» عن أبي الحسن ابن الموقن المتوفى ٥٦٢ هـ أنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعدني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبًا مني لجنتك وشوقًا إليها فاحرمنيها[٥]

ورووا عن شاب كان قلبه على قلب إبراهيم الخليل كما يقولون، فينقلون عنه أنه كان يقول: يا سماء ويا أرض اشهدا عني ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط مثل إبراهيم الخليل[٦]

فانظر ما أجرأهم على الكذب! قطع النظر عن استحقار الجنة ونعيمها، التي لم يكن نبي من الأنبياء إلا وقد سألها وطلبها من ربه مع ما فيهم سيد الأنبياء وأشرف المرسلين محمدنا خاتم النبيين ﷺ وجده نبينا إبراهيم الذي

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٠٠

(٢) أي. أن هذه النار الدنيوية كافية في عقبى لاحتراق الكفار، فهلا اكتفى بها ولأي شيء زيد في حرها. (الألباني).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر «غيث المواهب» ج ١ ص ٢٣٩

(٥) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٣٤٢

(٦) مصدر سابق.

اتخذه الله خليلًا، واشتياقه إلى الجنة وطلبها من ربه مذكور **محفوظ في كتاب** ربه وربنا، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه **ولا من خلفه، حيث** حكى عنه الرب -تبارك وتعالى- إذ يقول

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[(١)]

هذا وقد ذكر السهلجي حكاية عن أبي موسى تدل على استخفاف الصوفية **بالجنة ونيلهم من شأنها وعظمتها، فيقول:** يؤتى يوم القيامة برجل من طريق النار **على حالة أحسن ما يكون،** فيراد أن يزداد الذي يؤتى من طريق النار ألمًا ووجعًا، فيقال له ترى ذاك الذي يحمل إلى الجنة بتلك الزينة؟ وهو فلان، فيقول نعم، كنت سمعت اسمه في دار الدنيا قال فيبلغ الله صوته ذلك الولي، فيقف مكانه فيقال له. لم لا تذهب؟ فيقول لا أبرح من مكاني حتى يكون معي من سمع باسمي قال. فينادي. وهبناه لك، خذ بيده واذهب به إلى الجنة. وكان الشيخ أبو عبد الله يقول إذا حكى هذه الحكاية فيقول هذا لمن سمع الاسم، فكيف لمن رأى وصحب[(٢)]

فالمعنى أنهم استصغروا شأن الجنة ومقامها، وجعلوا دخولها من الأمور الهينة لا تحتاج إلى كثير عناء ومشقة، بل يكفي أن يسمع الإنسان اسم ولي من أولياء الصوفية وحسبه ذلك من دخول الجنة والبعد عن النار

وأكثر من ذلك أنهم نقلوا عنه أنه قال ما النار؟ لأستندن إليها غدًا، وأقول اجعلني لأهلها فداء أولأبلعنها، ما الجنة؟ لعبة صبيان[(٣)]

ومن احتقارهم الجنة ما رووه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه كان يقول لو أتاني آتٍ من ربي -عز وجل- فقال أنت مخيَّر بين الجنة والنار أو تصير ترابًا لاخترت أن أصير ترابًا[(٤)]

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٣ إلى ٨٥

(٢) «النور من كلمات أبي طيفور» ص ٦٨

(٣) مجموع نصوص غير منشورة عن أبي يزيد ص ١٣ نقلًا عن «شطحات الصوفية» للدكتور عبد الرحمن بدوي ط الكويت

(٤) «طبقات الشعراني» ج١ ص ٣٣

وذكروا عن سليمان الداراني أنه قال: إن لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة[١].

ومما يدل على إظهار الرغبة عن الجنة وعدم الاهتمام بنعيمها أن الشعراني روى عن سيده أبي الفضل الأحمدي أنه كان يقول: أرباب الأحوال تشتاق إليهم الجنة وهم لا يشتاقون إليها[٢].

أليس ترجيح كون التراب على دخول الجنة، وإظهار الرغبة عن نعيمها، عيشها وترفها، والزهد في حورها وقصورها، وأنهارها وأثمارها، أليس كفرًا بنعمة الله وجحودًا بها وقد قال عز من قائل:

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣]

وقال:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٤].

و ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾؟[٥].

فهذه هي الجنة والنار والثواب والعقاب، والرجاء والخوف عند الصوفية، وهذا هو ازدراؤهم واستحقارهم بها وبذكرها وبنعيمها مخالفًا لسيرة المصطفين الأخيار وأحوال أصحاب خاتم النبيين الأبرار، ومنافيًا لنصوص القرآن الصريحة، وأحاديث رسول الله الواضحة الجلية.

وإن المتصوفة لا يأبهون بالدنيا والآخرة بالدنيا والآخرة كما لا يأبهون بالجنة والنار والثواب والعقاب، فينقلون عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: إن كنت تحب أن تكون لله وليًا، وهو لك محبًا فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما، وفرغ نفسك عنهما[٦].

---

(١) «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» للدمياطي ص ١٠٧ ط.

(٢) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب للشعراني ج ٢ ص ١٨٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١١ .

(٤) سورة النحل الآية ٨٣ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٧ .

(٦) كتاب «المحبة» للمحاسبي ضمن كتاب «ختم الأولياء» للترمذي ص ٤٥٢ط المكتبة الكاثوليكية بيروت.

ومثل ذلك ذكر القشيري والشعراني عن الحسين بن **منصور أنه قال**: **علامة العارف** أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة[(١)].

ونقلوا كذلك عن محمد المغربي الشاذلي **أنه كان يقول: لا يصح لمريد** قدم في طريق أهل الله -عز وجل- **إلا بعد أن يزهد في الدنيا** ونعيم الآخرة[(٢)].

ومثل ذلك ذكروا عن الجيلي أنه سئل عن الهمة، فقال: هي أن يتعرى **العبد بنفسه عن حب الدنيا، وبروحه عن التعلق** بالعقبى[(٣)].

وروى عن **الشبلي أنه سمع قوله تعالى**:

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[(٤)]

فصاح صيحة عظيمة، وقال: فأين الذين يريدون الله تعالى[(٥)]؟

مع أن الله -عز وجل- لم يفرق بين إرادة الآخرة وإرادته هو سبحانه وتعالى حيث قال:

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[(٦)].

فإرادة الآخرة نفس إرادة الله لا فرق بينهما.

ومدح الله تعالى عباده الذين يريدون الآخرة ويسعون لها بقوله:

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[(٧)]

وجمع الله بين إرادته ورسوله والدار الآخرة في قوله:

---

(١) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري ج ٢ ص ٦٠٥، أيضًا ال«طبقات الشعراني» ج١ ص ١٠٧

(٢) «الأخلاق المتبولية» للشعراني تحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ج١ ص ٢٢٢.

(٣) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ١٢٧

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٢

(٥) «طبقات الشعراني» ج٢ ص ٧٢.

(٦) سورة الأنفال الآية ٦٧

(٧) سورة الإسراء الآية ١٩

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

فهذه هي بعض قواعد المتصوفة في الخوف والرجاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار، والدنيا والآخرة، وضعت لمخالفة منطوق القرآن وصريح السنة.

وهناك مخالفات أخرى كثيرة للقرآن والسنة في مختلف المجالات نورد بعضا منها مع ذكر الآيات والأحاديث التي يخالفونها.

فمن المعروف أن الإسلام قلما أكد وشدد مثلما أكد وشدد في أكل الحلال وترك الحرام، وطلبه من المؤمنين قبل العبادات والطاعات؛ لأنه من لم يكن طعامه ولحمه ودمه من حلال أنى تتأتي منه الحسنات، ويقبل عنه العبادات، ويستجاب له الدعوات، فأمر الله به المؤمنين كما أمر به الأنبياء والمرسلين، وقدمه على العمل الصالح والعبادة المقبولة، فقال لأنبيائه وأصفيائه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقال مخاطبًا للمؤمنين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ:

«لا يكسب عبد مال حرام فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[٤].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٩ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢ .

(٤) رواه أحمد، وكذا في «شرح السنة».

وقال ﷺ:

«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، وكل لحم نبت من السحت كانت النار أولى به»(١)

وعن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ:

«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، **وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾(٢)

وقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾(٣)

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب، يارب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»(٤)

ولكن الصوفية يرون عكس ذلك فإنهم يرون الكسب من الركون إلى الدنيا، ويبقون متعطلين عالة على الناس لا يعملون، ويعيشون على عطيات الناس من هَب منهم ودَبَّ، وقد مرَّ بيان ذلك مفصلًا(٥)

وليس هذا فحسب، بل ذكروا أن عديدًا منهم كانوا يتعاطون الحرام؛ فيشربون الخمر، ويأكلون الأفيون والبنج والحشيش، ويتناولون المخدرات والمسكرات، فواحدًا منهم ذكرناه في كتابنا «التصوف. المنشأ والمصادر» الذي يقولون عنه إنه كان مستجاب الدعوات، ومحللًا المشكلات، وما دعا شيئًا قط إلا وقد أعطي، وكان يشرب الخمر ويتعاطى المخدرات والمسكرات، وصار مزاره مهبط الأنوار ومحط البركات مثلما كان هو في

(١) رواه أحمد، والدارمي، والبيهقي في شعب الإيمان.
(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢
(٤) رواه مسلم.
(٥) انظر الباب الأول من هذا الكتاب التطرف من لوازم التصوف
(٦) «تذكرة أولياء باكستان» للدكتور شارب ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعد.

حياته[١].

ومثله الصوفي المشهور عين الدين المتوفى ٨٢٢هـ كان يشرب الخمر ليلًا ونهارًا[٢].

ومنهم الشيخ الشرياني القصوري المتوفى ١٠٤٣هـ كان قبلة الحاجات، وكعبة السائلين والطالبين، ولم يكن يقضي لحظة بدون الخمر[٣]. وليس هذا فحسب، بل اجترأ القوم وقالوا: وحكي عن إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- أنه قال: كان يصحبني رجل كثير الصوم والصلاة فعجبت من ذلك، ثم نظرت في مأكوله من موضع غير طيب، قال: فأمرته بالخروج من ملكه، وأخرجته معي في سفر، فكنت أطعمه الحلال من موضع أعرفه وأرضاه. قال: فلما صحبني مدة كنت أحتاج أن أضربه بالدرة حتى يقوم فيؤدي الفرض[٤].

وأما الملبس فنقل عنهم أنهم كانوا لا يراعون فيه الشرع، فأحيانًا كانوا يتجردون منه ولا يلبسون شيئًا، ولا يراعون ما أوجبه الشرع من الستر، وقد ذكرنا عديدًا من الروايات في هذا الكتاب والكتاب الآخر، وأحيانًا كانوا يلبسون لباس الشهرة المنهي عنه في السنة، وأحيانًا كانوا يستحلون الحرير كما ذكر الشعراني وأصحاب الطبقات متصوفة مشهورين وصوفية معروفين ما كانوا يلبسون إلا الحرير، فمنهم الشيخ أحمد المشهور بحب رمانتي، كان ﷺ لا يلبس إلا الحرير، وكانت له كرامات كثيرة[٥].

ومنهم عون بن عبد الله بن عتبة فرووا عنه أنه كان يلبس الخز[٦]. وحث أبو العباس أحمد بن علي البوني المتوفى ٢٢٦هـ على التختم بالذهب حيث قال: ومن الأسرار العجيبة أن يوضع اسمه تعالى العلي العظيم في خاتم من ذهب، من تختم به كان مهابًا عند الناس، معظمًا مكرمًا عالي القدر مرفوع

---

(١) انظر «تذكرة أولياء بر صغير» للميرزا اختر الدهلوي ج١ ص ٢٠٣.

(٢) أيضًا ج٢ ص ١٠٣، ١٠٤.

(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢١٩.

(٤) الطبقات للشعراني ج ٢ ص ١٤٣.

(٥) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص ٤١.

الذكر، ولا يزال كذلك طول حياته، وإذا بعث يوم القيامة أمن تزلزل **قدمه** على الصراط، وثقلت موازينه بالحسنات[١].

مع التحريم الوارد فيه عن النبي ﷺ حيث قال:

«أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي، وحرم على ذكورها»[٢].

وروي عن علي ﷺ قال:

«إن النبي ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي»[٣].

ومن العجائب أن المتصوفة المدعين التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته وطلب رضوانه لا يسلكون في ذلك مسلك رسول الله ﷺ ولا يتبعون خطاه، فإن المسلم يعلم أن أحسن شيء ما يتقرب به العبد إلى الله هي الصلوات الخمس بأوقاتها والتنفلات والتطوعات. ولكن الصوفية لا يرون ذلك فما اشتهر عنهم كثرة الصلوات والنوافل، فالأمر عكس ذلك، نعم، هناك بعض المتصوفة هم الذين قد عرفوا بكثرة التنفل، ولكن البعض منهم أيضًا خالفوا أسوة رسول الله ﷺ لإفراطهم في ذلك، الإفراط المنهي عنه مثل قيام الليل كله من أوله إلى آخره، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في باب التطرف من لوازم التصوف.

ولكن الباحث والقارئ يتفحص أحوالهم وسيرهم في كتب الطبقات والسير؛ ليرى العجب العجاب من أن القوم معظمهم لا يحضرون المساجد لأداء الصلوات الخمس، ولا يحافظون عليها؛ بل نقلوا عن كثير منهم أنهم ما كانوا يخرجون من الرباطات والزوايا، والصوامع والتكايا، والغيران والكهوف، والسراديب والخلوات أسابيع وشهودا بل وسنوات أيضًا، لا للجمعة ولا للجماعة، مع ورود التشديد في الحضور لأداء الصلوات في

(١) «منبع أصول الحكمة» للبوني ص ٤٦ ط مصطفى البابي الحلبي مصر.

(٢) رواه الترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود، وأحمد، والنسائي، وصححه الألباني.

المساجد ومع الجماعة وبأوقاتها. فإن الله - تبارك وتعالى- حينما أمر المؤمنين بإقامة الصلوات، أمرهم بأدائها مع الجماعة، فقال:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(١).

وقد قال رسول الله ﷺ حينما سئل عن أفضل الأعمال، قال: «**الصلاة لأول وقتها**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

«**أتى النبي ﷺ رجل أعمى، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد. فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له؛ فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم. قال: فأجب**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا فيأم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**»(٤).

وحث المؤمنين على الحضور في المساجد لأداء الصلاة مع الجماعة حيث قال:

«**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»(٥).

وإن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعرفون المنافق بعدم حضوره للصلاة في المساجد مع الجماعة، كما يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٣ .

(٢) رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

«لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد عُلم نفاقه، **أو مريض، إن** كان المريض ليمشي بين رجُلَيْنِ حتى يأتي الصلاة». **وقال:**

«إن رسول الله ﷺ علمنا الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه وفي رواية قال: من سره أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ورفعه بها درجة، وحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف»[(١)]

فهذه نبذة يسيرة عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأن الله أوجب الجمعة على المسلمين بقوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)]

كما فرض رسول الله ﷺ استماع الخطبة والحضور في العيدين، ولكن القوم الذين يعدون التصوف من دين الله بل أصل الدين وأساسه وسببًا لقربه وولايته، لا يرون عليهم شيئًا من ذلك، فأولًا لا يحضرون الصلوات إطلاق، ولا يرون للمسجد قيمة وشأنًا كما نقل الشعراني في طبقاته كان الإمام الحسن بن سمعون رضي الله عنه إمامًا زاهدًا ورعًا، قلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصلاة، وطول نهاره في قعر بيته رضي الله عنه[(٣)]

وذكر ظهير الدين القادري أيضًا صوفيًا ما كان من منزله إلا للجمعات،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

(٣) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٦٨

فيقول: كان ورعًا متدينًا كثير العبادة منقطعًا في منزله عن الناس لا يخرج إلا في الجمعات[(١)].

وليس ترك الجماعة فقط بل الجمعة أيضًا كما ذكر المنوفي الحسيني عن الصوفي المصري الذي قال فيه: هو الولي المجذوب العالم القطب الشريف الشاذلي، فيذكر عنه أنه ما كان يخرج من بيته إلا كل أسبوع لزيارة المشهد الحسيني، وكان يخرج في موكب يذكر الله هو وإخوانه، حتى إذا وصل إلى المسجد الحسيني كثر انضمام الناس إليه وتزاحموا، فيدخل بهم إلى صحن المسجد فيذكرون الله جميعًا[(٢)].

فلم يكن غرض خروج هذا الصوفي من بيته إلا زيارة المشهد الحسيني، فأين الجماعة وأين الجمعة؟ ثم ما الفائدة من هذا الذكر المقرون بالبدع والخرافات مع ترك الجمعة والجماعة؟

وهناك صوفي آخر ذكره صاحب «تنبيه المغترين» أنه كان يخلي ولده على الخلوة أربعين يومًا فلا يفتح عليه[(٣)].

ويروي الجعلي الفضلي عن شيخه بان النقا أنه مكث في خلوته أربعين يوما[(٤)]. وهذه الأربعونية التي يتعاهدها الصوفية ويعتزلون خلالها عن الناس، ويرتاحون في الرباطات والمغارات؛ فيفوتهم ثواب السعي إلى المساجد، وأجر الصلاة بالجماعة والجمعة قد ذكر فتوحها وفوائدها السهروردي والباخرزي أيضًا فيقولان: فإذا تمت الأربعون زالت الحجب، وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابًا. . . فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى، واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده، ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم[(٥)].

---

(١) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص ٩١ ط.

(٢) «جمهرة الأولياء» لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ٢ ص ٢٦٥ ط مؤسسة الحلبي القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

(٣) «تنبيه المغترين» للشعراني ص ٨ .

(٤) «كتاب الطبقات» للجعلي الفضلي ص ٦٠ ط بيروت.

(٥) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٢٠٩ ط دار الكتاب العربي بيروت.

فيظن الصوفية أن الله يفتح عليهم جواهر العلوم والمعارف، **ويكشف لهم الغرائب والعجائب** تعويضًا عما تركوا لأجله[١].

ولا يدرون أن ترك الجمعة والجماعة لا ينتج **المعارف والكرامات، وإنما** ينتج سخط الله ومقته، وقد سمى رسول **الله ﷺ هذه الخلوة** باليهودية والنصرانية في حديث رواه أبو أمامة **حيث قال:**

«خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه... وقال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء... قال: فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه. وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا، ثم قال: لو أتيت نبي الله، فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله، إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقال، فحدثتني نفسي بأن أقيم وأخلي من الدنيا. فقال نبي الله ﷺ: إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفسي بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[٢].

وأما الأشياء التي تحصل لهم في خلواتهم فليست كرامات رحمانية كما يظنون، وإنما هي أحوال شيطانية كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «فتاواه»: وَهَذِهِ الْخَلَوَاتُ قَدْ يَقْصِدُ أَصْحَابُهَا الأَمَاكِنَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَذَانٌ وَلا إِقَامَةٌ وَلا مَسْجِدٌ يُصَلَّى فِيهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ؛ إِمَّا مَسَاجِدُ مَهْجُورَةٌ وَإِمَّا غَيْرُ مَسَاجِدَ: مِثْلُ الْكُهُوفِ وَالْغِيرَانِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ، وَمِثْلُ الْمَقَابِرِ لا سِيَّمَا قَبْرُ مَنْ يَحْسُنُ بِهِ الظَّنُّ، وَمِثْلُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُقَالُ: إِنَّ بِهَا أَثَرَ نَبِيٍّ أَوْ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ وَلِهَذَا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَحْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ يَظُنُّونَ أَنَّهَا كَرَامَاتٌ رَحْمَانِيَّةٌ[٣].

هذا، وقد ذكر الجامي عن الصوفي المشهور شمس الدين التبريزي أنه كان يمكث في خلوته ثلاثة أشهر لا يخرج منها أصلًا، كما أنه لم يكن يسمح

---

(١) أيضًا ٢١٢

(٢) انظر لذلك «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص ٣٢٤ ط دار الوعي العربي بيروت.

(٣) «فتاوى شيخ الإسلام» ج ص ٤٠٦ .

لأحد بالدخول فيها[١]. والشعراني يذكر صوفيًا آخر مكث تسعة أشهر في خلوته منقطعًا عن الخلق تاركًا للجمعة والجماعة فيقول: انقطع الشيخ عبد الحليم المنزلاوي في الخلوة تسعة أشهر، يقرأ في الليل ختمًا وفي النهار ختمًا، ثم خرج ينفق من الغيب إلى أن مات، وأقمت عنده في زاويته نحو سبعة وخمسين يومًا، فما رأيت الفقراء احتاجوا إلى شيء إلا ويخرج لهم من كيس صغير كعقدة الإبهام جميع ما يطلبونه[٢].

ومما يدل على بغض الصوفية وكرههم للحضور في المساجد للجمعة والجماعة ما حكوه عن بركات الخياط نقلًا عن أبي السعود الجارحي أنه قال: مدحت الشيخ بركات الخياط للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر وجماعة، فقالوا: امضوا بنا نزوره. وكان يوم جمعة، فسلم المؤذن على المنار، فقالوا له: نصلي الجمعة؟ فقال: ما لي عادة بذلك. يعني أن الجمعة عادة وليست فرضًا، فأنكروا عليه، فقال: نصلي اليوم لأجلكم وليس لله. فخرج إلى جامع المارداني، فوجد في الطريق مسقاة الكلاب فتطهر منها، انظر الاستهزاء بالفرائض الإسلامية، ثم وقع في مشحنة حمير، ففارقوه، وصاروا يوبخون الشيخ عبد الواحد الذي جاء بهم إليه، وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد، ويقول: أيش هؤلاء الحجارة الذين أتيت بهم، لا يعود لك بالعادة أبدًا، والله يا ولدي، مسقاة الكلاب إنما هي مثال مطعمهم مشربهم، وكذلك مشحنة الحمير إنما هي صورة اعتقادهم النجس[٣].

وهناك آخر كان يمكث في خلوته ستة أشهر كل سنة، لا يطعم شيئا ولا يشرب، وإذا أراد الخروج من خلوته بعد ستة أشهر صاح بصوت عالٍ ليختفي الناس عنه، ولا يقع نظره على أحد، إذ لو وقع على أحد لكان أعمى عليه ليومين[٤].

---

(١) «نفحات الأنس» للجامي ص ٤٦٦ .

(٢) انظر «تذكرة أولياء بر صغير» لميرزا اختر الدهلوي ج ٢ ص ٤٢ ط باكستان.

(٣) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٣٥ .

(٤) أيضًا ج٢ ص ١٤٥ .

فهكذا أدى بهم التصوف إلى الاستهزاء بفرائض الشريعة **وشعائرها** والجهر **بهتكها ومخالفتها**.

وليس ترك الجمعة والجماعة فحسب، بل **صلاة العيد أيضًا كما نقلوا عن** أبي السعود الجارحي أنه كان كثير المجاهدات... **كان ينزل في سرب تحت** الأرض من أول ليلة من رمضان **فلا يخرج إلا بعد العيد** بستة أيام، وذلك بوضوء واحد **من غير أكل**[١].

فهل هذه هي المجاهدات التي قالوا عنها: لو أن النبوة تنال بالمجاهدات لنالها عبد الكريم[٢].

وقال الشعراني: لو أن النبوة تنال بالمجاهدة لنالها سيدي أبو السعود[٣].

هذا والصوفي الهندي القديم علاء الدين صابر الكليري المتوفى ٦٩٠هـ لم يخرج من خلوته سنتين[٤].

وأما الجعلي الفضلي فقد ذكر عن حمد النحلان الذي يقول فيه: اجتمع بالخضر -عليه السلام- وأخذ عليه، يقول: إنه مكث في الخلوة اثنين وثلاثين شهرًا، وأخذ معه ثلاث سلق قرظًا وسبع تمرات، والخلوة فيها طاقة يناولونه بها الماء، وكل ليلة مطالة قدر عين الجمل لفطوره؛ فلما خرج من الخلوة وجدوا القرظ والتمرات والمطاطيل على حالها، والركوة ملآنة ماء، فجميع من شرب منها وقع مغشيًا عليه وصار وليًا من أولياء الله تعالى[٥].

فهذا التارك للجمعة والجماعة والعيدين يرى فيه الصوفية أنه كان من كبار أولياء الله تعالى ومن أصحاب الفيوض والبركات.

فهل تأتي الولاية بمخالفة الشريعة الإسلامية؟ وهل تحصل بشرب ماء من ركوة الفساق العصاة التاركين للجماعة والجمعات؟

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) انظر «قلادة الجواهر» لأبي الهدى الرفاعي ص ٣٥٧ .

(٣) انظر «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٤٠ .

(٤) انظر «تذكرة أولياء بر صغير» لاختر الدهلوي ج ٢ ص ٢ ط باكستان.

(٥) كتاب «الطبقات للجعلي» الفضلي ص ٦٠ط.

ونقلوا عن الصوفي **المشهور** محمد **الحنفي** أنه اعتزل عن الناس وجلس في خلوة تحت الأرض سبع **سنين، فيقول الشعراني** نقلًا عن أبي العباس المرسي أنه قال: لما خرج الشيخ **محمد الحنفي من الكتاب جلس يبيع** الكتب **في سوقها،** فمرَّ عليه بعض الرجال، **فقال: يا محمد، ما للدنيا خلقت. فنزل من الدكان وترك** جميع ما فيه من الغلة والكتب، ولم **يسأل عن ذلك بعد، ثم** حبب **إليه الخلوة؛ فاختلي** سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض، **دخلها وهو ابن أربع عشرة سنة**[1].

ونقل **ابن الملقن عن فتح بن شخرف الكِسِّيّ** أنه قال: تهت في الجبال سبع سنين[2].

وليس سبع سنين **فحسب، بل ذكروا عن أبي عثمان الحيري من الصوفية** القدامى المتوفى سنة ٢٨٩هـ أنه اختلى عشرين سنة لم يرَ أثناء هذه المدة الطويلة شبحًا من الناس، وبعد العشرين أمر بمخالطة الناس فخرج إليهم[3].

ولم يكتفوا بالعشرين، فيذكر الطوسي عن أبي عبد الله الصبيحي أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض من كثرة اجتهاده وتعبده، وكان إذا تكلم بعلوم المعارف يدهش العالم[4]. ولو اقتصر الأمر على هذا إلا أنه قد تجاوز عن ثلاثين سنة، أيضًا فذكروا عن حسين أبي على الذي يعتقدون فيه أنه كان من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، يتناول الناس الذهب والفضة يذكرون عن وليهم وعارفهم هذا أنه مكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابه، ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء[5].

فالحاصل أن الصوفية قد زين لهم الشيطان العبادات البدعية، وبغض إليهم

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٢٧٤ .

(٣) «خزينة الأصفياء» لغلام سرور اللاهوري ص ٩١ باكستان.

(٤) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٥٠٠ .

(٥) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني ج٢ ص ٨٨ .

السبل الشرعية، وحببت إليهم الخلوة والاعتزال؛ **ليحرموا ثواب الجماعة والجمعة**، ولم يعرف الصوفية أن لم يبقَ طريق إلى **الله إلا باتباع محمد** ﷺ وأصحابه، وأن هذه العزلة والوحدة الاستغناء **عن الأهل والولد وذوي الرحم** وأصحاب القربى والأصدقاء والأخلاء، **لمن الأعمال المخالفة** للشريعة الإسلامية، والموجبة للحرمان **عن أجر السعي إلى ذكر** الله وأداء الجمعة **والاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم والإصغاء إلى** أحاديث الرسول ﷺ كما أنها **من الأعمال المسببة للحرمان عن أجر** المصافحة، ومعاشرة المسلمين بالبر الصلة وحسن **الخلق، وتشييع** الجنائز، وعيادة المرضى، وزيارة القبور، وخدمة الوالدين، وغيرها من الخلق الحسن، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال.

«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أن يفترقا»[(١)]

وقال ﷺ:

«من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[(٢)]

وقال:

«ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»[(٣)]

وقال عليه الصلاة والسلام

«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[(٤)]

«ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم»[(٥)]

ولكن الصوفية المعتزلين المحبين للخلوة، المستمرين في الوحدة والعزلة شهورًا وسنين -يعتقدون عكس ما في السنن والأحاديث، فيروي كل من

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني عن أبي ذر.

السلمي والسهروردي والباخرزي وابن عجيبة الحسني والشعراني قاعدة عامة للصوفية فيقولون لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا[(١)]

وينصح ابن عربي المريد لبركات التصوف بقوله: **لا يزور ولا يزار، ولا يكلم** أحدًا في خير ولا في شر[(٢)]

ويقول في كتاب آخر الصحبة أشر شيء على المريد، **فإن الطريق مبني على قطع المألوفات** وترك المستحسنات، لما كانت الصحبة تؤدي إلى الألفة والأنس **وتغيير المحل بوجود** الألم عند وقوع المفارقة؛ لهذا كرهناها[(٣)]

حتى **إنه قال: لا يقُل المريد لأحد**: كيف حالك؟[(٤)]

ورووا عن **أويس القرني كذبًا أنه قال: لا** ينال الناس هذا الأمر حتى يكون الرجل كأنه قتل الناس **أجمعين**[(٥)]

ونقلوا كذلك عن الرفاعي أنه كان يقول: ما لي خير إلا في الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدًا[(٦)]

وقد أوصى داود الطائي مريده بترك صحبة الناس ومعاشرتهم، فقال فرَّ من الناس كفرارك من السبع[(٧)]

وأما الشاذلي فيروون عنه أنه دعا ربه يا رب، أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم[(٨)]

---

(١) «طبقات السلمي» ص ٤٢، «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١١٢، «أوراد الأحباب وفصوص الآداب» لأبي المفاخر يحيى الباخرزي ص ١١٠ ط إيران، «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة ص ٦١، «الطبقات الكبرى» للشعراني ص ٨٧

(٢) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط لابن عربي ص ٢٧٢ المنشور مع «ذخائر الأخلاق» وكلاهما لابن عربي القاهرة

(٣) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص ٢٣٤ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.

(٤) أيضًا ص ٢٣٧

(٥) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٢٧

(٦) أيضًا ج ١ ص ٢٧

(٧) «الرسالة القشيرية» ج١ ص ٨٤

(٨) انظر المدرسة الشاذلية وإمامها «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٥ دار الكتب الحديثة القاهرة.

وقال الغزالي الخلوة أصل، والخلط عارض، **فيلزم الأصل ولا يخالط**[١]

ويقول أحمد الكمشخانوي واعلم أن التوفيق **للعزلة دليل سعادة الأبد؛** لأن من خالط الناس داراهم، ومن داراهم **راءاهم، ومن راءاهم نافقهم،** ومن نافقهم استحق الدرك الأسفل من **النار**[٢]

ويكتب ابن عربي: إن الحق -سبحانه- لا يتجلى لقلب له أنس بغيره[٣]

ورووا عن الشبلي أنه قال: علامة الإفلاس الاستئناس بالناس[٤]

وهذا كله رغم **حديث** رسول الله ﷺ ذكره السهروردي أيضًا في عوارفه عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» [٥]

وهل تأتي الألفة بالتنافر والوحدة والعزلة والفرار من الناس أم بالمعاشرة والمخالطة والالتقاء والمصاحبة؟

هذا وذكر الأموي عن الجنيد أنه قال: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة[٦]

ولم يأمر الصوفية معتقديهم بالتنافر والفرار عن عامة الناس فحسب، بل عن الأقرباء وذوي الأرحام أيضًا كما أنشد ابن عجيبة الحسني

واستغن عن كل ذي قرب وذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس[٧]

---

(١) «فرائد اللآلي من رسائل الغزالي» ط فرج الله ذكي الكردي مصر بتحقيق محمد بخيت ١٣٤٤هـ.

(٢) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ١٧٤

(٣) «التدبيرات الإلهية» لابن عربي ص ٢٣٥ ط ليدن ١٣٣٦هـ.

(٤) جامع الأصول للكمشخانوي ص ١٧٤

(٥) انظر «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١١٢

(٦) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي بهامش «قوت القلوب» للمكي ج ٢ ص ٩٣ ط دار صادر بيروت.

(٧) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ج١ ص ١٢٠

وأين يذهب بعد الاعتزال عن الناس والاستغناء عنهم، بيَّن ذلك صاحب الأنوار القدسية حيث يقول: من شأن المريد الصادق محبة العزلة عن الناس، واستغناؤه الجلوس في البراري والمواضع الخربة حتى يتقوى ويصبر ولا يتدنس بالأعيار[١].

ويقول: المريد الصادق يحب الخلوة البعيدة عن مرور الناس كخلاوي السطوح، ويجب أن تكون ضيقة حتى لا يصلح له مد رجله فيها، ويجب أن تكون مظلمة لا يدخلها نور الشمس[٢].

ولماذا يعتزل؟ يصرح بذلك الدمياطي حيث يقول: من الوصايا العزلة، وهي التفرد عن الخلق، وليذهب المريد إلى موضع كالبرية والجبال لا تلزمه فيه الجمعة والجماعة[٣].

فترك الجمعة والجماعة هو المقصود من الاعتزال والخلوة عندهم.

وقد يذكر هذه الخلوة وآدابها وطرق الدخول فيها بحرق الحضرمي[٤] أيضًا.

وأيضًا عبد العزيز الدريني[٥].

وقد ذكر الشعراني عن بعض مشايخه أنه ما شهد جنازة قط[٦].

وينقل الفيتوري عبد السلام عن نصير الدين الأودهي العروس أنه لم يخرج قط إلى زيارة المريض إلى أن مات[٧].

---

(١) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ١٤٠

(٢) أيضًا ج ١ ص ١٤١

(٣) «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» للدمياطي ص ٣٥ .

(٤) انظر رسالة «ترتيب السلوك» إلى ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي المتوفى ٩٣٠هـ جامعة ط بنجاب لاهور باكستان.

(٥) انظر «طهارة القلوب» لعبد العزير الدريني ص ٢٥٠ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

(٦) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني طبعة قديمة، مصر.

(٧) «الوصية الكبرى» للفيتوري ص ١٠١ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

مع أن رسول الله ﷺ قال:

«من شيع جنازة فله قيراط من الأجر، فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان. وفي الخبر: «القيراط مثل جبل أُحُدٍ»[١].

وقال النبي ﷺ:

«من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفَة الجنة»[٢].

وقال عليه السلام:

«من أتى أخاه المسلم عائدًا مشى في خرفة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»[٣].

فالحاصل أن الصوفية قد وضعوا بدع الخلوة والعزلة فرارًا من الصلاة مع الجماعة، وهروبًا عن أداء الجمعات، كما أنهم حرموا أنفسهم من أجور أخرى أيضًا.

ولم يتركوا الجمعة والجماعة فحسب، بل إن بعضًا منهم قد تركوا الصلاة أصلًا كما نقل النبهاني عن عبد القادر الدشطوطي أنه كان يسمع الأذان ولكنه ما رؤي يصلي قط، فاعترض عليه الناس، فقال: الناس معذورون، يقولون: عبد القادر ما يصلي. ولكن لنا أماكن نصلي فيها[٤].

وهذه خرافة لا أصل لها نقلًا ولا عقلًا، وإنما اخترعت لتعطيل الشريعة وتركها، وعلى ذلك يقول النبهاني محجرًا عقله ومسفهًا إياه: إياكم، إياكم أن تنكروا على أحد من الأولياء كونه لم يصل معكم في جماعة؛ فإن لله تعالى رجالًا يصلون كل صلاة من الخمس في مكان غير بلدهم، فبعضهم لا يصلي الجمعة دائمًا إلا بمكة أو عند رسول الله ﷺ وبعضهم لا يصلي الظهر كل يوم

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٤) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ٢ ص ٩٥ ط دار صادر بيروت، أيضًا «طبقات الشعراني» ج٢ ص ١٣٩

إلا في الجامع الأبيض برملة لد، ومنهم من لا يصلي المغرب كل يوم إلا على سد إسكندر ذي القرنين أو جبل قاف، ومنهم من لا يصلي العصر كل يوم إلا ببيت المقدس، ومنهم من لا يصلي الصبح كل يوم إلا بالجبل المقطم. قال: وكان سيدي إبراهيم المتبولي وجماعة يصلون الظهر كل يوم بالجامع الأبيض برملة لد.

قال الشعراني: وممن كان بمثل هؤلاء أيضًا سيدي علي الخواص وسيدي عبد القادر الدشطوطي وسيدي يوسف الكردي، وأخبرني الشيخ يوسف الكردي أنه صلى مع سيدي إبراهيم المتبولي الظهر مرات بالجامع الأبيض برملة لد، وكان أمامه نحيف الجسم، فأمرني الشيخ فسلمت عليه، ومشينا خطوات فإذا نحن داخل الغيط ببركة الحاج، وكان سيدي إبراهيم وقت الظهر يدخل الغيط دائمًا فلا يراه أحد يصلي الظهر في مصر أبدًا[(١)].

وذكر محمد غوثي الشطاري المتوفى في القرن العاشر من الهجرة شيخه شرف الباني بتي أنه لم يكن يصلي، فاعترض عليه فقال: إن الله أعفاني عن الفرض، وقال لي: عينك عيني. أي: ذاتك ذاتي[(٢)].

وهناك آخر أحمد المعشوق المتوفى ٧٧٣هـ ذكروا عنه أنه كان تاركًا للصلاة فسأله الناس عن السبب فأجاب قائلا: إني امرأة حائض، لا تجب الصلاة عليَّ[(٣)].

وكذلك ذكر العطار عن ذي النون المصري أنه قال له أحد مريديه: حججت أربعين حجة، وقمت الليل أربعين سنة، ولكني ما حظيت بمحادثة الله تعالى ومكاشفاته. فقال له ذو النون: كل شبعًا ولا تصلي العشاء.

ثم يعلق عليه العطار: لو سأل سائل ما الحكمة في الأمر بترك الصلاة؟ فالجواب أن الطريق أحيانًا تخالف ظاهر الشريعة كقتل الخضر الولد بدون سبب ظاهري، فإذن لا إنكار في الطريقة على مثل هذه الأمور[(٤)].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٤٥ .
(٢) «كلزار أبرار «لمحمد غوثي شطاري ١٠٠ ط المعارف لاهور باكستان.
(٣) «تذكرة أولياء بر صغير» للميرزا الدهلوي ج ٣ ص ١٦٥
(٤) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٧٣ ط باكستان.

وحكي عن العطار أيضًا أنه كان تاركًا للصلاة، وكان يقول: **إن الله رفع عني فريضة الصلاة**[١].

وهناك صوفي كان يبغض المؤذن للصلاة، **فيقول الشعراني: كان سيدي** إبراهيم عصيفير رحمه الله يتشوش من قول **المؤذن: الله أكبر. فيرجمه، ويقول**: عليك يا كلب، نحن كفرنا يا **مسلمين حتى تكبروا علينا**[٢].

وينقل ابن عجيبة الحسني عن أحد الصوفية أنه كما ينشد:

تذلل له تحظى برؤيا جماله ... ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل[٣]

وحكي عن **الواسطي أنه** لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها. فقال: أمركم بالمجوسية المحضة، هلا أمركم بالغيبة عنها. أي: عن الطاعة بشهود مجريها ومنشيها[٤].

فإذا كان التزام الطاعة كالصلاة والصيام والحج من الفروض والسنن مجوسية محضة، فما هو الإسلام؟ ومن أين استقى الصوفية فكرة الغيبة عن الطاعة بشهود منشيها ومجريها؟ وكذلك يخالفون رسول الله ﷺ في تركهم للصف الأول قصدًا وعمدًا مع أن رسول الله ﷺ قال:

«**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها**»[٦].

---

(١) أيضًا ص ٨٦ .

(٢) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٤١

(٣) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ٥٠٧ .

(٤) أيضًا ص ١١٧ .

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه مسلم.

وقال:

«**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**»[١].

وأما الصوفية فهم يكرهون ذلك كما قال **الطوسي**: **ومن** آداب الصوفية **أنهم** يكرهون الصلاة في الصف الأول[٢].

ويقول الشعراني: وقد كان سيدي أحمد الزاهد، وسيدي **محمد المغربي**، **وسيدي مدين**، وسيدي أبو العباس الغمري يصلون دائما في آخر صف في مساجدهم[٣].

ثم يبين **الشعراني علة صنيعهم** هذا، والعلة أقبح من الصنيع، فيقول: إن فعلهم هذا كان حياء **من الله**، **كما قال** سيدي علي الخواص -رحمه الله-: حكم كمل العارفين إذا وقف أحدهم بين يدي ربه في الصلاة حكم من كان فسق في حرى الوالي أتوا به إليه فهو يخاف من القرب من حضرته حتى يحصل رضى الوالي أو العفو والمسامحة[٤].

إن هذا تهاون بالسنة، وإلا فما هذا الخجل والحياء والخوف؟ وهل هؤلاء الصوفية كانوا أشد خوفًا من صحابة النبي ﷺ ، وبالتالي هم الذين يقولون: لا نعبد ربنا خوفًا وطمعًا ورهبة ورغبة. كما بيَّنَّا ذلك بالتفصيل.

ومن مخالفاتهم في الصلاة أيضًا ما ذكره الطوسي من آداب الصوفية أنهم إذا دخلوا البادية يُتِمُّون الفرائض ولا يقصرون الصلاة، ولا يتركون شيئًا مما كان يعملون في أوطانهم، وإن أباح لهم العلم ترك ذلك؛ لأن السفر والحضر عندهم سواء[٥].

هذا وقد روي عن يعلي بن أمية قال:

«**قلت لعمر بن الخطاب: إنما قال الله تعالى:**

﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾

---

(١) رواه أحمد.

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٠٨ .

(٣) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ١ ص ٣٣٢ .

(٤) أيضًا ص ٣٣٣

(٥) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٢٧ .

فقد أمن الناس. قال عمر: عجبت مما عجبت منه، **فسألت** رسول الله ﷺ فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا **صدقته**»[(١)].

وعن ابن عباس قال:

«**فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعًا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة**»[(٢)].

وأما **الصوفية فيقولون: إن طريقهم طريق الشدة**، ويرون العمل بالرخص **انحطاطًا عن الحقيقة كما يقول ابن عربي**: إن التصوف طريق الشدة ليس **للرخاء فيه مدخل؛ لأن الرخص** إنما هي للعامة[(٣)].

وقال النفزي الرندي: إذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة إلى رخص الشريعة، فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله[(٤)].

مع أن رسول الله ﷺ قال:

«**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**»[(٥)].

فهذه بضع مخالفات الصوفية في أهم فرائض الإسلام للصلاة.

وأما الصوم فهم خالفوا في ذلك أيضًا تعاليم الرسول ﷺ سالكين في ذلك مسلك أهل الرياضات الهندية، ومجاهدات الرهبان النصارى، الذين يلتمسون الخوارق والبركات والتجليات والثمرات في التجوع، ظنًّا مهم بأن الجوع يورث الحكمة والمعرفة والأنوار الإلهية، فالصوفية أيضًا انتهجوا منهجهم واقتفوا سنتهم، فروي عن كثير منهم أنهم كانوا يصومون الدهر كما يقول السهروردي: جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأمر المربوط لابن عربي ضمن «ذخائر الأعلاق» له أيضًا ص ٢٦٨

(٤) «غيث المواهب العلية» للنفزي ج ١ ص ١٩٩ .

(٥) قد ذكر هذا الحديث ابن عربي أيضًا في كتابه الجواب المستقيم ص ١٤٨ من «ختم الأولياء».

وكان عبد الله بن جابار قد صام نيفًا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر[١].

وحكوا عن أبي رويم بن أحمد **أنه قال: اجتزت ببغداد وقت** الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان، فاستقيت من دار، **ففتحت صبية بابها ومعها كوز؛ فلما** رأتني قالت: صوفي يشرب بالنهار!! **فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط**[٢].

ويقول الطوسي: حكي عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام... وحكي عن بعض **المشايخ الأجلة أنه قال: صُمْتُ** كذا وكذا سنة لغير الله، وذلك أن شابًا كان يصحبه، **فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك** الشاب فيتأدب به ويصوم بصيامه.

ورأيت أبا الحسن المكي بالبصرة -رحمه الله- فكان يصوم الدهر ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة[٣].

ونقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم بن أدهم أيضًا أنه كان يصوم في السفر والحضر[٤].

ورووا عن أحد أصحاب البسطامي أنه قام الليل وصام الدهر ثلاثين سنة[٥].

وذكر الدريني المتوفى ٦٩٧هـ عن داود بن أبي هند أنه صام أربعين سنة لم يعلم الناس ولا أهل بيته، وكان يأخذ الخبز ويخرج فيتصدق به، فيظن الناس أنه يأكل في البيت، ويظن أهل بيته أنه يأكل مع الناس[٦].

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٣٣١، أيضًا «اللمع» للطوسي ص ٢٢٠

(٢) «الرسالة القشيرية» ج١ ص ١٢٧، «اللمع» للطوسي ص ٢١٧، ٢١٨، «روضة التعريف» للسان الدين بن الخطيب ص ٦٧٣، «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٢٠٩، «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٢٢٩ .

(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٢٠

(٤) «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ج ٢ص ١٢٧

(٥) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١١٢

(٦) «طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب» لعبد العزيز الدريني ص ٢٠٩ ط البابي الحلبي.

وأما الشعراني فيذكر عن أحمد السطيحة أنه كان رضي الله عنه **يعرف سريان القلوب**، وكان رضي الله عنه صائم الدهر[١].

وصوم الدهر هذا مخالف تمامًا لحديث رسول الله **ﷺ حيث قال**:

«أفضل الصيام صيام أخي داود -عليه السلام- كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»[٢].

وروي **عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال**: لقيني رسول الله ﷺ فقال:

«ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل، وأنت الذي تقول: لأقومن الليل وأصومن النهار؟ قال: أحسبه قال: نعم، يا رسول الله قد قلت ذلك. فقال: فقم ونم وصم وأفطر، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر. قال: قلت: يا رسول الله، إني أطيق أكثر من ذلك. قال: فصم يومًا وأفطر يومين. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فصم يومًا وأفطر يومًا، وهو أعدل الصيام، وهو صيام داود عليه السلام. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: لا أفضل من ذلك[٣].

وخالفوا الشريعة في الزكاة أيضًا كما روى ابن زروق والجامي وابن عجيبة والمنوفي أن واحدًا من علماء الفقه سأل الشبلي: كم في خمس من الإبل؟ فسكت الشبلي، فأكثر ابن بشار، فقال له الشبلي: في واجب الشرع شاة، وفيما يجب على أمثالنا كلها لله»[٤].

وأما الهجويري فيروي عنه أيضًا مثل ذلك فيقول: ووجدت في الحكايات أن واحدًا من علماء الظاهر سأل الشبلي على سبيل التجربة عن الزكاة قائلًا: ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة؟ قال: حين يكون البخل موجودًا، ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم عن كل مائتي درهم، ونصف دينار عن

---

(١) «طبقات الشعراني» ج١ ص ١٣٨

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) «قواعد التصوف» لابن زروق ص ٢٠، «نفحات الأنس» للجامي ص ١٣٩، «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ٥١، «جمهرة الأولياء» للمنوفي ج٢ ص ١٥٣

كل عشرين دينارًا، هذا في مذهبك. أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئًا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة[١].

وعلى ذلك نقل الطوسي والقشيري والسهروردي وغيرهم عن السري السَّقَطِيّ أنه قال: لا تسأل من أحد شيئًا، ولا تأخذ من أحد شيئًا، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدًا[٢].

ويقول سمنون: المحب الفقير الصادق هو الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى[٣].

ومن إحدى **خرافات النفزي في مواقفه** أنه قال: قال لي الله: إن كنت ذا مال فما أنا منك، ولا أنت مني[٤].

وحكى ابن الملقن في هذا المعنى عن الجنيد أن قال: جاء إبراهيم الصياد يومًا إلى سري وهو متزر بقطعة حصير، فأمر السري فجيء بجبة فامتنع من لبسها، فقال له سري: البسها، فإنه كان معي مقدار عشرة دراهم من موضع حلال فاشتريتها به. فنظر إليه شذرًا، وقال: أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم، وامتنع من أخذها[٥].

ولذلك لا يشتغلون بالكسب وطلب المعاش، بل يظنونه ركونًا إلى الدنيا[٦].

وأما الحج فأحيانًا يستهزئون به، وأحيانًا كانوا يخرجون له بدون زاد

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٥٥٨ .

(٢) «اللمع» للطوسي ص ٢٦٢، «الرسالة القشيرية» ج١ ص ٧١، «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٩٢ .

(٣) «طبقات الصوفية» لعبد الرحمن السلمي ص ٤٧ ط.

(٤) كتاب المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفري ص ٥٤ ط مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م.

(٥) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٢٥ .

(٦) انظر لذلك «قوت القلوب» ج ١ ص ٢٥٢، أيضًا كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٦١، أيضًا «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج١ ص ٢٠٨

وراحلة، يتكففون الناس ويستجدون منهم، ويمدون الأيدي إليهم، وقد مرَّ بيان هذا فيما سبق عند ذكر تطرفهم في التوكل.

وأما تركه والاستهزاء به فيذكر العطاء عن أبي يزيد البسطامي أنه خرج مرة للحج، فرجع من الطريق، فسألوه عن السبب، فقال: لقيني في الطريق رجل حبشي، وقال لي: لماذا تركت الله ببسطام؟ فرجعت[1].

ونقل السهلجي والعطار عن البسطامي أيضًا أنه قال: خرجت إلى الحج، فاستقبلني رجل في بعض المتاهات، فقال: أبا يزيد إلى أين؟ فقلت: إلى الحج. فقال: كم معك من الدراهم؟ قلت: معي مائتا درهم. فقال: طف حولي سبع مرات، وناولني مائتي الدرهم فإن لي عيالا. فطفت حوله وناولته مائتي الدرهم[2].

ونقل عنه الهجويري أنه قال: صرت إلى مكة، فرأيت البيت مفردًا، فقلت: حجي غير مقبول؛ لأني رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخرى ورأيت البيت ورب البيت، قلت: لا حقيقة للتوحيد بعد. وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت، ولا بيت[3].

ومثل ذلك حكى سبط ابن الجوزي نقلًا عن ابن خميس أنه قال: قال أبو يزيد: حججت أول حجة فرأيت البيت ولم أرَ صاحب البيت، وحججت ثالثًا فلم أرَ البيت ولا صاحب البيت ولا الناس[4].

ومما يدل كذلك على استهزاء القوم بالكعبة، وإهانتهم لها وللطواف حولها ما ذكر النبهاني نقلًا عن إبراهيم الخواص أنه قال: إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجرًا حجرًا، ثم رجع كل حجر إلى مكانه. قال اليافعي رحمه الله تعالى: وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة من القوم

(١) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٨٢ .

(٢) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٦٤ من «شطحات الصوفية» للدكتور بدوي، «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٨٢ .

(٣) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣١٩ .

(٤) «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي ص ٢١٤ ضمن «شطحات الصوفية» للبدوي.

شوهدت الكعبة وهي تطوف بهم طوافًا محققًا[١].

وذكروا مثل ذلك عن رابعة البصرية أيضًا فقالوا: سافرت رابعة إلى مكة، فرأت أثناء الطريق كعبة الله تمشي إليها -عياذًا بالله- فقالت: لا أريد الكعبة، بل أريد ربها[٢].

وذكر السهلجي مثل ذلك عن البسطامي حيث روي عنه أنه قال: كنت أطوف حول بيت الله الحرام؛ فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي[٣]. وليس هذا فحسب، بل قال الحسن بن علوية: ذهب أبو يزيد إلى مكة مع واحد من تلامذته؛ فلما دخل المدينة جاءت مكة إلى المدينة، فطافت حوالي أبي يزيد، فغشي على تلميذه، فوقع على الأرض؛ فلما أفاق مسح رأسه، وقال: تعجبت؟ فقال: نعم. قال: والله إن جاءت إلى بسطام لكانت مقصرة في حقي -عياذًا بالله[٤].

هل هناك استهزاء واستخفاف بالكعبة والطواف حولها أكبر وأشد من هذا؟ وأليست هذه الهذيانات إهانة ونيلًا من شأن ركن من أركان الإسلام الخمسة؟

ومن إهانتهم كذلك للكعبة المشرفة -زادها الله شرفًا وتعظيمًا وتكريمًا رغم أنوف الصوفية- أن أحد الصوفية بالهند الشيخ محمد يعقوب سئل: ما الفرق بين معبد السيخ (طائفة من كفار الهند) وبين بيت الله الحرام؟ فأجاب بقوله: ليس بينهما أي فرق[٥].

وأما الشعراني فقال: لا ينبغي للمريد أن يستدبر شيخه أبدًا إلا بإذن، ويكون ذلك مع استشعار المريد الخجل والحياء، حتى كأنه يمشي على الجمر، فإن شيخه أعظم حرمة من الكعبة[٦].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٤٥ .

(٢) انظر «خزينة الأصفياء» لغلام سرور اللاهوري ص ٤١٣ ط باكستان.

(٣) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٣٩ .

(٤) أيضًا ص ١٨٥

(٥) «تذكرة غوثية» للشطاري الماندوي ص ٩٦ ط باكستان.

(٦) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٢ ص ٥٤ دار إحياء التراث العربي بغداد.

ويجعل شأن زاوية محمد الغمري مثل شأن بيت الله **الحرام**، فيقول: إن جماعة تراهنوا على أنهم يجدون زاوية سيدي **محمد الغمري في** المحلة الكبرى، ساكتة عن الذكر في ليل أو نهار، **فلم يجدوها، فكانت كالكعبة** بالنسبة للطائفين(١).

ولم يستخفوا بالكعبة فقط **بل الحجر الأسود كما ذكر** النبهاني عن ابن عربي أن الكعبة كلمته، **وكذلك الحجر الأسود، وأنها** طافت به، ثم تلمذت له، **وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في** طريق القوم، فرقاها لها، وناشدها أشعارًا وناشدته، **فراجعه، وحاشا أولياء** الله أن يخبروا خلاف الواقع(٢).

وتجوزوا في إهانتها جميع الحدود وبلغوا أقصاها حيث نقلوا عن الشبلي أنه رأى الناس شعلة من نار في يده فسألوه السبب؟ فأجاب: أريد أن أحرق بها الكعبة ليتوجه الناس إلى ربها(٣).

وأخيرًا ننقل من الصوفي المصري عبد الرحمن الصفوري حكاية تدل على السخرية بالكعبة المشرفة والمدينة المنورة وبيت المقدس، فيذكر عنه الخواص أنه قال: زرت ولية كبيرة من أولياء الله، فقلت لها: هل لك في بلادنا؟ فقالت: وما أصنع في بلادك؟ فقلت لها: فيها مكة والمدينة وبيت المقدس. فقالت: ارفع رأسك. فرفعت رأسي، فإذا بالكعبة والمدينة وبيت المقدس يحومون على رأسي في الهواء(٤).

فهذه هي حقيقة الحج والكعبة والطواف حولها لدى المتصوفة، وتلك هي مخالفاتهم للشريعة الإسلامية، وإهانتهم لأركانها -أعاذنا الله من ذلك.

ومن أعمالهم المخالفة للشريعة الإسلامية عدم اعتنائهم بالنظافة والطهارة التي جعلها رسول الله ﷺ نصف الإيمان(٥).

---

(١) أيضًا ج ٢ ص ١٤٠

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ص ١٢٠

(٣) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٣٠٤ .

(٤) «نزهة المجالس» للصفوري ج ١ ص ١٨ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٥) رواه مسلم.

وروي عنه -عليه الصلاة والسلام- في فضل الطيب والنظافة أنه قال:

«**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة. كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا ولا تشبهوا باليهود**»[1].

ولكن الصوفية ينصحون مريديهم بعكس ذلك، **فيكتب عبد الغني الرافعي: كل مريد** غسل ثوبه بغير نجاسة، أو اكتحل، **أو رجَّل شعره، أو حسن شيئًا من زينة ظاهرة** لغير ضرورة أو أمر شيخ، فهو عامل نفسه. وقالوا لبعضهم: **لِمَ لا تمشط لحيتك؟ فقال**: إني إذن فارغ[2].

مع أنه روي عن **أنس** رضي الله عنه **أنه قال**:

«**كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته**»[3].

وروي عن عطاء بن يسار قال:

«**كان رسول الله ﷺ في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ففعل، ثم رجع، فقال: رسول الله ﷺ**:

هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم وهو ثائر الرأس كأنه شيطان»[4].

وأما الشعراني فيروي عن الصوفي الشيخ محمد السروري أنه جاءه الشيخ عليٌّ الحديدي يطلب منه الطريق فرآه ملتفتًا لنظافة ثيابه فقال: إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء، فكان كل من أكل سمكًا أو زفرًا يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة أشهر حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو المساكين؛ فلما رأى ثيابه لقنه الذكر[5].

وذكر أيضًا صوفيًا آخر أنجس وأقذر بكثير، فقال: كان سيدي بركات

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٣٦ ط المطبعة العامرية الشرفية مصر ١٣٠١هـ ومثله في «تذكرة الأولياء» للعطار ص ١٢٩

(٣) رواه في شرح السنة.

(٤) رواه مالك.

(٥) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٢٨

الخياط ﷺ يخيط المضربات المثمنة، وكان ﷺ **يقول** لمن يخيط له: **هات معك** فوطة وإلا يتسخ قماشك من ثيابي.

وكان دكانه منتنًا قذرًا؛ لأن كل كلب وجد **ميتًا أو قطًا أو خروفًا يأتي به** فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد **أن يجلس عنده**[١].

وقد ذكر صاحب الأنوار **القدسية عدم الاعتناء بالنظافة** كقاعدة عامة لجميع **المتصوفة حيث قال: يجب على المريد** الصبر على وسخ الثياب وتخريقها **حتى يزول وسخ قلبه**[٢].

وروى **الشيخ نور الدين** السمهودي أنه كان له فروة كبش مغشاة بثوب طرح يلبسها صيفًا وشتاءً، وكانت عمامته من غليظ المحلاوي، يغسلها مرة في السنة[٣].

وذكر ابن الملقن أن امرأة كانت تخدم الجنيد قالت: جئت يومًا إلى النوري، وكان يومًا شديد البرد والريح، فوجدته في المسجد وحده جالسًا، فأمرني بإحضار خبز ولبن، فأحضرته، وكان بين يديه قصعة فيها فحم، فقلبه بيده وهو مشتعل، ثم أخذ الخبز واللبن، فجعل اللبن يسيل على يديه، وفيها سواد الفحم، فقلت: يا رب، ما أقذر أولياءك، ما فيهم أحد نظيف. قالت: ثم خرجت من عنده، فتعلقت بي امرأة، وقالت: سرقت رزمة ثياب. وجروني إلى الشرطي، فأخبر النوري بذلك، فخرج، وقال: لا تتعرض لها، فإنها ولية. فقال الشرطي: كيف أصنع المرأة تدعي ذلك؟ قالت: فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة، وانطلق النوري بزيتونة، وقال لها: تقولين بعد هذا: يا رب ما أقذر أولياءك؟ فقالت: تبت[٤].

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٤٥

(٢) «الأنوار القدسية» لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ٩٠ .

(٣) «الططبقات الصغرى» لعبد الوهاب الشعراني ص ٦٢ تحقيق عبد القادر عطا ط مكتبة القاهرة ١٣٩٠هـ.

(٤) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٦٦

فالمعنى أنه لا يحق لأحد أن يعترض على قذارة الصوفية ونجاستهم، ولا يجوز أن ينصح أحد هؤلاء المنتنين المتشبهين باليهود الأقذار، المهتمين بوضع الكلاب والقطط الميتة في مساكنهم، لا ينصحهم أحد باعتناء النظافة والطهارة، وإلا فيصيبهم عقاب من عند الله وعذاب أليم.

هذا، وإن هناك مخالفة أخرى لنص الشريعة الإسلامية يرتكبها الصوفية، وهي: إضاعة المال وإتلافه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[1].

وأما الصوفية فيروون عن الشبلي أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة، فقالوا له: ما تفعل؟ قال: الحجر أولى بالماء. قالوا: لم لا تعطيها للخلق؟ قال: سبحان الله، بم احتج إلى الله في أني رفعت الحجاب عن قلبي، وجعلته على قلوب أخوتي المسلمين[2].

وروى الطوسي عن الحسين النوري أنه حمل إليه ثلاثمائة دينار، قد باعوا عقارًا له، فجلس على قنطرة الصراط وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء، ويقول: سيدي تريد أن تخدعني بهذا؟[3].

ومن الحكايات في هذا المعنى كما ذكرها النفزي الرندي عن أبي عبد الله الرازي أنه قال: كساني ابن الأنباري صوفًا، ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفةَ تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعًا لي؛ فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلَيَّ، فتبعته، وكان من عاداته إذا أراد أن أتبعه أن يلتفت إليَّ؛ فلما دخل داره دخلت، فقال: انزع الصوف. فنزعه، فلفه، وطرح عليه القلنسوة، ودعا بنار فأحرقهما[4].

وعلى ذلك ذكر عنه الشعراني أنه كان إذا أعجبه شيء من ثيابه يذهب إلى

---

(١) متفق عليه.

(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٦٢ .

(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ٢٥٧

(٤) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج ٢ ص ٩٩ .

التنور فيحرقه، فيقال له: هلا تصدقت به؟ فيقول: ما أشغل قلبي كذلك يشغل قلب غيري[(١)].

وقال الطوسي: دخل بعضهم عليه فرأى بين يديه اللوز والسكر وهو يحرقهما بالنار[(٢)].

هذا، ومثل هذا كثير.

ومن مخالفتهم رسول الله ﷺ حلق اللحية حيث أمر بإعفائها، وعدها من الفطرة حيث قال:

«**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم[(٣)] ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**». وقال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[(٤)].

وأما الصوفية فثبت منهم خلاف ذلك، فيقول الشعراني. وبعضهم الصوفية يحلق رأسه وحواجبه ولحيته[(٥)].

وبهذا صرح أبو نعيم الأصفهاني والعطار عن أبي بكر الشبلي نقلًا عن أحمد بن محمد النهاوندي أنه قال: مات للشبلي ابن كان اسمه غالبًا، فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا أستاذ، ما حملك على هذا؟ فقال: جزت هذه شعرها على مفقود، فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود؟[(٦)]. وإلى ذلك أشار ابن زروق في كتابه[(٧)].

وورد عن أبي يزيد البسطامي أيضًا أنه أمر مريده بحلق اللحية، والحكاية

---

(١) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ٩٠، أيضًا «الطبقات الكبرى» له ج ١ ص ١٠٤

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٨٣.

(٣) أي: العقد التي على ظهر مفاصل الأصابع.

(٤) رواه مسلم.

(٥) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج١ ص ٢٧٦

(٦) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني ج ١٠ ص ٣٧٠، أيضًا «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٢٨٢

٧) انظر «قواعد التصوف» لابن زروق ص ٨٧ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ.

بكاملها ذكرها السهلجي، وابن عجيبة، وعبد الغني الرافعي، فينقلون عن الحسن بن علي الدامغاني أنه قال: كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد ولا يفارقه، فقال له ذات يوم: أستاذ، أنا منذ ثلاثين سنة، أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات، وليس أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئًا بتة، وأنا أومن بكل شيء تقول وأصدق به. فقال له أبو يزيد، لو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ثلاثمائة سنة، وأنت على ما أراك، لا تجد من هذا العلم ذرة. قال: ولِمَ يا أستاذ؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال له: فلهذا دواء، حتى ينكشف هذا الحجاب؟ قال: نعم، ولكنك لا تقبل ولا تعمل. قال: بلى، أنا أقبل وأعمل ما تقول. فقال له أبو يزيد: اذهب الساعة إلى الحجام، واحلق رأسك ولحيتك، وانزع منك هذا اللباس، واتزر بعباء، وعلق في عنقك مخلاة، واملأها جوزًا، واجمع حولك صبيانًا، وقُلْ بأعلى صوتك: يا صبيان من صفعني صفعة أعطيته جوزة. وادخل إلى سوقك التي تعظم فيه، وينظر إليك كل من عرفك على هذه الحالة. فقال: يا أبا يزيد، سبحان الله! تقول لي مثل هذا، ويحسب أن أفعل هذا؟ فقال أبو يزيد: قول: سبحان الله. شرك. قال: وكيف؟ قال أبو يزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها. فقال له أبو يزيد: هذا لا أقدر عليه ولا أفعله، ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله. فقال له أبو يزيد: ابتدئ بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أُعرفك ما يصلح لك. فقال: لا أطيق هذا. قال: قلت: إنك لا تقبل وأنا أعلم[(١)].

فإذن لا يصلح أمر التصوف إلا لمن بادر إلى مخالفة الشرع بأمر شيخه ولم ينكر عليه، ولذلك كتب الشعراني: لا ينبغي لأحد أن يبادر إلى الإنكار على من أمره شيخه بحلق لحيته، فربما كان ذلك من شيخه ليدفع به عنه الكبر والفخر[(٢)].

---

(١) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١١٢، ١١٣، «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٣٦، «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٢٢.

(٢) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج١ ص ٤١٢

فهل يندفع الكبر والفخر، وتتأتى اللذة في الصوم **والصلاة والتلاوة بالخروج** على الكتاب والسنة؟ وبالمناسبة ننقل هنا **ما قاله الأفلاكي نقلًا** عن بعض مشايخه أنه قال: من سعادة المرء خفة لحيته؛ **لأن اللحية حلية المرء**، وفي كثرتها إعجاب المرء بنفسه، وهو من **المهلكات**[(١)].

وهذا كله رغم ادعائهم **من لم يتقيد بالكتاب والسنة** فلا يمشي في ركابنا[(٢)]. **وقال الدسوقي: كل من خالف السنة فهو** عدوي[(٣)]. ويقول الأسمر الفيتوري: **من لم يتبع السنة فليس منا ولا** نأخذ بيده[(٤)].

على كل فإن الصوفية مع ادعائهم أن طريقتهم مبنية على الكتاب والسنة ومتقيدة بهما لا يبالون بمخالفة أوامر الشرع ونواهيه، بل وأنهم يحكمون بما يخالف الشريعة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه، وستأتي أمثلة ذلك في الباب التالي ادعاء بأنهم لا يفعلون شيئًا إلا إذا أمروا كما قال ظهير الدين القادري: أنا لا أفعل شيئًا إلا إذا أمرت[(٥)].

والأمر من الله يكون أحيانًا بالمخاطبة على لسان الهاتف كما يصرح بذلك ابن عجيبة الحسني حيث يقول: وتكون أيضًا مخاطبات على ألسنة الهواتف الكونية، فيسمع العارف منها كل ما يحتاج إليه، وهذا أمر مجرب لمن ذاق الفهم عن الله وفي ذلك يقول: القشيري:

أنا بالله انطق ومن الله أسمع[(٦)]

وأحيانا يكون الأمر والنهي بنزول الملك كما يبين ذلك عبد العزيز الدباغ

---

(١) «مناقب العارفين» (فارسي) لشمس الدين أحمد الأفلاكي العارفي ج ١ ص ٤١٢ طهران ١٣٦٢هـ.

(٢) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) أيضًا.

(٤) «الوصية الكبرى» للأسمر الفيتوري ص ٥٥

(٥) انظر «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص ٤٠ ط.

(٦) «الفتوحات الإلهية» لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ص ٢٥٥ ط عالم الفكر القاهرة.

بقوله: إن الولي ينزل عليه الملك بالأمر والنهي[1]. وقد بسطنا القول في مسألة نزول الوحي وإتيان الملائكة في كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر» فليرجع إلى ذلك[2].

وعلى ذلك ادعى الصوفية أخذ العلم عن الله بلا واسطة، أي بلا وساطة الرسول ﷺ وسيأتي بيان ذلك أيضًا في الباب التالي إن شاء الله.

وإن القوم ليخالفون شرع الله، كتاب الرب وسنة النبي؛ لأنهم لا يبالون بأوامرهما ومنهياتهما، وإن بعضًا منهم ليستخف بالله وبرسوله ﷺ مثلما نقل السهلجي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: أراد موسى -عليه السلام- أن يرى الله تعالى، وأنا ما أردت أن أرى الله، فهو أراد أن يراني[3].

وحكى العطار وأبو طالب المكي وسبط ابن الجوزي عن بعض أصحاب أبي يزيد أنه قال: كان عندي شاب صغير ملازم للخلوة، فقلت له: هل رأيت أبا يزيد؟ قال: لا. فتركته أيامًا، وأعدت عليه القول، قال: لا. فلما أكثرت عليه، قال: رأيت الله، فأغناني عن أبي يزيد. قال: فكررت عليه القول، وهو لا يزيد على هذا، فغاظني، فقلت: لو رأيت أبا يزيد مرة، كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة. فقال: قم بنا إليه. فخرجنا نطلب أبا يزيد، وإذا به قد خرج من النهر وفروته مقلوبة على كتفه، فلا رآه الشاب صاح ومات، فقلت لأبي يزيد: ما هذا؟ فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات، يراك فيموت؟ فقال: نعم، كان يرى الله على قدر حاله؛ فلما نظر إلي رأى الله على قدر حالي في لم يثبت فمات. قال: ثم داريناه فغسلناه وكفناه وصلى عليه ودفنه وبكى[4].

---

(١) «الإبريز» للدباغ ص ١٥١ طبعة قديمة مصر.

(٢) انظر: «التصوف.. المنشأ والمصادر» للمؤلف ص ١٥٩ ما بعد ط إدارة ترجمان السنة لا هور باكسان.

(٣) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٨٥ من «شطحات الصوفية» للدكتور عبد الرحمن بدوي ط وكالة المطبوعات الكويت.

(٤) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٨٤ ط باكستان، أيضًا «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي ص ٢١٣، ٢١٤ من «شطحات الصوفية» للدكتور بدوي، أيضًا «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

وحكى السهلجي والعطار عنه أيضًا أنه جاءه رجل فقرأ عنده:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

قال أبو يزيد: وحياته، إن بطشي أشد من **بطشه**(١).

ونقل روزبهان بقلي شيرازي عن أبي **موسى أنه قال: سمع** أبو يزيد مؤذنًا يقول: الله أكبر، فقال: وأنا أكبر **من الله -عياذًا بالله**(٢).

ويروون في كتبهم حديثًا موضوعًا حيث يكذبون على رسول الله ﷺ أنه **قال**: (**رأيت ربي في سكك المدينة على** صورة شاب أمرد)(٣).

ونقل العراقي المتوفى ٦٨٨هـ عن الوراق أنه قال: ليس بيني وبين ربي فرق إلا أني تقدمت بالعبودية(٤).

ومن إهاناتهم لله سبحانه -عز وجل- أنهم نقلوا عن البسطامي أنه قال له الحق: اخرج إلى خلقي بصفتي. (وفي رواية بصورتي) فمن رآك رآني، ومن عظمك عظمني، فلم يسعني إلا امتثال أمر ربي، فخطوت إلى نفسي من ربي فغشي عليه، فإذا النداء: ردوا عليَّ حبيبي فلا صبر له عني(٥). ونقلوا عن بعض المشايخ أنه قال لتلميذه: هل رأيت أبا يزيد؟ فقال التلميذ: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد. فقال له العارف: لأن ترى أبا يزيد مرة كان خيرًا لك من أن ترى الله ألف مرة. فلما سمع ذلك منه رحل إليه، فقعد مع العارف على طريقه، فعبر أبو يزيد وفروته على كتفه، فقال العارف للتلميذ: هذا أبو يزيد، فنظر إليه فمات من ساعته(٦).

---

(١) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٤٣، أيضًا «تذكرة الأولياء» للعطار ٢٨٨، أيضًا «شرح شطحيات» لروزبهان بقلي شيرازي ص ١٢٩ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٢) «شرح شطحيات» لروزبهان بقلي شيرازي فارسي ص ١٠١ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٣) حضرات القدس فارسي لبدر الدين السرهندي ط وزارة الأوقاف لاهور ١٩٧١

(٤) «لمعات» (فارسي) لفخر الدين العراقي ص ١٠٢ بتصحيح محمد خوجوي ط انتشارات مولى إيران ١٣٦٣هـ.

(٥) «شرح كلمات الصوفية» جمع وتأليف محمود محمود الغراب ص ١٥٦ ط مطبعة زيد ابن ثابت القاهرة ١٤٠٢هـ.

(٦) أيضًا ص ١٥١

وتجاوز أبو الحسن الخرقاني جميع الحدود وقال: صارعت الله وصارعني، فغلب عليَّ[١]. لأني أقل من ربي سنتين[٢].

والعجب كل العجب على الصوفية الذين يسمون هذه الإهانات والهفوات شطحيات المشايخ ويتأولونها بتأويلات لا يقرها العقل ولا النقل، ويخترعون لهم أعذارًا لا تؤيدها الشريعة الإسلامية، ويقولون: لا إنكار عليهم في أقوالهم وأفعالهم؛ لأنهم محفوظون عن الخطأ والزلل[٣].

فدين الصوفية دين السخرية والاستهزاء، لا يخافون في ذلك لومة لائم، فنقلوا عن البسطامي أنه قال: غصت في الجبروت، وخضت بحار الملكوت، وحجب اللهوت، حتى وصلت إلى العرش فإذا هو خالٍ، فألقيت نفسي عليه، وقلت: سيدي، أين أطلبك؟ فكشفت، فرأيت أني أنا، فأنا أنا[٤].

وحكوا عنه أيضًا أنه قال: ضربت خيمتي بإزاء العرش[٥].

وحكوا عن الشبلي أنه سئل: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أرَ لله ذاكرًا[٦].

كما نقلوا عن الخرقاني حكاية قالوا فيها: نزل صوفي من الهواء يومًا، وقال لأبي الحسن الخرقاني: أنا جنيد الوقت، وشبلي العصر. فقام الخرقاني، وضرب بقدمه الأرض، وقال: أنا أيضًا إله الوقت ورسول العصر[٧].

وأما إهانتهم واستخفافهم بخاتم الرسل والأنبياء محمد رسول الله ﷺ فيحكى الكمشخانوي عن الشبلي أنه أَذَّنَ مرة؛ فلما انتهى إلى شهادة النبي -

---

(١) «شرح شطحيات» لروزبهان بقلي شيرازي (فارسي) ص ١٨١ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٢) لمعات لفخر الدين العراقي ص ١٠٢ بتصحيح محمد خواجوي ط انتشارات مولى إيران ١٣٦٣هـ.

(٣) انظر لذلك كتابنا التصوف.. المنشأ والمصادر ص ٢٠١ وما بعد.

(٤) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٦٤ .

(٥) «شرح شطحيات» لروزبهان ص ٨٦ .

(٦) «شرح كلمات الصوفية» لمحمود الغراب ص ٢٣٠ .

(٧) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٢٨٢ ط باكستان.

عليه السلام- قال: إلهي، لولا أنك أمرتني ما ذكرت معكم غيرك[١].

وذكروا عن أبي يزيد أنه قيل له: إن الخلق كلهم **تحت** لواء محمد ﷺ يوم القيامة. فقال أبو يزيد: تالله، إن لوائي **أعظم من لواء محمد -عليه** السلام- لوائي من نور تحته الجان والإنس **كلهم من النبيين**[٢].

ويكتب الفيتوري: قال الشيخ **أحمد بن عروس لأهل** تونس: لولا ما سبق عن رسول الله ﷺ **بالشفاعة لشفعت في الأمم** يوم القيامة، وكل إصبع من **أصابعي يشفع في سبعين ألفًا**[٣].

فهؤلاء الصوفية ومشايخهم جعلوا الله -عز وجل- ونبيه ﷺ هدف استخفافهم وموضع استهزائهم حسب ما روي عنهم في كتب القوم أنفسهم كما هم لا يؤمنون بتوحيد الله وعظمته، وجلاله وكماله، وبرسالة النبي وعلو شأنه ﷺ.

وما دام الأمر كذلك فكيف يستبعد منهم مخالفة أوامر الله ورسوله ونواهيهما، واستهزاؤهم بالشريعة والنيل من شأنها. أعاذ الله جميع المسلمين من الزيغ بعد الهدى

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٤].

وأخيرًا نذكر أن القرآن الكريم أيضًا لم يبقَ محفوظًا من أيدي المتصوفة، فلقد حاولوا أن يصرفوا الناس عن تلاوته والتذكير بآياته، فانظر إلى النفزي كيف يستخف بالقرآن الكريم ويستهين بآياته التي ذكر فيها الجنة والنار، والثواب والعقاب، والقيامة وأهوالها، فيكذب على الله سبحانه وتعالى حيث يقول:

قال الله تعالى: الليل لي لا للقرآن يتلى، الليل لي لا للمحمدة والثناء.

---

(١) «جامع الأصول في الأولياء» لأحمد «الكمشخانوي» ط المطبعة الوهبية ١٢٩٨هـ.

(٢) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٤٣، «شرح شطحيات» لروزبهان ص ١٣٢

(٣) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص ٨٥ مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

(٤) سورة آل عمران الآية ٨ .

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾

فاجعل الليل لي كما هو لي.... وما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عني

فآية تمشي بك في جنتي وما أعددت لأوليائي فيها، فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان، متكئًا على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان، تسقى من رحيق مختوم مزاجه من تسنيم

وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

وآية تستشرف بك على جهنم فتعاين ما أعددت فيها لمن عصاني وأشرك بي من سموم وحموم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، وترى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة، أين أنا يا عبدي إذا تلوت هذه الآية وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة وفي جهنم تارة.

ثم تتلو آية فتمشي بك في القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، وترى في ذلك اليوم من هذه الآية يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، وترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك وفي ذلك اليوم تعرضون، فها أنت ذا يا عبدي في النار في معاشك وفي الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة ونار وعرض، فأنت بين آخرة ودنيا وبرزخ، فما تركت لي وقتًا تخلو بي فيه إلا جعلته لنفسك، والليل لي يا عبدي لا للمحمدة والثناء[1].

---

(١) «شرح كلمات الصوفية» لمحمود الغراب ص ٢٥٦، ٢٥٧

هذا ما قاله كبير القوم، وأما ما روي عن رسول الله ﷺ فيروى ابن عمر رضي الله عنه أنه قال:

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار. ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده؛ إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت فسكت فسكتت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، ولما أخره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح؛ فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: وتدري وما ذاك؟ قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»(٢).

هذا، وقد حكي الشعراني عن أبي عبد الله عمرو بن عثمان المكي أنه رأى الحسين بن منصور يومًا وهو يكتب شيئًا فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن(٣).



(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٣) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٨٨.

الباب الثالث

التصوف مؤامرة ضد الإسلام

إن التصوف ليس عبارة عن العلو والمغالاة والتطرف في الدين فحسب، بل هو مؤامرة حيكت وأحكم نسيجها ضد الإسلام والمسلمين، شارك في تحضيرها وتسكينها وبث سمومها ونشر أنفاثها خليط من الناس وعديد من الفئات لأغراضهم وأهدافهم، وقد ذكرنا هؤلاء الناس وأولئك الفئات في كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر» عند ذكر مراجع التصوف ومصادره، منشئه ومنشئيه[١].

أما الأغراض والأهداف فنذكرها هنا في هذا الباب وما بعده من الأبواب، فكان من أهم تلك الأهداف لأولئك الناس والجماعات إبعاد المسلمين عن الإسلام الحقيقي وتعاليمه الصافية النقية المعتدلة باسم الإسلام، وترويج العقائد اليهودية والمسيحية، والمذاهب الهندية والفارسية، كالبوذية والهندوكية والزاردشتية والمانوية والأفلاطونية الحديثة، وغيرها من التيارات التي ليس لها أية صلة بالإسلام وبتعاليم الشريعة الحنيفية السمحاء الغراء لقتل روح الجهاد وفكرة إعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله، وتبليغ رسالات الله وأدائها إلى الأمم والملل كافة في أنحاء المعمورة كلها.

وأيضًا تمكين الذل والاستكانة والهوان وإفشاء الجهل والكسل والخمول بينهم، وإزاحتهم عن الحكم والسلطة والاختيار. ولم يتمكنوا من هذا كله، ولم ينجحوا في مهمتهم إلا بوضع الأسس والقواعد المختلفة عن قواعد الإسلام وأسسه وأصوله؛ لأنه من دون ذلك لم يكن يرجى فصلهم وقطعهم

---

١) من أراد التثبت والتفصيل فليرجع إلى ذلك.

عن إرشاداته وتوجيهاته كلية، بل كان يتوقع الرجوع إلى **حظيرته** بالرجوع إلى منابعه الأصلية ومصادره الحقيقية، ففرقوهم عن **الجمع**، وأبعدوهم عن الجماعات بوضع الأصول المنافية لأصول **الجماعة وأسسها، فجماعة** المسلمين كان مذهبهم ومسلكهم **مبنيًا على الإسلام المعبر** عنه بالقرآن والسنة، ومذهب القوم **ومشربهم مبني على التصوف** المعبر عنه بالكشف **والإلهام، ليس لشخص مخصوص ولا لرجل** معين، بل لكلٍّ كشفُه وإلهامُه، **والكل منهم نبي صغير، وله شرعته ومنهاجه**، وارتقى البعض إلى الإلوهية والربوبية **كما سنبين كل ذلك** بالدليل والبرهان، وبوضع النقاط على الحروف، فسوغوا شرائع جديدة ومذاهب بديعة، ومسالك طريفة، ومشارب غريبة، ثم دونت هذه الشرائع وهذه المذاهب والمسالك والمشارب، وسكبت في قوالب مختلفة، وسميت بسلاسل وطرق في عرف التصوف.

فاخترع أهل كل سلسلة قرآنًا لها بصورة مواجيد وترانيم، وقصائد وأناشيد وأوراد عجيبة، وأذكار مختلفة غريبة، وجعلوا السنة أحاديث المشايخ وقصصهم والأساطير المضحكة والحكايات المبكية، كما جعلوا صلواتهم الرقص والوجد وتحريك الرأس وتدويره آليًا، وحجهم زيارة المشاهد والقبور والطواف حولها، وأكل ترابها والتمسح بجدرانها، وجعلوا صومهم ترك الطيبات، وتحريم ما أحل الله، والتجوع المحض طيلة شهور وأعوام، واعتكافهم الأنزواء في الخانقاوات والتكايا والربط والزوايا، والدخول في سراديب الأرض وكهوف الجبال وغيرانها، والسياحة التيه في الصحاري والبراري والقفاز والمقابر.

كما عكسوا مفهوم الزكاة وقلبوه، فجعلوها التسول والاستجداء والاسترزاق والاستعطاف، وجعلوا اليد السفلى خيرًا من اليد العليا، فأعرضوا عن العلم والعلماء، ولقنوا مريديهم ومن وقع في فخهم وحبائلهم بالاجتناب والإعراض عنه وعنهم كيلا يهرب صيدهم وينجو فريستهم من مخالب هؤلاء وأشواكهم بنور العلم وبصحبة العلماء، ولا يوجد في كتب الأولين منهم والآخرين، القديمين منهم والحديثين مخالفة أكثر من مخالفة العلم وأهله،

وهذه وحدها كافية لمعرفة حقيقة التصوف والمتصوفة. فقالوا: العلم حجاب الله الأكبر[(١)].

وفسره كبير مشايخ الصوفية في الهند نظام الدين الدهلوي المتوفى ٧٢٥هـ بقوله: إن العلم دون الحق، وكل ما هو دونه فهو يحجب عنه[(٢)].

ومن تخريفات النفزي أنه قال: أوقفني الله في مقام الوقفة، **وقال لي: العلم حجابي. وقال:** العالم يخبر عن الأمر والنهي، وفيها علمه، والواقف يخبر **عن حقي وفيه معرفته. وقال:** العالم في الرق، والواقف حر[(٣)].

وكذبوا على سفيان الثوري أنه قال:

لولا أن للشيطان فيه حظًا ما ازدحمتم عليه يعني العلم[(٤)].

وأيضًا طلب هذا ليس من زاد الآخرة[(٥)].

ونقل الطوسي عن بعضهم أنه قال: إذا رأيت الفقير قد انحط من الحقيقة إلى العلم، فاعلم أنه قد فسخ عزمه، وحل عقده[(٦)].

ويحكي الشعراني حكاية عن أحد الفقهاء، يستدل منها على أفضلية المتصوفة على العلماء بالشريعة، فيقول: جاء مرة قاض من المالكية يريد امتحان الشيخ محمد الحنفي، فأعلموا الشيخ أنه جاء ممتحنًا، فقال الشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني ما عدت أقعد على سجادة الفقراء، فلما جاء

---

(١) «سيرة الأقطاب والأولياء» لمحمود بن مبارك علوي كرماني ص ٥١٦ ط لاهور.

(٢) انظر «سير الأولياء في أحوال ملفوظات مشايخ جشت» بالفارسية لمحمد بن مبارك العلي الكراماني المتوفى ٧٧٠هـ ط مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان لاهور، أيضًا «تذكرة أولياء باك وهند» أردو للدكتور ظهور الحسن شارب ص ٨٤ ط لاهور باكستان.

(٣) كتاب «المواقف» لمحمود بن عبد الجبار النفري ص ١٠-١١ ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤

(٤) انظر «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج ٢ ص ١٤٧

(٥) أيضًا.

(٦) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٣٣

القاضي يسأل، قال: ما تقول في... وتوقف. فقال له **الشيخ** ﷺ : نعم، حتى قال ذلك مرارًا عديدة، فلم يفتح عليه بشيء[١].

ويفرق كذلك بين المعرفة الصوفية وفقه **الشريعة حيث يقول: كان الشيخ** زكريا من العارفين، ولكنه تستر بالفقه[٢].

ويفضل الصقلي والدمياطي **الصوفية على علماء الشريعة** حيث يكتب:

فلركعة من عارف هي أفضل من ألفها من عالم فتقبلا

هذا دليل على أن العارف أفضل من غيره؛ لأن ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم غير عارف (أي غير صوفي).

قال الشيخ أبو القاسم الصقلي في كتاب «الأنوار»: ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم[٣].

ونقلوا عن الجنيد أنه كان يقول: المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيرًا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء[٤].

ومن الوقائع التي تترشح منها مخالفة طلب العلم، ويتدفق البغض والحقد على العلماء والطلاب ما ذكر ابن عجيبة الحسني حيث قال: وقد عقد بعض الشيوخ حلقة الذكر في بيت مظلم، فلم يجدوا قلوبهم، فقال لهم: ائتوني بالمصباح؛ فلما أتوا به وجدوا معهم طالبًا من طلبة المدرسة، فأخرجوه فحينئذ، وجدوا قلوبهم[٥].

ولذلك منعوه من الفكر والنظر في الأدلة واستعمال العقل، كما ذكر كل ذلك الشيخ الأكبر للصوفية في رسالته: إن المريد لا ينبغي له الكلام إلا بما

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج٢ ص ٩٤ .

(٢) أيضًا ج ٢ ص ١٢٨

(٣) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطي ص ١٠٦ط أيضًا كتاب «الأنوار» لأبي القاسم الصقلي نقلًا عن الكفاية ص ١٠٦

(٤) «طبقات الشعراني» ج١ ص ٨٤ طبعة قديمة ١٣٠٥هـ.

(٥) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١١٩ ط عالم الفكر القاهرة.

شاهده وعاينه، والصمت عليه وجب، والفكر عليه حرام، والنظر عليه في الأدلة محظور... والأولى بالشيخ إذا رأى المريد يجنح إلى استعمال عقله في النظريات ولا يرجع إلى رأيه فيما يدله عليه **فليطرده إلى منزله**[(١)].

ومثل ذلك بل أصرح وأوضح ما ذكره عبد الغني الرافعي **حيث قال: إذا طلب المريد من** شيخه دليلًا شرعيًا أو عقليًا على ما ذكره من **المعارف الإلهية والإشارات الربانية فليزجره** ويهجره، وإن لم يفعل فقد خانه في التربية... وذلك **لأن الواجب في هذا الطريق** التصديق للمرشد والتسليم لغيره، ويحرم على المريد الفكر **والنظر في الأدلة، ويجب عليه** الصمت وعدم التكلم.

وإذا أصر المريد **على الفكر والنظر في الأدلة، فليطرده**؛ لئلا **يفسد عليه** بقية أصحابه، **كما يجب عليه طرده إذا علم أن حرمته سقطت من قلبه**[(٢)].

وسبب ذلك أن طريق القوم أمر خاص زائد على علوم الظاهر[(٣)].

والعلم الظاهر المقصود منه علم القرآن والسنة، فإن المتصوفة يريدون أن يترك المسلمون تعلم كتاب الله ودراسة سنة رسول الله ﷺ ويتبعون خرافاتهم وخزعبلاتهم وأوهامهم التي يسمونها إلهامًا، وتخيلاتهم التي يسمونها كشفًا كما ذكر ذلك ابن عجيبة الحسني: كان طريق التصوف مؤسسة على الكتاب والسنة، وإلهامات العارفين الذين تنورت عقولهم، وانصقلت مرآة قلوبهم فيها فتجلى فيها ما كان حقًّا، وزهق منها ما كان باطلًا، فكانت طريقتهم مبنية على التحقيق[(٤)].

فأضاف القوم إلى الكتاب والسنة أوهامهم وخرافاتهم أيضًا باسم الإلهامات، وهي الأصل والمحك عندهم، وعلى هذا الأساس خالفوا نصوص

---

(١) «الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط» لابن عربي، المنشور مع «ذخائر الأعلاق» له أيضًا ص ٢٦٩-٢٧٠ ط مطبعة السعادة القاهرة.

(٢) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ١٢٩

(٣) «الأنوار القدسية» للشعراني نقلًا عن على بن وفا، ج ١ ص ١٩٤ ط بغداد العراق.

(٤) «الفتوحات الإلهية» في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ص ٣٤٤ ط عالم الفكر القاهرة ١٩٨٣م.

الكتاب والسنة ولم يسمحوا مجال الاعتراض لمريديهم التجاء **إلى هذه القاعدة** الصوفية كما سنبيِّن ذلك في هذا الباب إن شاء الله.

هذا، ولم يكتم بعض منهم؛ حيث صرحوا **بمخالفة طلب ذلك العلم** الشريف؛ علم سنة رسول الله ﷺ والتفقه **في الدين، حتى إنهم نقلوا** عن أبي سليمان الداراني أنه قال: من طلب **الحديث فقد ركن إلى** الدنيا(١).

وروي عن رابعة البصرية أنها كانت تجعل إيثار كتب الحديث والإقبال **على الناس من أبواب الدنيا(٢).**

ورووا عن بشر بن الحارث الحافي أن سبب تركه طلب الحديث أنه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة أنه كان يقول: الإكثار من طلب الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟! فلما سمعه منه قال: انتهينا انتهينا.

ثم ترك الرحلة في طلب الحديث، وأقبل على العبادة(٣).

ونقلوا عن الجنيد أنه كان يقول: أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه أجمع لهمه وأحب للمريد المبتدي أن لا يَشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج(٤).

ومثل ذلك نقلوا عن أبي بكر نصر بن أحمد الدقاق، وكان من أقران الجنيد أنه قال: آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج، وكتابة الحديث، ومعاشرة الضد(٥).

وروى الصوفية عن سفيان الثوري أنه كان يقول: ليس طلب الحديث من عدة الموت، لكنه علة يتشاغل بها الرجل(٦).

---

(١) انظر «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ١٥٢

(٢) انظر أيضًا «قوت القلوب» لأبي طالب ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) «غيث المواهب العلية» في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي ج٢ ص ١٤٥

(٤) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ١ ص ٢٦٧ ط دار صادر بيروت.

(٥) «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ٨٨ .

(٦) «غيث المواهب العلية» ج ٢ص ١٤٧

كما رووا عن بشر بن الحارث أنه سأله رجل أن يحدثه فأبى عليه، فجعل يرغبه ويكلمه وهو يأبى عليه، قال: فلما أيس منه قال له: يا أبا نصر ما تقول لله غدًا إذا لقيته وسألك لِمَ لا تحدث؟ قال: فقال له بشر، أقول: يا رب كانت نفسي تشتهي أن تحدث، فامتنعت من أن أحدث ولم أعطها شهوتها[1].

وزاد الخطيب: قال بشر: إني وإن أذنت للرجل وهو يحدث. فإنه عندي قبل أن يحدث أفضل كثيرًا من كائن من الناس، وإنما الحديث اليوم طرق من طب الدنيا، ولذة، وما أدري كيف يسلم صاحبه؟! وكيف يسلم من يحفظه؟! لأي شيء يحفظه؟! قال بشر: وإني لأدعو الله أن يذهب به من قلبي، ويذهب بحفظه من قلبي، وإن لي كتبًا كثيرة قد ذهبت، وأراها توطأ ويرمى بها فما آخذها، وإني لأهم بدفنها وأنا حي صحيح وما أكره، ترك ذاك خير عندي. وما هو من سلاح الآخرة، ولا من غدد الموت[2].

ويروي العطار في تذكرته أن بشرًا الحافي درس الحديث، ثم دفن جميع كتبه في الأرض، ولم يحدث قط[3].

ويذكر الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي: أنه انقطعت عنه رؤية رسول الله ﷺ لاشتغاله بفقه الكتاب والسنة، فيقول: كان سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول: انقطعت عني رؤية رسول الله ﷺ مدة، فحصل لي غم بذلك، فتوجهت بقلبي إلى شيخي يشفع فيَّ عند رسول الله ﷺ فحضر عنده رسول الله ﷺ فقال: هأنذا - انظر التعبير- فنظرت فلم أره. فقلت: ما رأيته. فقال عليه الصلاة والسلام: سبحان الله! غلبت عليه الظلمة، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة في الفقه فتركت الاشتغال بالفقه فرأيته[4].

وبلغت بهم الجرأة والكراهة للحديث وأهله إلى أن قالوا: إن رجلًا

---

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للأصبهاني ج ٨ ص ٣٥٥ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ج ٧ ص ٧١ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٣) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين عطار ص ٦٦ ط باكستان.

(٤) «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ٧٥ .

استشار معروفًا الكرخي في صحبه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل **فقال له** جوابه: لا تصحبه، فإن أحمد صاحب حديث، وفي **الحديث** اشتغال بالناس، فإن صحبته ذهب ما تجد في قلبك من حلاوة **الذكر وحب الخلوة**[(١)].

وابن عجيبة الحسني يحذر من **مجالسه العلماء والاستماع** إليهم بقوله: الجلوس معهم اليوم أقبح من **سبعين عليًا غافلًا وفقيرًا** جاهلًا؛ لأنهم لا يعرفون **إلا ظاهر الشريعة، ويرون أن من خالفهم** في هذا الظاهر مخطئ أو ضال، **فيجهدون في رد من خالفهم، يعتقدون** أنهم ينصحون وهم يغشون. فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم ما استطاع. فإن توقف في مسألة ولم يجد من يسأل عنها من أهل الباطن فليسأله على حذر، ويكون معه كالجالس مع العقرب والحية. والله ما رأيت أحدًا قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبدًا في طريق الخصوص[(٢)].

وهذا مع ادعائهم: علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة[(٣)].

والجدير بالذكر أن المتصوفة كما يخالفون العلم والعلماء وطلب الحديث، يخالفون كذلك إسناد الحديث الذي ليس هو إلا من قوائمه، فلا يقوم إلا به، رغبة في ترويج أباطيلهم وأضاليلهم، وزيغهم وضلالهم كذبًا على نبي الله، وزورًا على رسوله - صلوات الله وسلامه عليه- كيلا يعرف الحق من الباطل، والصدق من الكذب، ويميز الصحيح من السقيم، وعلى ذلك نرى أن كتب أكثرهم مليئة بالأحاديث الموضوعة والروايات المختلقة المزورة المكذوبة على رسول الله ﷺ حتى كُتُب الغزالي فيلسوف الإسلام وفقيه

---

(١) انظر «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ص ٢٣٦ .

(٢) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٩٧ ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٣) انظر «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ١١٨، «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ١٢٧، «حياة القلوب» للأموي ص ٢٩٢، «اليواقيت والجواهر» للشعراني ج٢ ص٩٣، «تنبيه المغتربين» للشعراني ص ٦، «جمهرة الأولياء» للمنوفي ج ٢ ص ١٤٩، «شرح كلمات الصوفية» لمحمد الغراب ص ٢٠٧

المسلمين، ولما سئلوا عنها وعن موردها ورواتها قالوا: روينا عن رسول الله ﷺ في المنام أو اليقظة، مدّعين تصحيحها عن النبي ﷺ أو عن الله رأسًا دون النظر إلى إسنادها، ورواتها مثل ما ذكر الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فسألته عن الحديث المشهور، «واذكروا حتى يقولوا مجنون»، وفي «صحيح ابن حبان»: «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون». فقال رسول الله ﷺ: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي اذكروا الله فإني قلتهما معًا، مرة قلت هذا، ومرة قلت هذا[١].

ويقول نجم الدين الكبرى المقتول ٦١٨هـ: غيث فأبصرت النبي -عليه السلام- ومعه علي، فبادرت إلى علي فأخذت بيده وصافحته، وألهمت كأني سمعت في الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: من صافح عليًا دخل الجنة، فجعلت أسأل عليًا عن هذا الحديث أصحيح هو؟ فكان يقول: نعم، صدق رسول الله ﷺ صدق رسول الله ﷺ من صافحني دخل الجنة[٢].

وفي هذا المعنى ذكر الصوفي المشهور أبو طالب المكي قصة مكذوبة على الإمام أحمد بن حنبل، أن داود المحبر لما صنف كتاب «العمل» جاء أحمد بن حنبل فطلبه منه، فنظر فيه أحمد صفحًا، ثم رده إليه. فقال: ما لك؟ قال: فيه أسانيد ضعفاء. فقال له داود: أنا لم أخرجه على أسانيد، فانظر فيه بعين الخبر[٣].

وما أكثر ما يقوله المتصوفة ردًّا على أهل الحديث لتمسكهم بالإسناد تصحيحًا لرواية وتضعيفًا لها: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت[٤].

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ٣ ص ٧٦ .

(٢) «فواتح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين الكبرى ص ١٢ بتصحيح الدكتور رفريتز ماثر، ط ألمانيا ١٩٥٧م.

(٣) «قوت القلوب في معاملة المحبوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ١٥٢

(٤) ذخائر الأعلاق لابن عربي ص ١٥٣، «الجواهر والدرر» للشعراني ص ٢٨٦ «هامش الرسالة القشيرية» ج١ ص ٨٨ وغيرها من الكتب الكثيرة.

كما نقلوا ذلك عن أبي يزيد البسطامي، وسيأتي بيان ذلك مفصلًا - إن شاء الله- في هذا الباب.

ويعلق على قول البسطامي هذا أحد المتصوفة المعاصرين: أقام الله أولياءه مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار، وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة، كما يدعو رسول الله ﷺ على بصيرة لا على غلبة ظن، كما يحكم عالم الرسوم، فشتان بين من هو فيما يفتي به ويقوله على بصيرة منه في دعائه إلى الله وهو على بينة من ربه، وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه، ثم إن من شأن عالم الرسوم عن الذب عن نفسه أنه يجهل من يقول فهمني ربي، ويرى أنه أفضل منه وأنه صاحب العلم، إذ يقول من هو أهل الله: إن الله ألقى في سري مراده بهذا الحكم في هذه الآية. أو يقول: رأيت رسول الله ﷺ في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده، فمن ورث محمدًا في جمعيته كان له من الله تعريف بالحكم وهو مقام أعلى من الاجتهاد، وهو أن يعطيه الله بالتعريف الإلهي أن حكم الله الذي جاء به رسول الله ﷺ في هذه المسألة هو كذا، فيكون في ذلك الحكم بمنزلة من سمعه من رسول الله ﷺ وإذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ رجع إلى الله فيه فيعرف صحة الحديث من سِقَمه سواء كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تُكُلِّم فيه، فإذا عرف فقد أخذ حكمه من الأصل، لذلك قال أبو يزيد البسطامي في هذا المقام، وصحته تخاطب علماء زمانه علماء الرسوم: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي. وأنتم تقولون: حدثنا فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات، فلا حجاب بين الله وبين عبده أعظم من نظره إلى نفسه وأخذه العلم عن فكره ونظره، وإن وافق العلم فالأخذ عن الله أشرف[1].

ويقول الشعراني: أخبرني الشيخ محمد الشناوي أن ثم جماعة ببلاد اليمن

---

(١) «شرح كلمات الصوفية» لمحمود الغراب ص ١٥٤ ط مطبعة زيد بن ثابت ١٤٠٢هـ.

لهم سند بتلقين الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فيلقنون المريد بذلك، ويشغلونه بالصلاة على رسول الله ﷺ فلا يزال يكثر منها حتى يصير يجتمع بالنبي ﷺ يقظة ومشافهة، ويسأله عن وقائعه كما يسأل المريد شيخه عن الصوفية، وأن مريدهم يترقى بذلك في أيام قلائل، ويستغني عن جميع الأشياخ بتربيته ﷺ[1]. وذكر أيضًا عن سليمان الحضيري الصوفي أنه قال: بينما أنا جالس في الخضيرية على باب الإمام الشافعي رضي الله عنه إذ رأيت جماعة عليهم ثياب بيات، وعلى رءوسهم غمامة من نور، يقصدونني من ناحية الجبل؛ فلما قربوا مني فإذا هو بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقبلت يده، فقال النبي ﷺ: امض معنا إلى الروضة، فذهبت مع النبي ﷺ إلى بيت الشيخ جلال الدين (السيوطي) فخرج إلى النبي ﷺ وقبّل يدَه وسلم على أصحابه، ثم أدخله الدار، وأجلسه وجلس بين يديه، فصار الشيخ جلال الدين (السيوطي) يسأل النبي ﷺ عن بعض الأحاديث، وهو ﷺ يقول: هات يا شيخ السنة[2]. ومثله في «كتاب قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر»[3].

ونقل النبهاني مثل ذلك عن أبي محمد بن الخطيب[4].

وأما فريد الدين العطار فينقل عن أبي الحسن الخرقاني أنه قال: وهبني الله جميع العلوم والمعارف مع كوني أميًا، وقرأت الحديث على رسول الله ﷺ لم يصدقه مريده، فرأى في المنام رسول الله ﷺ وسمعه يقول: صدق الرجل، صدق الرجل. ثم يقول المريد: بدأت أتردد إليه وأقرأ الحديث، فأحيانًا كان يقول: هذا الحديث ليس بصحيح، ولما سألته كيف

---

(١) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ٣٢ ط بغداد العراق.

(٢) «الطبقات الصغرى» لعبد الوهاب الشعراني ص ٢٨- ٢٩ الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٠م.

(٣) «قلادة الجواهر» لأبي الهدى الرفاعي ص ٤٢٢ .

(٤) انظر «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص ٢١٥

عرفت ذلك؟ قال: لما تقرأ الحديث اشتغل بمشاهدة رسول الله ﷺ **فكلما قرأت الحديث الصحيح** تبسم النبي ﷺ وتنورت جبهته، **وإذا مررت بحديث** موضوع ظهرت كآبة على وجهه - عليه الصلاة **والسلام- فبذلك أُمَيِّز الصحيح** من الضعيف[١].

ويصرح الدباغ قائلًا: **قد ينزل الملك على الولي، ويخبره** بصحة حديث **ضعفه العلماء**[٢]. **فمن الغريب أن الصوفية إذا** لم يجدوا السند في مسألة **يدعون أنهم أخذوا عن الملك، أو** عن الخضر كما يقول الشعراني في مسألة اتصال السند **بلبس الخرقة**: فلا تستغرب يا أخي توقُّفَ بعض المحدثين في اتصال السند بلبس الخرقة، فإنه معذور في ذلك، لعسر استخراج ذلك من كتب المحدثين على غالب الصوفية، فرحم الله الحافظ بن حجر والجلال السيوطي في تبيينهما اتصال السند بذلك.

وإن الشيخ محيي الدين بن عربي لم يطلع على اتصال سندها من طريق النقل الظاهر؛ فأخذها من طريق الخضر -عليه السلام- لما اجتمع به حتى اعتمد عليه في السند[٣].

وعبد الله الأنصاري الهروي أيضًا أنكر ضرورة الإسناد للعلم الصوفي حيث كتب: العلم اللدني إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب[٤]. فالمعنى أن العلم اللدني لا يحتاج إلى إسناد، فوجوده إسناده.

فهكذا أرادوا نشر الجهل ومحو العلم بهدم القواعد وتحطيمها، التي لم تؤسس ولم تخطط إلا للمراعاة والمحافظة على العلوم والفنون؛ كيلا تلعب بها يد المحتالين المنتحلين والعابثين المبطلين. وما الله بغافل عما يعملون.

---

(١) «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٢٧٧

(٢) «الإبريز» للدباغ ص ١٥١ طبعة قديمة مصر.

(٣) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ٣٠ .

(٤) «منازل السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاري الهروي ص ١٣٢ نشر أفغانستان ١٣٥٠

وهذا مع أهمية الإسناد واهتمام المسلمين به لكونه عمدة ومعيارًا للقوي والضعيف والصحيح والسقيم، **وعلى ذلك بوَّب الإمام** مسلم بن حجاج القشيري بابًا في «صحيحه» لبيان أن **الإسناد من الدين، ونقل فيه عن محمد بن سيرين** أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن **تأخذون دينكم**[1].

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: الإسناد من الدين، **ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**[2].

وروي **عنه أيضًا أنه قال: بيننا** وبين القوم القوائم يعني الإسناد[3].

فهذه هي منزلة **الإسناد عند أهل السنة** وأئمتهم، ولماذا لا يكون؟

لأن الإسناد **يعرِّف أسماء الرواة، وبأسمائهم تفتش عن أحوالهم**، وبأحوالهم **تحكم على مروياتهم، وإذا لم يكن ذلك لم يتأت الخبر**، ولم يحصل اليقين، ولكن المتصوفة جعلوا الحديث لعبة يلعبون بها لإثبات مزاعمهم ونظرياتهم، فحديث الناس جعلوه حديثًا للنبي المعصوم -عليه الصلاة والسلام- معتمدين على كشفهم وإلهامهم، فجعلوا الموضوع ثابتًا، والضعيف قويًا، والسقيم صحيحًا دون النظر إلى رواته ومصدره، قائلين بأنهم سمعوه عن النبي ﷺ رأسًا، أو علموا تصحيحه عن رسول الله ﷺ مشافهة، أو بواسطة الملك، أو بتعليم الخضر، وهذه إحدى وجوه مخالفة العلم وطرقها.

وقبل أن نتقدم إلى فكرة أخرى نريد أن نذكِّر الباحث والقارئ أن مخالفة العلم منافية لتعاليم القرآن والسنة؛ لأن العلم نور وضياء تستنير به الأمم طريقهم إلى الهدى، ويستضيئون به في ظلمات الطريق، ويصلون به إلى المقصود والمرام، ولا يخالف النور والضياء إلا الذين يحبون الجهل والظلام، لا يتمنون إلا الظلام الدامس؛ لأن النور يذهب بأبصارهم، ويقضي على

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أيضًا.

(٣) أيضًا.

رغباتهم وشهواتهم، وما أحسن ما قاله ابن الجوزي **ردًا على الصوفية في تركهم** التشاغل بالعلم: اعلم أن أول تلبيس على **الناس صدُّهم عن العلم**؛ لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم، خبطهم **في الظلم كيف شاء. وروي عن** ضرار بن عمرو قال: إن قوامًا تركوا **العلم ومجالسة أهل العلم**، وأخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى **يبس جلد أحدهم على عظمه**، وخالفوا السنة **فهلكوا، فوالله الذي لا إله غيره ما عمل عامل** على جهل إلا كان ما يُفسد **أكثر مما يصلح. كما روي عن أبي** الحسن بن سالم أنه قال: جاء رجل إلى سهل بن عبد الله (التُّسْتَرِيّ) وبيده محبرة وكتاب. فقال لسهل: جئت أن أكتب شيئًا ينفعني الله به. فقال: اكتب، إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل. قال: يا أبا محمد أفدني فائدة. فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علمًا، والعلم كله حجة إلا ما كان عملًا، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السنة على التقوى. وعن سهل بن عبد الله أنه قال: احفظوا السواد على البياض، فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق. وعن سهل بن عبد الله أنه قال: ما من طريق إلى الله أفضل من العلم، فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحًا... وروي عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل أنه كان يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: هذه سرج الإسلام، وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنة؛ فقال له رجل: إلى متى يا أبا عبد الله؟ فقال: المحبرة إلى المقبرة[1].

هذا، وقد ذكر الرب - تبارك وتعالى- العلم في موضع المدح والثناء، وحلَّى به أنبياءه وأصفياءه، وجعله مفخرة يعتز ويفتخر به، كما جعل الجهل وعدم العلم عيبًا يعاب وينتقص عليه ويزدري به، فقال جل من قائل:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[2].

---

(١) انظر «تلبيس إبليس» للإمام ابن الجوزي البغدادي المتوفى ٥٩٧هـ ص ٣١٠ وما بعد تحت عنوان «تلبيس إبليس» على الصوفية في ترك تشاغلهم بالعلم، ط دار القلم بيروت ١٤٠٣هـ.

(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

ومدح أهل العلم بقوله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[١].

كما أدرجهم ضمن من يشهد بألوهيته ووحدانيته؛ **حيث قال**:

﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ**﴾[٢].

لأنهم هم المؤمنون حقيقيًا، ويؤمنون بكل ما ينزل من عنده:

﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ** ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٣].

ومدح **طالوت، وبين سبب** اختياره، واصطفائه من بين الناس؛ لأنه صاحب علم، **فقال**:

﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ**﴾[٤].

هذا، وقد زين نبيه يوسف بالعلم؛ **حيث قال**:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٥].

وأباه من قبل أيضًا:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

وكذلك الخضر:

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٧].

ولوطًا كذلك:

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٨].

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨

(٣) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٧

(٥) سورة يوسف الآية ٢٢

(٦) سورة يوسف الآية ٦٨

(٧) سورة الكهف الآية ٦٥

(٨) سورة الأنبياء الآية ٧٩ .

وكذلك موسى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(١).

وداود وسليمان:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾(٢).

وذكر مَنَّهُ وإحسانه على أفضل **البشر وسيد الخلق بقوله**:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾(٣).

وأمره بطلب المزيد منه بقوله:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤).

وأما الجهل، فوصف به قوم موسى الذين:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٥).

وقوم لوط أيضًا:

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٦).

وقوم هود الذين قال لهم نبيهم:

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾(٧).

ومشركي الجزيرة الذين حاجوا خاتم النبيين ورسول الله إلى العالمين ﷺ في دعوته، وعارضوه فأمر أن يخاطبهم:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾(٨).

---

(١) سورة القصص الآية ١٤

(٢) سورة النمل الآية ١٥

(٣) سورة النساء الآية ١١٣

(٤) سورة طه الآية ١١٤

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٨

(٦) سورة النمل الآية ٥٥

(٧) سورة الأحقاف الآية ٢٣

(٨) سورة الزمر الآية ٦٤

وأمر المؤمنين عامة أن يعرضوا عن الجهل بقوله:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[1]

والآيات في هذه المعاني لا تعد ولا تحصى.

ومثل ذلك وردت أحاديث كثيرة ثابتة عن رسول الله ﷺ في مدح العلم والتحريض على اكتسابه، والثناء على العلماء، وذم الجهل وأهله، فقال عليه الصلاة والسلام:

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة»[2].

وقال ﷺ:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[3].

وقال:

«من دل على خير، فله مثل أجر فاعله»[4].

والحديث المشهور:

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًى لطالب العلم. وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[5].

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٣

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي.

وعن أبي أمامة الباهلي قال:

«**ذكر لرسول الله ﷺ رجلان**: أحدهما عابد والآخر عالم، **فقال رسول الله** ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. **ثم قال رسول الله ﷺ: إن** الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى **النملة في جحرها**، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس **الخير**»[١].

وقال ﷺ:

«**إن رجالًا يأتونكم من أقطار الأرض** يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا»[٢].

وقال:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣].

وقال:

«من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع»[٤].

وقال ﷺ:

«نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلا من هو أفقه منه»[٥].

و«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٦].

وأيضًا:

«سئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بني إسرائيل: أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي.

(٤) رواه الترمذي والدارمي.

(٥) رواه الشافعي والبيهقي في «المدخل».

(٦) رواه البيهقي.

الليل، أيهما أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: **فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل، كفضلي على أدناكم»**[1].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا.

ولكن القوم أحبوا الجهل وكرهوا العلم، واشتروا **الضلالة بالهدى والغي بالبصيرة، وتفننوا في** مخالفة العلم وذويه، وتقريب الجهل وترويجه، فاحتالوا **واخترعوا طريقًا آخر، وجاءوا** وسموه كشفًا وإلهامًا، وبذلك أرادوا القضاء عليه وإطفاء نور **الهداية والرشد بمنع** الناس عن القرآن، وصدهم عن السنة زاعمين أن السنة **منقولة من ميت عن ميت، وكشفهم وإلهامهم عن الحي الذي لا يموت، فلا حجة لها عليهم، ولهم ولكلامهم حجة عليها وعلى الخلق،** وهذا ضرب من ضروب الجهل، وإغراق وانغماس فيه، ولا نشك في أنه مؤامرة خطيرة ضد شريعة الله التي جاء بها محمد بن عبد الله خاتم أنبياء الله وسيد رسله ﷺ وليس هناك مؤامرة أكبر وأخطر من هذه؛ لأنها تتضمن نسخ شريعة الله الأخيرة ونبوة محمد ﷺ؛ لأنها ما دام أوامر الرب تنزل، وأحكامه تتنزل، وإرشاداته تلهم، وتعليماته تعرف بالكشف؛ فلا معنى لانقطاع النبوة وختم الرسالة وكمال الدين وتمام النعمة:

ولو كان القرآن كافيًا لهداية الأمة وإرشاد الناس، لما احتيج إلى إنزال الأمور بعد.

ولو كانت السنة النبوية شافية، لما اضطر إلى تنزيل السنن الجديدة وتقنينها، وإن كانت تلك السنن سنن رسول الله لم يبينها هو -عليه السلام- لتلاميذه الراشدين وأصحابه الطيبين، فكيف أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ولماذا شهد الله عنه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[2]؟

أو أن رسول الله ﷺ لم يبين القرآن؛ فاحتيج إلى أن يبينه الله بعد وفاته

---

(١) رواه الدارمي، وصححه الألباني.

(٢) سورة التكوير الآية ٢٤

بوساطة صوفي أو متصوفة، فما معنى قوله إذن:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

وقوله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ **رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ** ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ **وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى** ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]؟

فدعوى الكشف والإلهام **ليس إلا تعطيلًا** للعلم والقواعد الشرعية بدون **أصول ثابتة وأسس مطردة، وكذلك نشر** الفوضوية والهمجية؛ حيث لا يلزم أحد بشيء، **ولا يطلب منه** شيء لإمكان وجود الكشف والإلهام خلافه، زيادة على ذلك إمكان الإلهامات المختلفة، والمكاشفات المتناقضة المتضاربة، في وقت واحد باختلاف الأشخاص وتعدد الملهمين وأهل الكشف؛ لأنه لا مدخل للعقل، ولا مقام للفكر فيها كما قال الشيخ الأكبر للمتصوفة محيي الدين بن عربي في «فتوحاته»: اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر، وإنما هي من الفيض الإلهي[٢].

ويقول: إن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس هو عن رويَّة وفكر، وإنما هو عن نفث في رُوعي على يد ملك الإلهام[٣].

وجميع ما كتبته وأكتبه في هذا لكتاب إنما هو إملاء إلهي، ولقاء رباني، أو نفث رُوحاني في روح كِياني، كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم، لا بحكم الاستقلال. وإن ترتيب أبواب «الفتوحات» لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري، وإنما الحق أملى علينا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلامًا بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده، وذلك شبيه بقوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤

(٢) «الفتوحات المكية» لابن عربي، الباب السابع والأربعون نقلًا عن كتاب «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» للشعراني ج ١ ص ٥ بهامش «اليواقيت والجواهر».

(٣) «الفتوحات المكية» لابن عربي، الباب السادس والستون وثلاثمائة.

بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرهـ.

وإن العارفين إنما كانوا لا يتقيدون بالكلام على ما بوبوا عليه فقط؛ لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز منها، فمهما برز لها أمر بادرت لامتثاله، وألفته على حسب ما حد لها، فقد تلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه امتثالًا لأمر ربها[1].

وعلى ذلك يقول في بداية فصوصه: إني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به. فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا. فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة (٢-١) ولا نقصان، وسألت الله تعالى أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطوي عليه جناني بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي في الرُّوع النفسي بالتأييد الاعتصامي؛ حتى أكون مترجمًا لا متحكمًا، ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي؛ فما ألقى إلا ما يلقى إليَّ، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ينزل به علي. ولست بنبي ولا رسول، ولكني وارث، ولآخرتي حارث.

فمن الله فاسمعوا ... وإلى الله فارجعوا
فإذا ما سمعتم ما ... أتيت به فعوا[2]

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي من أبواب شتى نقلًا عن «اليواقيت والجواهر» للشعراني ص ٨

(٢) «فصوص الحكم» لأن عربي ص ٤٧-٤٨ مقدمة الكتاب، ط دار الكتاب العربي بيروت بتعليق أبي العلا عفيفي.

وبعدئذٍ لا يبقى لأحد أن يعترض على صوفي، أو ينتقد **فعلًا من أفعاله،** أو **يطعن في** أمر من أوامره، أو يتكلم في تعليم من **تعاليمه، مهما كان مخالفًا** للعقل والنقل؛ لأن النقل مأخوذ ميتًا عن ميت **كما روى السهلجي عن أستاذه** أنه قال: حضرت مجلس أبي يزيد البسطامي **والناس يقولون: فلان لقي فلانًا**. قال أبو يزيد: مساكين أخذوا **ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا** من الحي الذي لا **يموت**.

قال أيضًا: الناس يقولون له، وأنا أقول منه[1].

وأيضًا قال ردًّا على رجل فقيه: علمك يا شيخ نقل عن لسان التعليم، لا للعمل، وعلمي من الله إلهامات من عنده[2].

ونقلوا عن أصحاب الجنيد أنه قال: مدارج العلوم تكون بالوسائط. وأما مدارج الحقائق، فلا تكون إلا بالمكاشفة[3].

ويقول ابن عربي: علماء الرسوم يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة؛ فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم[4].

ونقل النفزي الرندي عن المتصوفة أنه دخل عليه إنسان وهو يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: مات أستاذي. فقال له ذلك العارف: ولم جعلت أستاذك من يموت؟[5].

---

(١) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٠٠ المنشور في «شطحات الصوفية» للبدوي. أيضًا «الفتوحات المكية» لابن عربي ج ١ ص ١٣٩ مقدمة الكتاب. أيضًا ذخائر الأعلاق لابن عربي ص ١٥٣ ط مطبعة السعادة القاهرة. أيضًا الجواهر والدرر للشعراني ص ٢٨٦ بهامش «الإبريز» للدباغ، أيضًا «الطبقات الكبرى» له ص ٥ . أيضًا هامش «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٨٨ . أيضًا «شرح كلمات الصوفية» لمحمود الغراب ص ١٥٣

(٢) «النور من كلمات أبي طيفور» للسهلجي ص ١٠٠

(٣) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١١٧

(٤) مصرع التصوف هامش للوكيل نقلًا عن المناوي.

(٥) «غيث المواهب العلية» للنفزي ج ١ ص ٢٣٧ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

ونقل الشعراني عن مشيخه أنه صرح بكل وضوح وجلاء: لا يكمل الرجل عندنا في مقام العلم حتى يكون عمله عن ربه -عز وجل- بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفادًا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات، وذلك معلول عند أهل الله عز وجل. **ومن قطع عمره في معرفة المحدثات** وتفاصيلها، فاته حظه من ربه -عز وجل- **لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفنى** الرجل عمره فيها ولا يبلغ حقيقتها، ولو أنك يا أخي **سلكت على يد شيخ من أهل** الله -عز وجل- لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى، **فتأخذ عنه العلم بالأمور من** طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولانصب ولا سهر **كما أخذه الخضر عليه السلام**.

فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود **لا** عن نظر وفكر، وظن وتخمين[(١)].

فهذا النص يرشح كل ما في إناء الديانة الصوفية من مخالفة طلب العلم والسعي لاكتسابه، والرحلة في سبيله، فلا يخرج أحد لطلب علوم القرآن والحديث، وليجلس في دير من دور القوم أو خلوة من الخلوات ويشتغل فيها بالعبادة والتحنث فيفتح الله عليه جميع العلوم بالتجلي على قلبه عياذًا بالله كما ذكر الشعراني مبينًا نزول صورة العلوم والإلهام عليه ردًّا على سؤال سأله: «ما صورة تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء؟» فأجاب: صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما، تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة الأمر، فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ فهناك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة[(٢)].

هذا بالنسبة للعقل، وأما النقل، فلقد صرح ابن عربي أنه لا علاقة له بعلمهم الذوقي والكشفي والإلهامي كما قال: وتختلف الطريق في تحصيل

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ص ٥ .

(٢) «اليواقيت والجواهر» للشعراني ج ٢ ص ٨٤ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ.

العلوم بين الفكر والوهب وهو الفيض الإلهي، وعليه **طريقة أصحابنا، ليس لهم في الفكر** دخول لما يتطرق إليه من الفساد، **والصحة فيه مظنونة، فلا** يوثق بما يعطيه... ولهذا يقال في علوم النبوة **والولاية: إنها وراء طور** العقل، ليس للعقل فيها دخول بفكر، **لكن له القبول، خاصة** عند السليم العقل الذي لم تغلب عليه **شبهة خيالية فكرية، يكون من ذلك** فساد نظره[(١)].

وأيضًا: **إن علوم الأنبياء والأولياء أذواق لا** عن فكر ونظر[(٢)].

وقال محمد الاستنبولي: لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم أن يتكلم في حقهم **بشرٍّ؛ لأن دائرة** الولاية تبدأ من وراء طور العقل؛ لبنائها على الكشف[(٣)].

ويعرف الخواجة عبد الله الأنصاري الهروي الكشف بقوله: هو بلوغ ما وراء الحجاب وجودًا[(٤)].

فإذن لا إنكار على ما يقوله مشايخهم ويتفوهون به مخالفًا للعقل والنقل، ولا رد على ما يعملون ويأتون به منافيًا للدليل الشرعي والبرهان النظري.

وأقطع النصوص في ذلك هو ما صرح به عبد الغني الرافعي حيث قال: ومن آداب الطريق أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه، فلا يزن أحواله بميزانه، فقد يصدر من الشيخ ما صورته مذمومة وهو محمود في الباطن، ومنهم من يجسد روحانيته على صورته ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون، فيقولون: رأينا فلانًا يفعل كذا. وهو بمعزل من ذلك الفعل... وكأنما إنما يفعلون ذلك ليصرفوا الناس عنهم[(٥)].

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي، الجزء الرابع والعشرون، الباب السابع والأربعون، السفر ص ١٦٢ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

(٢) «ختم الأولياء» للحكيم الترمذي ص ٢٣٩ هامش ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٣) «الطبقات الصغرى» للشعراني ص ٣٨ ط.

(٤) «منازل السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاري الهروي ص ١٩٢

(٥) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٣٤ ط.

فالمعنى أن الصوفية لا إنكار عليهم، ولو رأيتهم حد يزنون، ويشربون الخمر، ويعملون الخبائث، ويرتكبون محرمات؛ لأنه من الممكن أن تتجسد روحانيته في صورة مثل صورته وترتكب حرامًا، وهو بمعزل من ذلك.

فوا أسفي على مؤامرة الصوفية ضد الإسلام والشريعة **الإسلامية النقية** **الزكية النزيهة عن** مثل هذه الفلسفات الشيطانية، فإنها **لا تعرف شيئًا من هذه الحيل والعلل التي اخترعها** الصوفية للاستهزاء بالشريعة وأوامرها وهتك **حرمتها**.

وإلا **فما المراد من تحريم الفكر** والنظر في الأدلة على المريد وتحريم موازنة أفعال وأحوال **شيخه بميزان الشريعة، وإيجاب** التسليم لمرشده وهاديه الذي لا يهديه إلا **إلى الزيغ والضلال وإلى طريق الجحيم**.

فهذا جزاء لمن أراد أن يحافظ على الشريعة ولا يتركها بأمر من يريدون القضاء عليها من المتصوفة

ورواية أخرى رواها الجعلي الفضلي عن صوفي سوداني أنه كان يرد المطلقة ثلاثًا من غير زوج ينكحها، وكان الشيخ عبد القادر ابن الشيخ إدريس ينكر عليه في ذلك، ويقول له: جميع الناس تسويهم أولاد الزنا فيقول له متى ما أنكر عليه اسأل أمك. فسأل أمه طاهرة عن ذلك، فقالت أبوك طلقني ثلاثًا، مكثت عربة ثماني سنين، فردني له، فحملت بك فقال له الشيخ يا عبد القادر، رجعنا لك[1]

وذكر الجعلي هذا واحدًا من مشايخه ومتصوفيه محمد الحميم بن عبد الصادق أنه تزوج من تسعين امرأة، وجمع بين العشرات، كما جمع بين بنات الشيخ بان النقا، وبين بنات أبي لدودة اثنتين اثنتين، فأنكر عليه القاضي، وقال له يا شيخ محمد، خمست، وسدست، وعشرت حتى جمعت الآن بين أختين، تخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟! فقال له إن الرسول ﷺ أذن لي بذلك فقال له القاضي جميع هذه الأنكحة فسختها، فدعا عليه

(١) كتاب «الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين» للجعلي الفضلي ص ١٠٣ ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان

وقال له: الله يفسخ جلدك. فمرض القاضي، وانفسخ جلده... **وقال في** رده أبياتًا، منها:

فإن كنت يا قاضي قرأت مذاهبًا فلم تدرك يا قاضي رموز مذاهبنا

فمذهبكم نصلح به بعض ديننا ومنهبنا يعجم عليكم إذا قلنا

قطعنا البحار الزاخرات وراءنا فلم يدر الفقهاء أين توجهنا

حللنا بواد عندنا اسمه الفضا فضاق بنا الوادي ونحن ما ضقنا

حللنا بقرب القاب روحًا من الدنا عجنا شموسًا أخجلت شمس نورنا [١]

ومثل ذلك رووا عن عبد الرحمن الجامي الصوفي الخراساني الفارسي المشهور أنه قدم سيف الدين أحمد ومعه جملة من المدرسين، فعمل لهم الضيافة، ثم أقام لهم الغناء والرقص، فقال بعض الحاضرين للشيخ: يا مولانا، كيف استماع الغناء والضرب بالدفوف والرقص، ما هو خلاف الشرع؟ فحول الشيخ وجهه إليه، وتكلم في أذنه خفية، فظهر منه صوت عجيب، وحصل له وجد بالسماع وضرب الدف، ولما أفاق اعتذر للشيخ[٢].

وأشنع منها الحكاية التي ذكرها اليافعي أن بعض الأمراء استأذنته امرأته ذات ليلة في الخروج من بيته فأذن لها ثم تبعها، ولم يزل يمشي بعدها إلى أن جاءت إلى موضع سماع الشيخ وفقرائه، فرأى النساء وقربها من الفقراء، فأنكر عليه بقلبه، وقال: هؤلاء الفاعلون التاركون يسمعون والنساء عندهم. ثم إنه أخذه حرقان بول، فتنحى إلى مكان ليبول فيه، فوجد فرج امرأة، فعرفه من أين أتى، ثم وقف حتى تفرق الناس وهو محزون متحير في أمره، فوقف على الشيخ وقال له: هكذا يكون الفقراء إذا جلس عندهم النساء، فاستغفر الله تعالى من ذلك الخاطر، ودعا له الشيخ فعاد إلى حاله الأولى[٣].

---

(١) أيضًا ص ١٥٠-١٥١

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ٢ ص ٦١

(٣) «نشر المحاسن الغالية» في فضل مشايخ الصوفية لعبد الله اليافعي ص ٨٧ بهامش «جامع كرامات الأولياء» ط دار صادر بيروت.

ومن الغرائب أن الهجويري المعروف بـ«داتا» يحكي عن إحدى الصوفيات فاطمة البلخية أنها ذهبت مع زوجها الصوفي المشهور أحمد بن خضرويه البلخي إلى با يزيد؛ فلما أقبلت على با يزيد ورفعت البرقعة عن وجهها وكانت تتحدث معه بجرأة، فتعجب أحمد من ذلك، واستولت الغيرة على قلبه، فقال: يا فاطمة، أي جرأة تلك التي كانت لك مع با يزيد؟ فقالت: لأنك أنت محرم طبيعتي، وهو محرم طريقتي؟[١].

هذا، والوقائع مثل هذه أكثر من أن تعد وتحصى، وأن يسعها باب أو كتاب، إن دلت على شيء دلت على أنه لا استنكار ولا نكير على الصوفية فيما يأمرون ويفعلون، ويقولون ويعملون، لأن لهم علاقة رابطة واتصالاً مع الله بطريق الكشف والإلهام غير مسطور في القرآن ولا مذكور في السنة، فهم يعملون حسب ما يلهمون، ويقولون حسب ما يكشف لهم مثل ما ينقل عبد القادر أحمد عطا عن الشعراني أن الأولياء لهم علوم يتداولونها فيما بينهم لم يسطر في كتاب، ولم يطرق سمع أحد علم منها، وهي كثيرة[٢].

وبمثل ذلك قال الأستاذ مصطفى عبد الرزاق المتعاطف على التصوف والمتصوفة: وأهل التصوف يؤثرون العلوم الإلهامية دون التعليمية، ويعدونها المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية التي يستحيل معها إمكان الخطأ.

ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأقاويل والأدلة، بل قالوا: إن الطريق إلى تحصيل تلك الدرجة بتقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فطريق الصوفية يرجع إلى تطهيرٍ محضٍ وجلاء ومحاسبة للنفس، ثم استعداد وانتظار للتجلي[٣].

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ترجمة عربية للدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل ص ٣٣٢ ط بيروت، أيضًا «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ١٦٩ ط باكستان، أيضًا النور ص ١٧٠

(٢) انظر مقدمة كتاب «الطبقات الصغرى» لعبد الوهاب الشعراني عبد القادر أحمد عطا ص ١٠ الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٠

(٣) «التصوف» مقال مصطفى عبد الرازق عن التصوف ص ٦٩ ط بيروت ١٩٨٤م.

وعلى ذلك قال الشعراني: لا ينبغي لأحد أن يبادر إلى **الإنكار على من أمره شيخه بحلق اللحية**، بعد ما ذكر حكاية غريبة **عن الشيخ عبد الغفار القوصي**، أن بعض الأولياء كان جالسًا يعظ الناس، **فنزل من الكرسي وضرب** شخصًا على رأسه من السامعين، ثم رجع **إلى الكرسي فقال فقيه**: هذا حرام عليك، أيش عمل هذا حتى تضربه؟ **فقال المضروب: أنا أستحق** ذلك؛ لأني اغتبت **في نفسي وليًا من الأولياء المدفونين** فضربني تعزيرًا، فخجل ذلك **الفقيه من الشيخ، ثم إنه نزل وضرب شخصًا** آخر، فسألوه عن ذلك. فقال: إنه خطر **في نفسه أنه أفضل** من العلماء الحاضرين. وقال له: كيف تفضل نفسك؟ أما علمت أن ذلك ذنب إبليس الذي أخرج به من الجنة؟ فقال الشخص: أستغفر الله تعالى! وتاب من ذلك[(١)].

ومثل ذلك قال في أخلاقه بعد ما ذكر عن المتبولي أنه قال: علمت من كان في ظهر آدم من السعداء حال كونهم ذرات، فلا يزيدون على ما علمت ولا شخصًا واحدًا، وكذلك أطلعني الله تعالى على جميع ما يفعله كل عبد حين أرى أنفه فأعرف ما وقع فيه في الماضي، وما يقع فيه في المستقبل من خير وشر، ثم قال: وقلت: وينبغي التسليم لكل من ادعى أن الله أطلعه على ذلك؛ لأنه ادعى ممكنًا[(٢)].

وابن عجيبة الحسني لم ير أن يتأخر عن الجماعة ترويجًا لهذا الباطل، فقال بعد ما نقل عن أبي بكر الشبلي أنه كان له تلميذ، فكساه رجل يومًا جبة، وكان على رأس الشبلي قلنسوة، فخطر على قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة، فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة، ورمى بهما في النار. وقال له: لا تبق في قلبك التفاتًا لغير الله. قال بعد ذكر هذه الحكاية: وأنكر عليه بعض أهل الظاهر المتجمدون على ظاهر الشريعة جهلًا بالمقصود؛ لأن أعمال الصوفية مبنية على العبادة القلبية[(٣)].

---

(١) انظر «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ١ ص ٤١١، ٤١٢

(٢) «الأخلاق المتبولية» للشعراني ج ١ص ١٢٤ ط القاهرة.

(٣) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

فهكذا خالف القوم الشريعة، ونقضوه وعضوها، وهدموا قواعدها بدعوى الكشف والإلهام، فادعى بعض منهم بعده تفريق بين النبي والولي من حيث الوحي والإلهام، وزاد بعضهم في غلوائه، فرجحوا الولاية على النبوة، وزعموا بعدم ختم نبوة محمد ﷺ وإتيان النبي[1].

وارتقى البعض الآخر إلى أن وصل إلى مرتبة الألوهية والربوبية، **فقالوا في ذلك ما قالوا**[2].

والجدير بالذكر أن جل إلهامات القوم وأكثر مكاشفاتهم ليست من الرب - عز اسمه وجل مجده، - **بل إنها خيالات** نفسانية أو بخارات صعدت إلى مفكراتهم وأذهانهم من سوء الهضم، والتجوع، والسهر، أو تخيلات المهووسين والمجانين أو إلقاءات وإيحات شيطانية، لاختلافها وتناقضها وتعارضها وتباينها باختلاف الأشخاص والبيئات..

فوجود الاختلاف دليل على أن مصدرها ومنبعها ليس بواحد، وهذا واضح وجلي لمن عرف مكاشفات القوم، واطلع على إلهاماتهم، وقرأ في كتبهم، فمكاشفات ابن عربي تختلف عن مكاشفات ابن سبعين، وإلهامات أبي البسطامي عن با يزيد الأنصاري وذي النون المصري، والرفاعي عن الشاذلي والنقشبندي عن السهروردي، والجشتي عن القادري، والبكتاشي عن النوربخشي، والتيجاني عن العروسي:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[3].

وعلى ذلك انتبه لهم علماء الإسلام وفقهاء الأمة، وتصدوا لهم بالرد على أفكارهم وخيالاتهم، ففسقوا البعض وكفروا الآخرين، وأفتوا بالزندقة على قسم منهم، ولم يكن ردهم عليهم إلا أن قالوا كما نطق به شيخهم الأكبر: ويزيل رجل الطريق التفكر عن نفسه جملة واحدة، فإنه مفرق لهمه، ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه، عسى الله أن يفتح له الباب إليه، ويعلم ما لم

---

(١) انظر كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» الباب الثالث منه.

(٢) انظر لذلك كتابنا «أولياء أم آلهة» الباب الأول.

(٣) سورة النساء الآية ٨٢ .

يكن يعلم، مما علمته الرسل وأهل الله، مما لم تستقل **العقول بإدراكه**، وإحالته.

فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب **حصل له تجلٍ إلهي، أعطاه** ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه، **فينسب إلى الله منه أمرًا** لم يكن قبل ذلك يجرأ على نسبته إلى الله - **سبحانه** - [illegible]. **غير أن** أصحابنا اليوم يجدون **غاية الألم؛ حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي** أن يرسل عليه سبحانه كما **أرسلت الأنبياء - عليهم السلام- فما أعظم** تلك التجليات، وإنما منعهم أن **يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب** المنزلة والرسل - عليهم السلام- عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر، لما يسارعون إليه في تفكير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء - عليهم السلام- في جنب الله، وتركوا - أعني هؤلاء الفقهاء - معنى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

كما قال له ﷺ ربه - عز وجل- عند ذكره الأنبياء والرسل عليهم السلام:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾.

فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل المدعين الكاذبين في دعواهم. ونعم ما فعلوا، وما على الصادقين في هذا من ضرر؛ لأن الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب. وفيما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك كفاية لهم. فيوردونها، يستريحون إليها: من تعجب، وفرح، وضحك، وتبشبش، ونزول، ومعية، ومحبة، وشوق، وما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كفر، وربما قتل.

وأكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقًا وشربًا. فأنكروا مثل هذا من العارفين، حسدًا من عند أنفسهم. إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى، ما أطلقه على نفسه، ولا أطلقته رسله - عليهم السلام- عليه. ومنعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك رد على كتاب الله، وتحجير على رحمة الله أن تنال بعض عباد الله، وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار، تقليدًا لهم، لا بل بحمد الله أقل العامة ... فانظر ما يقاسيه في نفسه العالم بالله.

فسبحان من أعمى بصائرهم علماء الرسوم، حيث سمعوا وسلموا، وآمنوا بما به كفروا، فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق، لا ممن عرف الحق بالرجال[(١)].

إنما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى **علومهم؛ لأنها جاءت أصحابها من طرق** غريبة غير مألوفة، وهي طرق الكشف، وأكثر **علوم الناس إنما جاءتهم من طريق** الفكر، فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق، **وما كل أحد يقدر على** جلاد مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير **يفهم كلام أهل الله، ويدخل دائرتهم**، ولكن لله في ذلك حكم وأسرار[(٢)].

وأيضًا لقد وقع لنا وللعارفين أمور ومحن بواسطة إظهارنا المعارف والأسرار، وشهدوا فينا بالزندقة، وآذونا الأذى، وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن مع إلا قليل، وأعدى عدو لنا المقلدون لأفكارهم، وأما الفلاسفة فيقولون عنا: هؤلاء قوم أهل هوس، قد فسدت خزانة خيالهم، فضعفت عقولهم، ويا ليتهم إذ لم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا، مع أنا لا يضرنا بحمد الله إنكارهم علينا لجهلهم[(٣)].

ونقل الشعراني مثل ذلك عن الجنيد سيد الطائفة أنه قال: لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق، وذلك؛ لأنه إذا نطق بعلوم الأسرار لا يسع الصديقين إلا أن ينكروا عليه[(٤)].

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي السفر الرابع ص ١٢٢ إلى ٢٧٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) أيضًا الباب الثامن والثلاثون والأربعمائة نقلًا عن «اليواقيت والجواهر» للشعراني ج ١ ص ٢٥

(٣) «التدبيرات الإلهية» لابن عربي ص ١١٣ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ، أيضًا «درر الغواص» للشعراني ص ٣٢٠ بهامش «الإبريز» للدباغ طبعة قديمة مصر، أيضًا «اليواقيت والجواهر» للشعراني ص ٢٥ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

(٤) «الطبقات الكبرى» للشعراني.

وذكر الشعراني في مقدمة كتابه «الطبقات الكبرى» **الكثيرين** من المشايخ **الصوفية** الكبار الذين أخرجوا من بلادهم، وفسقوا **وكفروا مثل** أبي يزيد البسطامي، وذي النون المصري، وسمنون، **وسيد الطائفة الجنيد، والحكيم** الترمذي، وأبي مدين المغربي وغيرهم الكثيرين **الكثيرين**[1].

وذكر ماسنيون سبب سخط الفقهاء **وغضبهم على المتصوفة** حيث قال:

ولكن الفقهاء والمتكلمين أسخطهم أن يروا أناسًا يتحدثون عن نشدان **الضمير، ويحتكمون إلى قصائد الباطن**، في حين أن شريعة القرآن تحاسب **على الأعمال الظاهرة، وتعاقب** الناس على آثامهم، ولا حيلة لها مع النفاق في الدين، ولذلك حاولوا أن يبينوا أن حياة الصوفية لا محالة مفضية بهم إلى الزيغ.

وعن مثل هؤلاء قال الله عز وجل:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

و﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].



(١) المصدر السابق.
(٢) آية رقم ٧٩ سورة البقرة.
(٣) آية رقم ٧٨ سورة آل عمران.

الباب الرابع
التَّصَوُّفُ.. بِدَعُهُ وَخَصَائِصُهُ

إن المنصف حين يتعمق في كتب المتصوفة ورسائلهم وصحفهم، في سيرهم وسلوكهم، أحوالهم وطبقاتهم، أسسهم وقواعدهم، ليرى أن أمرهم مبني: إما على التطرف أو مخالفة الشريعة، أو مكون من البدع والزيغ والضلال.

فأما تطرفهم ومخالفتهم للشريعة، فلقد ذكرناها فيما سبق، ونورد هاهنا ما ابتدعوه واستحدثوه باسم الدين في التصوف، ولو أن كل هذا من حيث المبدأ والمآل من قسم واحد؛ لأن التطرف أيضًا بدعة في الدين، ومخالفات الشرع منهي عنها في الإسلام، ولكننا خصصنا هذا الباب لبيان أشياء اختص بها المتصوفة، وجعلوها من ميزاتهم وشعاراتهم، بل إنها من لوازمهم وخصائصهم، قلما يتصور صوفي ولا يتصور هذه الأشياء معه أو يتصور هذه الأشياء ولا يحضر في الذهن التصوف والمتصوفة من قديم الزمان وحديثه باختلاف الكم والكيف، مثل الرقص والغناء، والوجد والتواجد، والأناشيد والمواجيد، والقصائد والترانيم، والأذكار والأوراد بألفاظها المخصوصة وآدابها الخاصة، وتصور الشيخ، وصحبه المريد، والخلوات والخانقاوات وآداب المكوث فيها، وغيرها من الأمور التي خصصوا لبيانها أبوابًا وفصولًا في كتبهم.

ويلاحظ الباحث أن للقوم نظامًا خاصًا، ومميزًا عن نظام الإسلام، وآدابًا ومناهج لم يرد ذكرها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم تعرف في القرون الأولى المشهود لها بالخير، بل أخذوها من غير المسلمين، والبعيدين عن الإسلام وعقائده، أفكاره ومعتقداته، بل هي تخالف في شكلها وصورتها، وبحروفها وألفاظها، وكلماتها ومنطوقها، ومعانيها ومدلولاتها، واسمها ورسمها، وسيرتها وتشكيلها، وأدائها وأسلوبها من الإسلام الساذج، غير المتكلف والمصطنع، دين الفطرة ودين البساطة، فأين هو وتعاليمه من الرقص

والتمايل وجدًا وطربًا، والذكر وحلقاته، والحركات على **التصفيق والبكاء** والتصدية، وضربات الذكر، وتحريك الرأس والجسم **أليًا ويهلوانيًا، والجلوس** بين يدي الشيخ كالجلسة بين يدي الرب، والخشوع **والخضوع، وعدم التنفس** أمامه والسؤال منه والاعتراض عليه، **وعلى كل ما يفعله ويأمر به**، والمكث في سراديب الأرض واللبث **في كهوف الجبال وغيرانها**، وغير ذلك من **الخرافات والخزعبيلات.**

فالإسلام دين يشمل الدنيا والآخرة، ويعامل الإنسان كما خلق في أحسن تقويم، **مكرمًا ومعظمًا، وله حقوق**، وعليه فرائض، وله إخوان وخلان، وأهل وعيال، ووالد وما ولد، وأقارب وجيران، وأسرة وبيئة يعيش فيها، ومجتمع يحيط به، فلا يستغني عنهم ولا يستغنى عنه، وعلى ذلك يقال: إن الإنسان مدني الطبع، وهو كذلك، ولذلك بعث الله النبيين، وأرسل الرسل ليهدوه ويسلكوا به سبيل المؤمنين المتقين والمعتدلين؛ يراعون الذمم، ويصلون الرحم، ويوفون بالعهود، ويرحمون الصغير، ويوقرون الكبير، ويداوون المريض، ويواسون الجريح، ويجبرون المكسور، ويقرون الضيف، ويراعون اليتيم، ويعطون المسكين، ويحافظون على ما أمر الله بحفظه، ويراعون الله فيما أمرهم برعايته، ويخافونه ويتقونه حق تقاته.

ولكن التصوف ليس هكذا، فهو انزواء وحشة وتنافر من الناس واعتزال عنهم، ثم رقص وسماع، وأكل وشرب على الاستجداء، ونوم في الرباطات، لا الكسب ولا الطلب، ولا الزواج ولا المعاشرة، ومخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وقد ذكرنا أشياء منها، ونذكر ههنا من بدع القوم ومحدثاتهم التي علقت بهم ولزمتهم، أو عرفت بهم وعرفوا بها.

فمن بدعهم ما يسمونه (سماعًا)، وهو: سماع أناشيد وأبيات غزلية فيها ذكر الهجر والوصل، والقرب والبعد، والعذاب والملامة، والعذل واللوم، والقطيعة والشوق، والحب والعشق، والحبيب والمعشوق، والقدود والخدود، والحسن والجمال، والغنج والدلال، والخمر والكئوس، والساقي والسيقان، مع الآلات وبدونها مكاء وتصدية، دون سماع القرآن وأحاديث سيد الأنام.

كما يقول ابن عجيبة الحسني: السماع هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى[١]. وجعلوا هذا السماع من لوازم التصوف؛ حيث نقلوا عن علم من الأعلام المتصوفة؛ الحسين النوري أنه سئل عن الصوفي فقال:

الصوفي الذي سمع السماع، وآثر على الأسباب[٢].

وقال ابن البنا السرقسطي:

وللأنام في السماع خوض ... لكن لهذا الحزب فيه روض

وإن للشيوخ فيه فنًا ... إذ جعلوه للطريق ركنا[٣]

ونقل الشعراني عن الحارث المحاسبي أنه كان يقول: مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن[٤]. وأنه من أسرار الله تعالى في الوجود[٥].

وقالوا: السماع لوصف غذاء الأرواح لأهل المعرفة؛ لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال، ويدرك برقه الطبع لرقته، ويدرك لصفاء السر عند صفاء السر لأهله[٦].

ونقلوا عن الجنيد أنه قال: الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل؛ فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا لضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد[٧].

---

(١) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٨٣ ط عالم الفكر القاهرة.

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٤٣، أيضًا «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٤٤

(٣) المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي ضمن «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة ص ١٨٣

(٤) «الأنوار القدسية» في معرفة قواعد الصوفية للشعراني ج ٢ ص ١٧٩ ط دار إحياء التراث العربي بغداد.

(٥) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص ٢٢٣ ط ليدن.

(٦) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٤٢، «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٤٦

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٩١، ومثله في كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٤٣، وفي «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٤٥، وفي «إحياء علوم الدين» للغزالي ج٢ ص ٢٤٧، وفي «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج٢ ص ٦١، وفي «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٧٦

ويذكر الهجويري واحد من المشايخ أنه كان يقول: **السماع تنبيه الأسرار لما فيها من المغيبات**[١].

وأما الكلاباذي فيقول: السماع استجمام من **تعب الوقت، وتنفس لأرباب** الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي **الأشغال**.

وإنما اختير على غيره مما **يستروح هكذا إليه الطباع**، لبعد النفوس عن **التشبث به والسكون إليه، فإنه من القضاء يبدو**، وإلى القضاء يعود[٢].

ونقل الغزالي وأبو طالب المكي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر - **عليه السلام**- فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ فقال له: الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام الفقهاء[٣].

وأما ابن عجيبة فنقل هذا عن رسول الله، حيث قال: حكي عن بعض الأبدال أنه قال: رأيت النبي ﷺ فقلت: ما تقول في السماع الذي عليه أصحابنا؟ فقال: هو الصفاء الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء[٤].

ونقل الشعراني عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول: معنى السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، والعبارات تقصر عنه، ولكن الصادقون كذا تشير إليهم المعاني فيستريحون بذلك من تعب الحجاب[٥].

ونقل الوزير لسان الدين بن الخطيب عن أبي على الروذباري أنه سئل عن حقيقة السماع. فقال: المنطق الذي ظهر الحق به، ونطق به في الأزل[٦].

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٥٣ طبعة عربية.

(٢) «التعرف» للكلاباذي ص ١٩٠

(٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ص ٢٤٧، أيضًا «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ص ٦٣

(٤) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٨٥

(٥) «الأنوار القدسية» للشعراني ج٢ ص ١٨٢، ومثله في «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٥٠

(٦) «روضة التعريف» للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٢٧٠ ط.

والقشيري ذكر عنه أنه سئل عن السماع. فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب(١).

ونقلوا عن ذي النون المصري أنه قال: **السماع وارد حق يزعج القلوب إلى الله**(٢).

ونقل القشيري عنه أنه سئل عن الصوت الحسن. **فقال:**
مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وكل طيبة(٣).

وهو **الذي روى عن بعض** المتصوفة أنه سئل عن السماع. فقال: بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار **تبدو ثم تخفى، ما** أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين. ثم أنشأ يقول:

خطرة في السر منه خطرت خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل
أي زور لك لو قصدا سرى ومسلم بك لو حقًّا فعل(٤)

ونقلوا عن السري السَّقَطِيّ أنه قال: تطرب قلوب المحبين إلى السماع، وتخاف قلوب التائبين، وتكاب قلوب المشتاقين(٥).

ونقل الغزالي عن أبي الحسين الدراج أنه قال: جاء بي السماع في ميادين البهاء، فأوجدني وجود الحق عند العطاء، فسقاني بكأس الصفاء؛ فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء(٦).

وهناك كلام القشيري في رسائله كاد أن يكون جامعًا وشاملًا لهذه المعاني كلها؛ حيث يقول تحت عنوان: «ما السماع؟»: السماع إدراك الغيوب بسمع القلوب بفهم الفؤاد لحقائق المراد، والوقوف على إشارات الحق عند وجود

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٤٩ .
(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٥٢
(٣) انظر «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٤٥ .
(٤) أيضًا ص ٦٥٧
(٥) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٨٤
(٦) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج٢ ص ٢٦٧

عبارات الخلق، والترقي مما يقرع سمع الظاهر إلى ما يوجب جمع السرائر، وإصغاء القلب إلى خطاب الغيب، وإشارات ترد على الأسرار عند عبارات تسمع من الأغبار، وانطلاق لسان السرائر إذا سكت لسان الظواهر، وجريان لسان الفؤاد والعبد ساكت بين العباد، ومفاوضة الأحباب وسكوت اللسان عن الخطاب.

والسماع من موجبات الرأفة ومذهبات الكلفة، والسماع سفير يؤدي إليكم رسائل الغيب، ودليل ينفي عنكم دواعي الريب، وتعريف يفد على القلب بريد التجلي، وتأبيد يحصل من الغيب بحسن التولي، وغذاء الأرواح وشفاؤها، وروح القلوب وصفاؤها، ولطائف الغيب وزوائده، ونتائج القرب وعوائده.

والسماع يبرز كل وجد كامن، ويزعج كل قلب ساكن، والسماع مبهج لقوم ومزعج لقوم؛ لأنه يفيد قومًا ويبيد قومًا؛ من أفاده أبهجه وأصحاه؛ ومن أباده أزعجه أو لأم محاه. والسماع غريم لا يرضى من الفقير إلا ببذل الروح، لكنه يُغنيه عن نيل كل ممنوع. والسماع يقضي ويقتضي؛ يقضي حقك، ويقتضي حقه؛ فحقه منك التلف، وحقك أن يكون منك الخلق. والسماع يهتك ستر كل كاتم، ويملك السمع حتى لا يدخله لوم لائم. والسماع تذكير ما سلف لك يوم الميثاق، فيثير منك كوامن الاشتياق. والسماع معنًى يصادفك بغتة ثم يفارقك فلتة؛ فلا لوروده سبب، ولا لزواله موجب يحتسب. والسماع غيور لا يرضى بدون قتلك، لكنه يتلطف في اقتناصك بختلك[١].

فهذا هو السماع عند القوم، لخصناه من الكتب الموثوقة المعتمدة لديهم. وقبل أن نذكر آداب السماع التي اختلقها المتصوفة وأوجدوها بيانًا بأن له مقامًا وشأنًا ومنزلة ومرتبة تضاهي القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى للناس ورحمة شفاء للمؤمنين -نريد أن نذكر بعض سماعاتهم التي كلف بها القوم وشغفوا

---

(١) رسالة في السماع ضمن «الرسائل القشيرية» ص ٥٠ وما بعد، نشر المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية إسلام أباد باكستان.

بها، وطالما جعلوا تأثيرها أوقع في النفوس من آيات الذكر الحكيم؛ لكي يعرف القارئ من أي نوع هؤلاء الناس؟

فيذكر ابن الملقن عن صوفي مشهور **عمرو بن عثمان المكي** المتوفي ٢٩٧هـ أنه دخل أصبهان، فصحبه حدث وكان **والده يمنعه من صحبته، فمرض الصبي**، فدخل عليه عمرو مع قوَّال، فنظر **الحدث إلى عمرو، قال: قل له يقول شيئًا**. فقال:

ما لي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض عبدكم فأعود؟

فتمطى الحدث على فراشه وقعد، وقال للقوَّال: زدني بحبك لله.

فقال:

وأشد من مرضي عليَّ صدودكم ... وصدود عبدكم عليَّ شديد

أقسمت لا علق الفؤاد بغيركم ... لكنِ عليَّ بما أقول عهود

فزاد به البر حتى قام وخرج معهم(١).

وذكر السلمي واحدًا من أصحاب الجنيد وأحد مشايخ العراق وأئمتهم أبا محمد المرتعش النيسابوري، والذي قال فيه أبو عبد الله الرازي: كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاث: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخلدي، يذكر عنه برواية أحمد بن علي: كنت عند المرتعش قاعدًا، فقال رجل: قد طال الليل وطاب الهواء. فنظر إليه المرتعش، وسكت ساعة ثم قال: لا أدري ما تقول، غير أني ما سمعت بعض القوَّالين في بعض هذه الليالي يغني ويقول:

لست أدري أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ... ولرعي النجوم كنت مخلى

إن للعاشقين عن قصر الليـ ... ـل وعن طوله من الوجد شغلا

قال: فبكى من حضره(٢).

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٣٤٤ ط مكتبة الخانجي القاهرة.

(٢) «طبقات الصوفية» لأبي عبدالرحمن السلمي، ترتيب أحمد الشرباصي ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.

وعنه ذكر ابن الملقن أنه قال لبعض جلسائه: أنشدني الأبيات التي كنت تنشد بالأمس، فأنشأ يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليـ ـس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حبًا لذكرك فليلمني اللُّوَّم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ صار حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرًا ما من يهون عليك ممن يكرم(١)

ونقل السهروردي في عوارفه عن ذي النون أنه لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوَّال، فاستأذنوه أن يقول شيئًا، فأذن له، فأنشد القوال:

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي هوًى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكى

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض(٢).

ويذكر السراج الطوسي والهجويري عن الدراج أنه قال:

كنت أنا وابن الفوطي مارَّيْنِ على الدجلة بين البصرة والأبلة، وإذا بقصر حسن، له منظر، وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل
في سبيل الله ود كان مني لك يبذل

قال: وإذا شاب تحت المنظر، بيده ركوة، وعليه مرقعة يتسمع، فقال: يا جارية، بالله وبحياة مولاك إلا إذا أعدت هذا البيت:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ١٤٣

(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٧٩، «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٥٠، «إحياء علوم الدين» للغزالي ص ٢٦٩، «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ص ٢٠٥ بهامش «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني.

قال: فشهق شهقة وحم، فتأملناه، فإذا هو ميت[١].

ونقل الهجويري عن أحد مشائخه أن قال: سمعت مع درويش في بغداد صوت مُغَنٍّ كان يغني:

منىً إن تكن حقًّا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدا

فصرخ ذلك الدرويش، وفارق الدنيا:

ومثل هذا يقول أبو الروذباري ﷺ: رأيت درويشًا قد شغل بغناء مُغَنٍّ، فأصغيت **أنا أيضًا لأرى ما يقول،** فكان ذلك المغني يقل بصوت حزين:

أمـد كـفـي بـالـخـضـوع إلـى الـذي جـاد بـالـصـنـيـع

فصرخ الدرويش ووقع؛ **فلما اقتربت منه وجدته ميتًا**[٢].

وأنشد أبو طالب المكي نقلًا عن بعض الصوفية أنه كان يقول:

يـا حـبـيـبًـا بـذكـره نـتـداوى وصـنـفـوه لـكـل داء عـجـيـب

مـن أراد الـطـبـيـب سـرى إذا اشـتـيـاقًـا إلـى لـقـاء الـطـبـيـب

مـن أراد الـحـبـيـب سـار إلـيـه وجـفـا الأهـل دونـه والـقـريـب

لـيـس داء الـمـحـب داء يـداوى إنـمـا بـرؤه لـقـاء الـحـبـيـب[٣]

وأيضًا روى عن أبي تراب أنه كان ينشد:

لا تخـدعـن فـلـلـمـحـب دلائـل ولديه من تحف الحبيب وسائل

مـنـهـا تـنـعـمـه بـمـر بـلائـه وسروره في كل ما هو فاعل

فـالـمـنـع منـه عـطـيـة مقـبـولـة والـفـقـر إكـرام ولـطـف عـاجـل

ومن اللطائف أن يرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل

ومـن الـدلائـل أن يـرى مـتـفـهـمًـا لكلام من يحظى لديه السائل

---

(١) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٢٥٨، أيضًا «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٥٧، أيضًا «إحياء علوم الدين» للغزالي ج٢ ص ٢٦٤ ط دار القلم بيروت.

(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٥٨

(٣) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ص ٤٣ .

ومن الدلائل أن يرى متقشفًا متحفظًا من كل ما هو قائل[١]

وذكر ابن عربي في كتابه «محاضرة الأبرار» كثيرًا من الأبيات الغزلية التي يهتم الصوفية بالاستماع إليها، فمنها ما ذكرها تحت عنوان: «من السماع الصوفي» فيقول: وسماعنا على قول كثير عزة:

لقد حلفت جهدًا بما حلفت له قريش غداة المأزمين وصلَّت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كناذرة نذارًا فأوفت وحلَّت
فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يومًا لها النفس ذلت[٢]

وقال أيضًا: وسماعنا على قول ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجدًا على وجد
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدًا وأبديت الذي لم يكن يبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود[٣]

ويقول: وسماعنا على قول قيس المجنون أيضًا:

ألا يا حبذا نجد وطيب ترابه أرواحه إن كان نجد على العهد
ألا ليت شعري من عوارضتي قنا طول التنائي هل تغيرتا بعدي
وعن جارتنيا بالأثيل إلى الحمي علي عهدنا أم لم تدوما على عهد[٤]

وأما كتابه «ذخائر الأعلاق»، فكله ممتلئ بالتشبيب والتغزل والأبيات

---

(١) أيضًا ص ٦٣
(٢) «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» لابن عربي ج ١ ص ٣٦٠ ط دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٧٢م.
(٣) أيضا ص ٣٦١
(٤) أيضا ص ٣٣٩-٣٤٠

العشقية الداعية إلى الهزل والمجون والخلاعة. ذكرنا نبذة منها في كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر»[١].

وقد ذكر الجامي في نفحاته أن هناك طائفة من الصوفية كثيرًا ما يُنشدون هذه الأبيات:

وقف بالديار فهذه آثارهم … تبكي الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل مخبرًا … عن أهلها أو صادقًا أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها … فارقت من تهوى فتعز الملتقى[٢]

وذكر أيضًا أن مشايخ الصوفية ينشدون أشعارًا يصفون فيها راح المحبة وشوق وصل المحبوب، ومن ذلك البيت المشهور:

هنيئًا لأهل الدير كم سكروا بها … وما شربوا منها ولكنهم همو

على نفسه فليبك من ضاع عمره … وليس له فيها نصيب ولا سهم[٣]

ونذكر بعض الأبيات التي ذكرها الغزالي من كبار المتصوفة فينقل عن النوري أنه كان مع جماعة في دعوى، فجرى بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين النوري ساكت، ثم رفع رأسه وأنشدهم:

رب ورقاء هتوف في الضحى … ذات شجو صدحت في فنن

ذكرت إلفًا ودهرًا صالحًا … وبكت حزنًا فهاجت حزني

فبكائي ربما أرقهم … وبكاها ربما أرقني

ولقد أشكو فما أفهمها … ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها … وهي أيضًا بالجوى تعرفني[٤]

---

(١) انظر الباب الثالث من كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر».

(٢) «نفحات الأنس» للجامي ص ١٤١ ط كتاب فروشي محمودي إيران ١٣٣٧ هجري قمري.

(٣) «نفحات الأنس» للجامي ص ٥٤٣

(٤) انظر «إحياء علوم الدين» ج٢ ص ٢٧٣-٢٧٤

وذكر:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها[(١)]

وأيضًا:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر[(٢)]

ومن تلك الأبيات ما نقلها أبو المفاخر يحيى الباخرزي عن ابن الفارض أنه كان ينشد:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم[(٣)]

فهذه نماذج للسماع الصوفي وأناشيد المتصوفة، وهناك كثير من الأبيات الغزلية باللغة الفارسية والأردية لدى المتصوفة أردأ منها وأقبح، فيها الفسوق البين والفجور الظاهر، نعرض عن إيرادها تنجنبًا عن الإطالة.

ويقول أبو طالب المكي عن هذا السماع: تعرف مواجيد أصحابنا عند السماع[(٤)].

ويكتب عن السماع أيضًا: وإنما ذكرنا هذا؛ لأنه كان طريقًا لبعض المحبين، وحالًا لبعض المشتاقين، فإن أنكرناه مجملًا أنكرنا على سبعين صادقًا من خيار الأمة[(٥)].

ويقول الأنصاري الهروي: إن الأنس يتأتى من ثلاثة أشياء، منها التغذي بالسماع[(٦)].

---

(١) أيضًا ص ٢٦٩

(٢) «إحياء علوم الدين» ج ٢ ص ٢٦٧

(٣) «أوراد الأحباب وفصوص الآداب» للباخرزي ص ٢٤٢ ط إيران.

(٤) انظر «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٦١

(٥) أيضًا ص ٦١، كذلك أوراد الأحباب وفصوص الآداب للباخرزي ص ٢٣٧، أيضًا «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٨٤

(٦) «منازل السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاري الهروي ص ١١٦مع الشرح الفارسي ط انتشارات مولى إيران ١٣٤١ هجري قمري.

وهذه الأبيات والأناشيد والترانيم والقصائد والأشعار الغزلية المليئة بذكر ما يذكره الغاوون لا تقرأ ولا **تنشد بصوت ضيب، بل تغنى** على ألحان وأنغام ومع آلات الطرب واللهو والغناء، **كما أنه ليس من الضروري** أن يكون القوّال والمنشد رجلًا مسنًا، بل ومن **البنات** والجواري **تسمع ويصغى إليهن كما ذكر الجعلي الفضلي** عن سيده إسماعيل الصوفي أنه أول ما **تقوم عليه الحالة يمشي في حوشه، ويحضر** البنات والعرايس والعرسان للرقص، ويضرب الربابة، كل ضربة **لها نغمة يفيق منها** المجنون، وتذهل منها العقول، وتطرب لها الحيوانات **والجمادات حتى إن الربابة يضعونها** في الشمس أول ما تسمع صوته تضرب **على نغمته من غير أن يضربها أحد**، وفرسه بنت بكر يشدونها له ويلبسونها الحرحر **والجرس وقوادها ماسكها أول ما تسمع ترنمه في** كلام الحرب وهو يقول:

بنت بكر المراد ويوا ويوا سلطية العرض ويوا ويوا

فإن الفرس تقوم وتومئ برأسها بيديها والعقد فيها (شلو شلو) حكاية لصوت العقد[1].

وذكر عن سليمان الطوالي الزغرات أنه كانت له جارية تضرب له الدلوكة اسمها منانة كانت ضرابة لها بجميع أنواع الضرب يقول لها:

يا منانة دق الدلوكة خادم الله الماك مملوكة[2]

وقد ذكر الشعراني أيضًا صوفية كانوا يضربون آلات[3].

والدباغ أيضًا ذكر صوفيًا طبالًا كان يضرب بالطبل ففتح الله عليه فبقي على حالته ولم يرجع عنها[4].

---

(١) كتاب «الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان» لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي ص ٢٨ ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان.

(٢) أيضًا ص ٩٣

(٣) انظر «طبقات الشعراني» ج ٢ ص ١٠٠ .

(٤) انظر «الإبريز» للدباغ ص ٢٣٥ طبعة قديمة مصر.

وكتب الشعراني عن عمر بن الفارض أنه كانت له جوارٍ يغنين له، فيقوم ويتواجد، وكان يتعالى في شرائهن لأجل حسن أصواتهن[١].

واتهموا عطاء أنه كانت له جاريتان يلحنان، **فكان إخوانه يستمعون إليهما**[٢].

وعلى ذلك قال الفيتوري: **يجوز ضرب البندير من آلات** الغناء، والرقص **كذلك إذا كان من تواجد**[٣].

وقال عماد الدين الأموي: لا بأس إذا كان في السماع آلة من دف أو شبابة، **ولا بأس بالرقص في السماع**[٤]. ثم ذكروا آدابًا لهذا السماع أو الغناء لا تقل عن آداب سماع القرآن، بل وتفوقها كما يكتب القشيري في رسالته تحت عنوان «ما آداب السماع؟» فيقول:

القعود بالهيبة عند صحوك إلى أن تصل إلى الخمود والغيبة لمحوك، ثم الإناخة بحقوة الخضوع بقلبك ناسيًا أو متناسيًا لخطاب من ربك، ثم استشعار الخجل فيما يرقيك إليه الحق، أو يلقيك به من وجود حال، أو شهود مقام، أو روية وصال، أو توهم إكرام، ثم ملاحظة ما يناغيك به من التقريب بعين السكر والنسيب ثم ترك المساكنة إلى ما يثني به الحق سبحانه عليك في سرك باستصغار حالك، بل باستقذار قلك وكثرك، ثم إخفاء حالك عن الحاضرين بترك الإبداء فيما تسمع وتلبس صورة الحال بنعت الأجانب فيما إليه يرجع ثم سقوط أحكام البشرية من تغيرك وتكدرك فيما تسامر فيه من غير إظهار فضل لك بكل وجد تدعيه أو حق من أحد تقتضيه، ثم مراعاة حقوق الأكابر إذا

---

(١) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٣ ص ١٨٦

(٢) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج٢ ص ٦٢ . «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٧٧ ، «مكاشفة القلوب» للغزالي ص ٢٣٩ .

(٣) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الفيتوري ص ١٩-٦٨

(٤) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج٢ ص ١٧٩ بهامش «قوت القلوب» لأبي طالب المكي.

حضروا موضع السماع بدوام السكون إلا عن غلبة الاختيار مسقطة ونازلة في الإزعاج مفرطة، ثم كتمان ما تكاشف به من الإشراف على أحوال من هو دونك في الشرف والحال[١].

ويقول: وللسماع شروط أخر، فمنها أن لا يتخير فيما يسمع على القوال، ولا يصح عليه خطؤه في الأقوال؛ لأن ذلك سوء أدب في أحكام الحضرة[٢].

وأما الباخرزي فيقول: ومن آداب الصوفية في السماع أن يصلوا قبل الحضور **في مجلس السماع**، ويسألوا البركة من الرب - عز وجل- وأن يقعدوا فيه بالهيبة والوقار، **ويلازموا السكينة** والإخلاص[٣].

وينقل كذلك عن روز بهان بقلي أنه قال في كتابه الأنوار في كشف الأسرار: من آداب السماع كذلك أن يكون القوال حسن الوجه؛ لأن العارفين يحتاجون لاستجمام قلوبهم إلى ثلاثة أشياء: روائح طيبة، ووجه صبيح، وصوت حسن مليح كما قال - عليه السلام-:

«**حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقره عيني في الصلاة**»[٤].

ومن تلك الآداب ما ذكرها عبد السلام الأسمر في وصيته فيقول: إخواني، تأدبوا معها - أي حضرة- السماع وأحسنوها، واخشعوا فيها كما تخشعون في الصلاة، اللهم إلا إذا نزل بكم أمر غالب من وجد أو شوق أو ذوق أو حال أو جذب.

فإذا أغمي على أحد منكم في الحضرة فقد سقط عليه التكليف فسقطوا له، وإذا شق بكم من ضرب أو مزاحمة أو صراخ يفسد عليكم ذكركم، أو صوت قوي يخلط عليكم أو يشتتكم أو يضربكم ضررًا فأخرجوه من الحقة

(١) «الرسالة القشيرية» ص ٥٤- ٥٥ ط إسلام أباد باكستان.

(٢) أيضًا ص ٥٣

(٣) «أوراد الأحباب وفصوص الآداب» ليحيى الباخرزي فارسي ص ٢٠٢ ط إيران.

(٤) «أوراد الأحباب» للباخرزي ص ٢٠٧

برفق ولين، ولا تضروه، ولا تنازعوه، ولا تهددوه، **ولا تفتحوا** عليه، ولو غير الاسم **الأعظم** ولو كان يقول خاخاخا أو حاحاحا **أو لالالا أو** هاهاها أو كاكاكا أو فافافا أو أي حرف من الحروف الهجائية. **فإذ لم يشق بكم ولا يضر** بكم فلا تخرجوه من الحضرة إلى أن يشبع، **واجعلوه في وسطها**، وأحسنوا له الذكر، وصوتوا فيه بالقوة **إلى أن يلقى على الأرض أو يطيب**. فإذا سقط على **وجه الأرض، فانقلوه بظرافة وتلقوه حين سقوطه** على الأرض؛ لئلا يتضرر **جسده**.

إخواني: **فأخرجوه بينكم** بأدب وظرافة، وألقوه على الأرض النظيفة، واطرحوه عليها، وغطوه بالإزار إلى أن يفيق ويرجع إلى ما كان عليه.

إخواني: وغمضوا أعينكم في الحضرة، ولا يلتفت منكم أحدًا، واحفظوا الحلقة لئلا يدخلكم الجان، وحفظ الحلقة هو الفاهق الذي هو في دائرة الحضرة ما بين الرجل والرجل، ولا يدخل في وسط الحضرة منكم أحد من غلب عليه، ما ذكرناه من جذب ونحوه.

إخواني: ومن أصابه الضراط فليخرج منها ويقضيه ويرجع إلى الحضرة(١).

ولم يكتف بهذا، بل صرح بأشياء أخرى، فيها إهانات وخرافات، فيقول: وعند إنشاد كلامي إياكم والعبث والسخرية، وكذلك حين الذكر والإنشاد، وحين تنشدون كلامي فإن روحي تحضر بين أيديكم سواء حيًا أو ميتًا.

إخواني: وحين ينشد أحدكم كلامي فأنصتوا له واستمعوا، وحضروا قلوبكم معه، وتأملوه.

إخواني: وعند قولكم لكلامي، فلا تتحدثوا ولا تعشوا، واخشوا فيه، فإن روحي بين أيديكم ومعها ملكان صالحان.

إخواني: ولا تقطعوا كلامي، وأتقنوه وأحسنوه، واحفظوه حفظًا فائقًا.

إخواني: وإذا قلتم من كلامي قصيدة، فلا تبطلوا في أثنائها إلى أن

---

(١) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الأسمر ص ٥٠ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

تتمموها، ولا نظروا. ولا تبتروه ولا تقطعوه ولو سمعتم الأذان المهم، إلا إذا كنتم تشوشون على المؤذن أو تخنضو عيه لأذ ن فأتموها سرًا.

إخواني: من لا يهزه إنشادي ودفي، **فقد تغلظ ضبعه**، وفسد مزاجه، وفيه **نَزعة يهودية**[١].

وحكى القشيري عن الجنيد أنه قال:

السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان، والمكان، والإخوان[٢].

وقال **الكمشخانوي: آداب** الحضرة ثلاثة؛ دوام النظر، وإلقاء السمع، والتوطين لما **يرد من الحكم**[٣].

وقد أطال الغزالي **في ذكر آداب السماع**:

الأول: مراعاة الزمان والمكان والإخوان؛ **قال الجنيد: السماع يحتاج إلى** ثلاثة أشياء، وإلا فلا تسمع: الزمان، والمكان، والإخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له.

وأما المكان: فقد يكون شارعًا مطروقًا أو موضعًا كريه الصورة، أو به سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك.

وأما الإخوان: فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب؛ كان مستقلًا في المجلس واشتغل القلب به...

والأدب الثاني: هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع، فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم، فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر...

---

(١) أيضًا ص ٥٢-٥٣.

(٢) «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٤٥.

(٣) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ٤٠.

الأدب الثالث: أن يكون مصغيًا إلى ما يقول القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلى الجواب، متحرزًا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد. مشتغلًا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظًا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم. بل يكون ساكن الظاهر، هادئ الأطراف، متحفظًا عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقًا رأسه، كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه، متماسكًا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة، ساكتًا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم. . .

الأدب الرابع: أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء، وهو يقدر على ضبط نفسه، ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة؛ لأن التباكي استجلاب للحزن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط، فكل مسرور مباح فيجوز تحريكه. . .

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة، فلا بد من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة، وكذلك إن جرت عادة طائفة تنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوب بالتمزيق، فالموافقة في هذا الأمور من حسن الصحبة والعشرة، إذًا المخالفة موحشة ولكل قوم رسم، ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر، لاسيما إذا كانت أخلاقًا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة(١).

فيا لهفتي ووا أسفي على فقيه مثل الغزالي الذي ذهب به التصوف إلى هذه المذاهب والمقالات التي لا تتصور عن عاقل ذي شعور أن يقولها أو يتلفظ بها دون أن تصدر من شخص فقيه متكلم أصولي مناظر، وله في خلقه

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ص ٢٧٦ وما بعد.

شأن: يهدي من يشاء، ويضل من يريد، وبهذا يعرف قدرته واختياراته، وعظمته وجلالته.

والهجويري أيضا بوب بابًا في ذكر آداب السماع، وعد آدابًا كثيرة، منها:

إذا استولى السماع على جماعة ولم يكن له منهم نصيب فينظر إلى سكرهم بصحوة، فيجب أن يكون محتاجًا إلى الوقت، ويمكن لسلطان الوقت لتصل إليه بركاته[1]. والسرقسطي أيضا ذكر آداب السماع، ومن جملتها:

ولا يجوز عنده التكلم   ولا التلاهي لا ولا التبسم[2]

ثم يشرح ابن عجيبة الحسني هذا البيت بقوله: إنما لا يجوز التكلم عنده أي عند السماع؛ لأنه عند العارفين محل الوجد والخمرة، والكلام يشوش القلب ويبعده من الحضرة، ويتلف عن الحقيقة، فالواجب تركه لمن أراد جبر قلبه... وأما التبسم فإن فيه إساءة الأدب، فإن غلبه خرج، وإلا أُخرج وزُجرَ. قال السلمي -رحمه الله-: ولا يحضر مجلس السماع من يبتسم أو يتلاهى[3].

والشعراني نقل عن ابن عربي أن من آداب القوم في السماع أن لا يكون هناك من ليس من أهل طريقة أو من أهل طريقهم، لكنه ينكر السماع ولا يقول به[4].

ويقول: وإذا سقطت عمامة الشيخ عن رأسه أو وضعها هو اختيارًا لثقلها أو لشدة حر أو نحو ذلك، فمن الأدب، موافقة الفقراء له في ذلك، فيضعون كلهم عمائمهم كذلك، وإن رمى الشيخ عمامته إلى القوال أو رداءه فلهم أن يوافقوه بصدق، وليحذر أحدهم أن يرمي خرقته للقوال من غير إشارة الشيخ فإنه ترك الأدب.

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٦٨ .

(٢) «المباحث الأصلية» للسرقسطي ضمن «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة ص ١٩٠

(٣) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٩٠ - ١٩١ ط عالم الفكر القاهرة.

(٤) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٢ص ١٨٧ .

وإذا وقع من أحد من الفقراء خرقة أو عمامة في **غير** وجد، فيستحب للنقيب رفعها عن مواقع الأقدام إكرامًا لها، وإن كانت **عمامة** الشيخ رفعها كذلك وصار قائمًا بها إلى أن يطلبها الشيخ **بالقرينة أو الإشارة، فهناك يتقدم** النقيب ويضعها على رأس الشيخ قائلًا **باسم الله الرحمن الرحيم مع** استشعار الحياء والأدب[١].

فهذه هي آداب السماع عند الصوفية.

ومن أشنع ما استحدثوه وابتدعوه في السماع هو الوجد والتواجد **والرقص، وقد بوبوا لبيانها** أبوابًا مستقلة، وفصلوا الفصول، وما هي إلا خرافات وخرافات، وسخافات وسخافات، واستخفاف العقل والاستهزاء بالفكر، ولكن أنى للقوم أن يتعقلوا ويتفكروا، فقال السراج الطوسي مبينًا للوجد في باب مستقل من لمعه تحت عنوان «في ذلك اختلافهم في ماهية الوجد» قال:

اختلف أهل التصوف في الوجد ما هو؟ فقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: لا يقع على كيفية الوجد عبارة؛ لأنها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين[٢].

ونقل عن أحد المتصوفة أنه قال: إن الوجد مكاشفات من الحق، ألا ترى أن أحدهم يكون ساكنًا فيتحرك ويظهر منه الزفير والشهيق... وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد الأعرابي رحمه الله: أول الوجد رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب الفهم، وملاحظة السبب، ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وهو فناؤك أنت من حيث أنت.

قال أبو سعيد رحمه الله: الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب؛ فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها، زال عنهم كل شك وريب.

---

(١) أيضًا من ١٩٠

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٧٥ ط دار الكتب الحديثة مصر.

وقال أيضًا: الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب؛ لأن النفس محجوبة بأسبابها، فإذا انقطعت الأسباب، وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا، ونجعت فيه الموعظة والذكر، وحل من المناجاة في محل غريب وخوطب، وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر، فشاهد ما كان منه خاليًا، فذلك هو الوجد؛ لأنه وجد ما كان عنده عدمًا معدومًا[1].

وقال الهجويري: اعلم أن الوجد والوجود مصدران؛ أحدهما بمعنى الحزن، والثاني بمعنى الوجد، وفعل كلاهما كأنه واحد، ولا يمكن التفرقة بينهما إلا بالمصدر، كما يقال: وجد يجد وجودًا ووجدانًا: إذا صار محزونًا، وأيضًا: وجد يجد جدة: إذا صار غنيًا، ووجد يجد موجدة: إذا غضب. والفرق بين هذه كلها يكون بالمصادر لا بالأفعال.

ومراد هذه الطائفة من الوجد والوجود إثبات حالين يظهران لهما في السماع؛ أحدهما مقرون بالحزن، والآخر موصول بالوجد والمراد.

وحقيقة الحزن: فقد المحبوب، ومنع المراد. وحقيقة الوجد، حصول المراد. والفرق بين الحزن والوجد هو أن الحزن اسم الغم الذي يكون في نصيب النفس، والوجد اسم الغم الذي يكون في نصيب الغير على وجه المحبة. وتغير هذا جملة صفة الطالب والحق لا يغير.

ولا تدخل كيفية الوجد تحت العبارة؛ لأنها ألم في المغايبة، ولا يمكن بيان الألم بالقلم، فالوجد سر بين الطالب والمطلوب يكون بيانه في كشف تلك الغيبة، ولا تصح العلامة والإشارات إلى كيفية الوجود؛ لأنه طرف في المشاهدة، ولا يمكن إدراك الطرب الطلب، فالوجود فضل من المحبوب إلى المحب، والإشارة معزولة عن حقيقته.

وعندي أن الوجد ألم للقلب. إما من الفرح أو الترح أو الطرب أو التعب. والوجود إزالة غم عن القلب ومصادقته لمراده.

---

(١) أيضًا من ٣٧٥: ٣٧٦

وصفة الواجد: إما حركة في غليان الشوق في حال الحجاب، وإما سكون في حال المشاهدة في حال الكشف: إما زفير وإما نفير، إما أنين وإما حنين، إما عيش وإما طيش، إما كرب وأما طرب[١].

وقال الكلاباذي: الوجد هو ما صادق القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد وبين الله عز وجل...

وقال النوري: الوجد لهيب ينشأ في الأسرار، ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طربًا أو حزنًا عند ذلك الوارد. وقال بعضهم: الوجد بشارات الحق بالترقي إلى مقامات مشاهداته[٢].

وأما الغزالي فقد أطال الكلام فيه بعد ذكر الأقاويل الكثيرة عن المتصوفة والحكماء:

أنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة[٣].

وأما القشيري فنقل عن محمد بن الحسيني أنه قال:

سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفي يقول: سئل رويم عن وجود الصوفية؛ أي عما يجدونه عند السماع، فقال: يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير إليهم، إلي إلي، فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، كل إنسان على قدره[٤].

وشرح عبد الله الأنصاري الهروي الوجد بقوله: الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق ثم ذكر له درجات فقال: الدرجة الأول: وجد عارض.

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ترجمة عربية ص ٦٦١ ط دار النهضة بيروت.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٣٤

(٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج٢ ص ٢٦٨ .

(٤) «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٤٧

والدرجة الثانية: يستفيق له الروح بلمع نور أزلي، أو سماع نداء أولي، أو جذب حقيقي.

والدرجة الثالثة: وجد يخطف العبد من يد الكونين، ويمحص معناه من دون الحظ، ويسلبه من رق الماء والطين[1].

وأما النداء الأولي الذي أشار إليه الهروي في هذا النص، قد ذكره كثير من المتصوفة في كتبهم، فيروي القشيري والسيد محمد ماضي أبو العزائم وغيرهما عن الجنيد أنه سئل: ما بال الإنسان يكون هادئًا فإذا سمع السماع اضطرب؟

فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح؛ فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك[2].

فهكذا حاول الصوفية ربط سماعهم للأناشيد والأبيات الغزلية مع سماع نداء أولي.

وهناك أمثلة لتواجد المتصوفة وكيفيته، نذكر نبذة منها، فيذكر الطوسي:

حكي عن الشبلي أنه تواجد يومًا في مجلسه فقال: آه ليس يدري ما بقلبي سواه، فقيل له: آه من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، وذكر عنه أيضًا تواجد يومًا فضرب يده على الحائط حتى عملت عليه يده، قال: فعمدوا إلى بعض الأطباء؛ فلما أتاه، قال للطبيب: ويلك بأي شاهد جئتني؟

قال: جئت حتى أعالج يدك، فلطمه الشبلي -رحمه الله- وطرده. قال: فعمدوا إلى طبيب آخر ألطف منه فلما أتاه قال له: ويلك! بأي شاهد جئتني؟ قال: بشاهده. قال: فأعطاه يده فبسطها وهو ساكت؛ فلما أخرج الدواء يجعله عليها، صاح وتواجد وترك إصبعه على موضع الداء وهو يقول:

---

(١) «منازل السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاري الهروي ص ١٦٢ .

(٢) «معارج المقربين» لمحمد ماضي أبي العزائم ص ٣٢٣ ط. دار الثقافة العربية للطباعة مصر، أيضًا «الرسالة القشيرية» واللفظ له ص ٦٤٤ .

أنبتت صبابتكم فرحة على كبدي
بت من تفجعكم كالأسير في الصفد[١]

ونقلوا عن أبي سعيد الخراز أنه قال: رأيت علي بن الموقف في السماع يقول: أقيموني. فأقاموه، فقام وتواجد، ثم قال: **أنا الشيخ الزفان**[٢].

وحكى السهروردي عن الشبلي **أنه سمع قائلًا يقول**:

أسائل عن سلمى فهل من مخبر
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي **وقال**: لا والله، ما في الدارين عنه مخبر[٣].

وذكروا عن عبد الله بن علي أنه قال:

اجتمعت ليلة مع الشبلي -رحمه الله- فقال القوال شيئًا، فصالح الشبلي وتواجد قاعدًا، فقيل له: يا أبا بكر، ما لك من بين الجماعة قاعدًا؟ فقال وتواجد وقال:

لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي[٤]

ويذكر الطوسي والغزالي: وكان الشبلي -رحمه الله- يتواجد كثيرًا إذا سمع هذا البيت:

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وقام الدقي ليلة إلى شطر الليل، وهو يتخبط ويسقط على رأسه ويقوم، والخلق يبكون، والقوالون يقولون هذا البيت:

بالله فاردد فؤاد مكتئب ليس له من حبيبه خلف[٥]

---

(١) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٧٩ .
(٢) «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٥٤
(٣) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٨٤ .
(٤) «الرسالة القشيرية» ج ٢ص ٦٥٩ .
(٥) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٦٤، أيضًا «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ ص ٢٦٥، ومثله في «الرسالة القشيرية» ج٢ ص ٦٥٤ .

ونقلوا عن أبي علي الروذباري أنه قال: جزت بقصر يومًا، فرأيت شابًا حسن الوجه مصروحًا، وحوله ناس مجتمعون. فسألت عنه فقالوا: إنه جاز بهذ القصر فسمع جارية تغني:

كبرت همة عبد طمعت في أن تراكا
أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآك

فشهق شهقة ومات(١)

ويقول اليافعي: **وقد مات بالسماع من الفقراء خلق كثير، من ذلك موت بعضهم بسماع هذا البيت:**

تقول نساء الحي تطمع أن ترى محاسن ليلى مت بداء المطامع

وموت آخر بسماع هذا البيت:

ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم حتى هجرت وبعض الهجر تأديب(٢)

وذكر ابن الملقن وصاحب «الكواكب الدرية» والغزالي عن أبي الحسين النوري أنه اجتمع الجنيد والنوري ورويم وابن وهب وغيرهم في سماع، فمضى بعض الليل وأكثره، فلم يتحرك أحد منهم، ولا أثر فيه القول؛ فقال النوري للجنيد: يا أبا القاسم، هذا السماع يمر مرًّا، ولا أرى وجدًا يظهر! فقال الجنيد: يا أبا الحسين، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ فأنت يا أبا الحسن ما أثر عليك؟! فقال النوري: ما بلغت مقامي في السماع فقال الجنيد: وما مقامك فيه؟ فقال: الرمز بالإشارة دون الإفصاح، والكناية دون الإيضاح. ثم وثب وصفق بيديه، فقام جميع من حضر بقيامه ساعة.

وكان سبب وفاته أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل من ودادك منزلًا تتحير الألباب دون نزوله

فتواجد وهام في الصحراء، فوقع في أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله

---

(١) «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ج٢ ص ٢٠٤ بهامش «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ط دار صادر بيروت، أيضًا «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٥٩

(٢) «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ص ٢٠٤

مثل السيوف، وكان يمشي عليها ويعبد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران، فورمت قدماه ومات[١].

وذكر الهجويري وقائع عديدة في وجد المتصوفة وتواجدهم، **وقوة سلطانه** وهيجانه وغليانه، فقال: ويقول واحد من **كبار المشايخ: سمعت** مع درويش في بغداد صوت مُغَنٍّ كان يغني **(شعر عربي):**

منـى إن تكن حقًا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدا

فصرخ ذلك الدرويش وفارق الدنيا.

ومثل هذا يقول **أبو** علي الروذباري رضي الله عنه: رأيت درويشًا كان قد شغل بغناء مُغَنٍّ، فأصغيت أنا أيضًا لأرى ما يقول، فكان ذلك المغني يقول بصوت حزين:

أمد كفي بالخضوع إلى الذي جاد بالصنيع

فصرخ الدرويش ووقع، فلما اقتربت منه وجدته ميتًا.

ويقول قائل: كنت أسير مع إبراهيم الخواص -رحمه الله- في طريق، فظهر طرب في قلبي، فغنيت هذا الشعر(شعر عربي):

صحَّ عند الناس أني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمن

ليس في الإنسان من شيء حسن إلا وأحسن منه صوت حسن

فقال لي: أعد هذا الشعر. فأعدته، فضرب الأرض عدة ضربات من الوجد؛ فلما نظرت كانت أقدامه تغوص في الحجر كما لو كانت تغوص في شمع، ثم وقع مغشيًا عليه.

فلما أفاق قال لي: كنت في روضة الجنة وأنت لم تر.

ومن هذا الجنس حكايات أكثر من أن يحتملها هذا الكتاب. وقد رأيت معاينة درويشًا كان يسير في جبال أذربيجان؛ ويقول هذه الأبيات متعجلًا (شعر عربي):

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٦٨-٦٩، أيضًا «الكواكب الدرية» ج ١ ص ٩٦، أيضًا «الإحياء» ج ٢ ص ٢٦٦

والله ما طلعت شمس ولا غربت **إلا وأنت مني قلبي ووسواسي**
ولا تنفست محزونًا ولا فرحًا **إلا وذكرك مقرون بأنفاسي**
ولا جلست إلى قوم أحدثهم **إلا وأنت حديثي بين جلّاسي**
ولا هممت بشرب الماء من عطش **إلا رأيت خيالًا منك في الكأس**

وتغير من السماع، وأسند ظهره إلى حجر، وأسلم الروح[١].

وقد ذكر الطوسي أيضًا فيه بعض وقائع، فيقول: إن سهل بن عبد الله كان يقول **عليه الوجد حتى يبقى خمسة** وعشرين يومًا أو أربعة وعشرين يومًا يأكل فيه طعامًا، **وكان يعرق عند البرد الشديد** وعليه قميص واحد، وكانوا إذا سألوه عن شيء من العلم **يقول: لا تسألوني، فإنكم لا تنتفعون في هذا** الوقت بكلامي[٢].

كما نقلوا عن السري السَّقَطِيِّ أنه ذكر يومًا عنده المواجيد الحادة في الأذكار القوية وما جانس هذا مما يقوى على العبد، فقال سري -رحمه الله-: وقد سألته فيه فقال: نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يحبسه[٣].

وعلى ذلك قالوا عن الوجد عند السماع حكاية عن رويم أنه قال في جواب سائل سأله عن وجد المشايخ عند السماع، فقال: مثل قطيع الغنم إذا وقع في وسطه الذئاب[٤].

وذكر بعض كيفيات الوجد والتواجد السهروردي في عوارفه، فقال: وحكى بعض المشايخ، قال: رأينا جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع، ويجدون به، ويتولهون عنده. وقال بعضهم: كنا على الساحل، فسمع بعض إخواننا، فجعل يتقلب على الماء يمر ويجيء، حتى رجع إلى مكانه.

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٥٨-٦٥٩ .
(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٨١ .
(٣) أيضًا.
(٤) «الرسالة القشيرية» ج ٢ ص ٦٥٤، كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٦١ .

ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع، فأخذ شمعة فجعلها في عينه. قال الناقل: قربت من عينه أنظر، فرأيت نارًا أو نورًا يخرج من عينه يرد نار الشمعة. وحكي عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعًا يمر ويجيء فيه[١].

وذكر مثل هذه الشعبذات اليافعي أيضًا؛ حيث يقول: ومن حكايات أرباب الأحوال في السماع وأصحاب المواجيد فيه ما حكي عن بعضهم أنه سمع على ساحل البحر، فجعل يتقلب على الماء ويمر ويجيء حتى رجع إلى مكانه. وحكي عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعًا ويجيء فيه. قلت: ومثل هذا رويناه عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشهير أبي عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه.

قلت: وقد تقدمت حكاية عن بعض المشايخ أنه قطعت رجله حال السماع من أجل أكلة فيها ولم يشعر. ومن المشهور ما حكي عن بعضهم أنه كان مقعدًا، وكان إذا ظهر به السماع يقوم. وحكي عن بعضهم أنه كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها.

قلت: وقد دخل كثير منهم في النار في حال السماع، وقد تقدم في الفصل الثالث أن امتحن بعض الملوك بعض المشايخ بذلك بعد ما أمر بإيقاد نار عظيمة فأمر الشيخ أصحابها السماع؛ فلما عمل فيهم الوجود، دخل بهم فيها ثم اختطف ابنًا للملك ودار به فيها، ثم غابا، ففزع الملك على ولده فزعًا شديدًا ثم ظهرا وإذا في إحدى يدي ابن الملك تفاحة، وفي الأخرى رمانة، فقال أبوه: أين كنت؟ قال: كنت في بستان، فأخذت منه هاتين الحبتين. فأحضر الملك كأسًا مملوءًا سُمًّا تقتل القطرة منه في الحال. وقال للشيخ: اشربه إن كنت صادقًا وكان مذهبكم حقًّا. فشربه الشيخ في حال السماع؛ فتمزقت ثيابه، فألقي عليه ثياب أخرى، فتمزقت أيضًا، ثم أخرى كذلك مرارًا، ثم ثبتت عليه الثياب بعد ذلك صحيحة، ولم يسمه سوءًا[٢].

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٨٤

(٢) «نشر المحاسن الغالية» لعبد الله بن أسعد اليافعي ج ٢ ص ٢٠٢-٢٠٣ بهامش «جامع كرامات الأولياء».

وأما النهباني، فيكتب: كان عبد الله بن محمد المعروف بالعفيف من كبار الصالحين أهل الكرامات والأحوال، وكان إذا حضر السماع يأخذه وجد غالب وجد حتى إنه ألقى نفسه مرة من سطح عالٍ عند غلبة الوجد عليه ولم يضره شيء.

ومنها أنه أخرج مرة عين بعض القوَّال في حال غلبة الوجد عليه، ثم ردها بعد أن سالت على خده، فرجعت كأن لم يكن بها شيء[1].

هذا، وقد كذبوا على رسول الله ﷺ إثباتًا للوجد فقالوا: عن أنس كنا عند النبي ﷺ إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله، فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. وهو نصف يوم، ففرح، فقال: أفيكم من ينشدنا؟ فقال بدري: نعم يا رسول الله. فقال: هات. فأنشد البدري يقول:

قد لسعت حب الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقِ

إلا الحبيب الذي قد شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد -عليه السلام- وتواجد أصحابه معه، حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبِهِ؛ فلما فرغوا آوى كل أحد إلى مكانه، فقال معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله؟ (عياذًا بالله!).

فقال: مه مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتزَّ عند ذكر الحبيب. ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة[2].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص ١١٩

(٢) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة ص ١٨٥، أيضًا «عوارف المعارف» للسهرودي ص ٢٠٤-٢٠٥، ولكن السهروردي قال بعد ذكر هذه الرواية: وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم إلا هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها إن صح. والله اعلم. ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدون على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله. «عوارف المعارف» ص ٢٠٥ فهو كما قال؛ لأن الحديث موضوع باطل لا أصل له إطلاقًا باتفاق أهل العلم كما ذكر السيوطي أيضًا. انظر هامش «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة ص ٥٨١ .

والغزالي كذلك استدل على السماع والوجد من رؤيا **ممشاد** الدينوري أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله، **هل تنكر من هذا** السماع شيئًا؟ فقال: ما أنكر منه شيئًا، ولكن **قل لهم: يفتتحون قبله بالقرآن** ويختمون بعده بالقرآن.

وحكي عن طاهر بن بلال **الهمداني الوراق، وكان من** أهل العلم أنه قال: **كنت معتكفًا في جامع جلة في البحر، فرأيت يومًا** طائفة يقولون الشعر؟ قال: **فرأيت النبي تلك الليلة وهو جالس في** تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه **وإذا أبو بكر يقول** شيئًا من القول والنبي يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت في نفسي: ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله يستمع وأبو بكر يقول، فالتفت إليَّ رسول الله وقال: هذا حق بحق. أو قال: حق من حق. أنا أشك فيه[(١)].

ويقولون: إن هذه الأبيات الغزلية والأشعار العشقية أكثر تأثيرًا ووقعًا في النفوس وإثارة للوجد والتواجد من القرآن الكريم، كما ذكروا عن يوسف بن الحسين الرازي الذي قال فيه الأصبهاني: المتخلي من رؤية الناس، المتحلي بالإخلاص خيفة رب الناس، التارك للتزين والتصنع، المفارق للتلون والتمتع، أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي. وكان وحيدًا فريدًا، وعلى المتنطعين شديدًا، صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي، وأبا سعيد الخراز[(٢)].

يذكرون عنه نقلًا عن أبي الحسين الدراج أنه قال: قصدت زيارة يوسف ابن الحسين الرازي، من بغداد، دخلت الري وسألت الناس عن منزله، فكل من أسأله عنه يقول: أيش تعمل بذلك الزنديق؟ فضيقوا صدري، حتى عزمت على الانصراف. فبت تلك الليلة في مسجد، ثم قلت في نفسي: جئت هذا البلد، فلا أقل من زيارته. فلم أزل أسأل عنه، حتى دفعت إلى مسجد، فوجدته جالسًا في المحراب، وبين يديه مصحف يقرأ فيه، وإذا هو شيخ

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي ص٢٤٧ .

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني ج ١٠ ص ٢٣٨-٢٣٩

بهي، حسن الوجه واللحية، فدنوت منه، وسمعت عليه، فرد علي السلام، وقال: من أين أنت؟ قلت: من بغداد. قال: لأي شيء جئت؟ قلت: زائرًا لك. قال: أرأيت لو أن إنسانًا في بعض البلدان التي جزت، قال لك: أقم عندي، وسأشتري لك دارًا وجارية، أكان ذلك يمنعك من زيارتي؟ قلت: يا سيدي، ما امتحنني الله بشيء من ذلك، ولو كان فلا أدري كيف كنت أكون. فقال: أتحسن تقول شيئًا؟ قلت: نعم، وأنشدت:

رأيتك تبني دائبًا في قطيعتي ... ولو كنت ذا رحم لهدمت ما تبني
كأني بكم واللَّيتُ أفضل قولكم ... ألا ليتنا كنا إذا اللَّيتُ لا تغني

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي، حتى بل لحيته وثوبه، ورحمته من كثرة بكائه، ثم التفت إلي، وقال: يا بني، أتلوم أهل الري على قولهم: يوسف بن الحسين الزنديق، وهو ذا من وقت صلاة الصبح أتلو القرآن، لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت[(١)].

ومثل هذه الحكاية روى ابن الجوزي في كتابه نقلًا عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: أخرجت إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات، فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لابن الفرغاني في ذلك مجلس القوَّال -يعني المغني- فتداخلني من ذلك شيء فكنت أقول: قد استبدل بمجلس الختمات مجلس القوال، فقال لي يومًا: أي شيء تقول الناس؟ فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوال. فقال: من قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يفلح[(٢)].

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٣٨٠ -٣٨١-٣٨٢ أيضًا «حلية الأولياء» ج ١٠ ص ٢٤٠، أيضًا «اللمع» للطوسي ص ٣٦٤، أيضًا «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ ص ٢٧٥-٢٧٦، أيضًا «الأنوار القدسية» للشعراني ج ٢ ص ١٨٤ أيضًا «الطبقات الكبرى» له أيضًا ج ١ ص ٨٩-٩٠ .

(٢) انظر «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص ٢٤٠ ط دار القلم بيروت.

وبذلك صرح القوم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة، وأظهر تأثيرًا، والحجة على ذلك أن جلال القرآن لا تحتمله القوة البشرية المحدثة، ولا تحمله صفاتها المخلوقة، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه، لدهشت وتصدعت وتحيرت. والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ، وإذا علقت الألحان بالشعر كانت خفيفة على الطباع، لمشاكلة المخلوق بالمخلوق، مادامت البشرية باقية[١].

ويصرح الصفوري: فإن قيل: يتواجد المتواجد عن سماع الشعر دون سماع القرآن حتى انفتح لبعض المتفقهة باب الإنكار بهذا؟ فالجواب: أن القرن كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والإنصات؛ لأنه يتكرر في الأسماع، ولأن الشعر كلام البشر فبينهما مناسبة، وأما كلام الله تعالى، فلا مناسبة بينه وبين البشر[٢].

وقال الكمشخانوي: سئل إبراهيم الخواص: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع الألحان، ولا يجد ذلك عند سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القرآن صدقه لا يُمَكِّن أحدًا أن يتحرك فيه؛ لشدة غلبته عليه، وسماع الألحان ترويح فَيْتَحرك فيه[٣].

وقد صرح الغزالي بذلك بكل وضح وجلاء، وبكل جرأة وبسالة بقوله: فإن كان سماع القرآن مفيدًا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوَّالين دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء، لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوَّال؛ فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة، فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع، ولا تصلح

---

(١) «روضة التعريف» للسان الدين بن الخطيب ص ٢٧١-٢٧٢ ط دار الفكر العربي.

(٢) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» لعبد الرحمن الصفوري ج ١ ص ٦١ ط مطبعة منير بغداد.

(٣) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ٢٤٥ .

لفهمه، وتنزيله على ما هو ملابس له. . .

الوجه الثاني: أن القرآن **محفوظ للأكثرين**، **ومتكرر** على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولًا عظم **أثره في القلوب**، **وفي** الكرة الثانية **يضعف أثره**، **وفي** الثالثة يكاد يسقط أثره.

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر **تأثيرًا في النفس**، **فليس الصوت الموزون الطيب** كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن **في الشعر دون الآيات**. . .

الوجه الرابع: **أن الشعر الموزون يختلف** تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والأستانات، **وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر** الممدود والوقف **في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها**. وهذا التصرف جائز في الشعر، ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل، ومد الوقف والوصل والقطع به على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان، وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهومًا، كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي تفهم.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره؛ لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي، وإنما يقوى بمجموع هذا الأسباب، ولكل واحد منها حظ في التأثير.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع؛ فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره؛ فليس كلٌّ موافقًا لكل حال، والقرآن ليس كذلك.

وههنا وجه سابع -ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك، وسنذكر ذلك عن الطوسي نفسه أيضًا- أن القرآن كلام الله، وكلامه صفته، وهو حق لا يطيقه البشر إذا بدا؛ لأنه غير مخلوق لا تطيقه الصفات المخلوقة، ولو كشف للقول ذرة من معناه وهيبته لتصعدت ودهشت وتحيرت. . .

نفس الرواية التي حكيناه من قبل عن يوسف الرازي، ثم قال: فإذن القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوته القرآن[١].

وأما ما قاله السراج، فهو أن القرآن **كلام الله، وكلامه صفته لا تطيقه** البشرية، والنغمات الطيبة **موافقة للطبائع، ونسبته** نسبة الحظوظ، لا نسبة **الحقوق، والقرآن كلام الله، ونسبته نسبة الحقوق**، لا نسبة الحظوظ، وهذه **الأبيات والقصائد أيضًا نسبتها نسبة الحظوظ** لا نسبة الحقوق، وهذا السماع وإن كان **أهله متفاوتين في درجاتهم** وتخصيصهم فإن له موافقة للطبع، وحظًا للنفس، وتنعمًا للروح؛ لتشاكله بتلك اللطيفة التي جعلت في الأصوات الحسنة، والنغمات الطيبة، وكذلك الأشعار فيها معانٍ دقيقة، ورقة وفصاحة ولطافة وإشارات. فإذا علقت هذه الأصوات والنغمات على هذه القصائد والأبيات يشاكل بعضها بعضًا بموافقتها ومجانستها، ويكون أقرب إلى الحظوظ، وأخف محملًا على السرائر والقلوب، وأقل خطرًا لتشاكل المخلوق بالمخلوق.

فمن اختار استماع القصائد على استماع القرآن، اختار لحرمة القرآن وتعظيم ما فيه من الخطر؛ لأنه حق، والنفوس تحسن عندها، وتموت عن حركاتها، وتغني عن حظوظها وتنعمها إذا أشرقت عليها أنوار الحقوق بتشعشعها، وأبدت بها عن معانيها، فقالوا: ما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا وأرواحنا متنعمة بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة، فانبساطنا بذلك إلى كلام الله -عز وجل- الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود[٢].

والبدعة تفضي إلى بدعة، بل إلى بدع ومستحدثات، وليس لها نهاية، كما أن السيئة تفضي وتؤدي إلى سيئة وسيئات أخرى.

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ ص ٢٧٣ إلى ٢٧٦ ملخصًا بألفاظه.

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٣٥٦ -٣٥٧ .

فمن ثمار الوجد ولاحقه: الرقص، فيقول **السهروردي**: ربما صار الرقص عبادة بحسن النية، إذا نوي به **استجمام النفس**(١).

ويقول عماد الدين الأموي: **لا بأس بالرقص في** السماع إذا لم يكن فيه **تكسر**(٢).

ويكتب الفيتوري: يجوز الرقص في السماع إذا كان **من تواجد وحالة**(٣).

ويصرح ابن عجيبة في الحسني: الأصل في الرقص هو الإباحة... وقد صح **القيام والرقص في مجالس** الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة.

وقد تواتر **النقل عن الصوفية قديمًا** وحديثًا، شرقًا وغربًا أنهم كانوا **يجتمعون لذكر الله ويقولون ويرقصون، ولم يبلغنا عن أحد من العلماء** المعتبرين أنه أنكر عليهم.

وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب، مع توفر العلماء، فلم ينكر أحد عليهم(٤).

وقد أحل الرقص أبو حامد الغزالي أيضًا في «إحيائه»(٥).

وأما أبو الحسن الخرقاني فيعرِّف ويمدح الرقص بقوله:

الرقص هو مشاهدة ما تحت الثرى بوقوع القدم على الأرض، ومشاهدة العرش بتحريك الأيدي في الهواء(٦).

وأخيرًا ننقل ما قاله ابن عجيبة ردًّا على الذين يعترضون على السماع والرقص، فيقول: اعلم أن اعتراض أهل الظاهر على الصوفية لا ينقطع أبدًا، هذه سنة ماضية، وخصوصًا في السماع والرقص، وهم معذورون؛ لأنهم لا

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٨٠ .

(٢) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ص ١٧٩ بهامش «قوت القلوب».

(٣) «الوصية الكبرى» للفيتوري ص ١٩

(٤) «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص ١٩٢-١٩٣

(٥) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ ص ٢٧٨

(٦) «المنتخب من كتاب نور العلوم من كلام الشيخ أبي الحسن الخرقاني» بالفارسية للأستاذ مجتبى مينوي ص ١١٢ ط بخانه طهوري إيران.

يشاهدون إلا ذواتًا ترقص وتشطح، ولا يدرون ما في باطنها من المواجيد والأفراح، فيحملون ذلك على خفة العقل والطيش، **فيقعون** فيهم إلا من **عصمه** الله بالتسليم، ولذلك كان التصديق بطريقة **القوم ولاية، والاعتراض** جناية... وقد رأيت للطُرطوشي اعتراضًا **كبيرًا على الصوفية في** الرقص حتى قال فيه: إنه ضلالة وجهالة، **وذلك لما قلناه، قال تعالى:**

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

وكان الشيخ ابن عباد ﷺ يقول:

لا تجعلوا **لأهل الظاهر** حجة على أهل الباطن، أي: لأنهم لم يدركوا ما أدركه أهل الباطن، فلا تقوم الحجة عليهم بمجرد سوء الظن. ولله در أبي مدين حيث يقول:

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوى فلله يا خالي الحشا لا تعنفنا
قد اهتزت الأرواح شوقًا إلى اللقا نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى[1]

وأما حكاياتهم في الرقص، فيذكر نجم الدين الكبرى عن بعض المتصوفين أنهم كانوا يومًا في سماع لبعض الإخوان، وقد طاب لهم الوقت وقاموا للرقص[2].

وذكر النفزي الرندي عن بعضهم أنه قال: كنت مسافرًا إلى مكة، فبينما أنا أمشي إذ رأيت شيخًا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص، فتقدمت إليه فقلت: يا شيخ، ما هذا الرقص؟ قال: دعني عنك! قلت في نفسي: عبد من أنا. وكلام من أتلوا، وبيت من أنا قاصد، فاستفزني الوجد فرقصت[3].

ونقل الجعلي الفضلي عن سلمان العوضي أن أصحابه كانوا يقرشون الجمر، والواحد يملأ عمامته حجرًا وبعضها على رأسه ويرقص[4].

---

(١) «الفتوحات الإلهية» ص٢٠١ .

(٢) «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين الكبرى المتوفى ٦١٨ هـ، ص ٤٥ .

(٣) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج ٢ ص ٢٢١ .

(٤) كتاب «الطبقات» للجعلي الفضلي ص ٩٤ ط المكتبة الثقافية بيروت.

ويضيف بعض الصوفية إلى الرقص في السماع تمزيق الثياب وخرقها أيضًا، كما ينقل الوزير لسان الدين بن الخطيب عن بعض الشيوخ: مر على خانقاه بالمشرق، فخرج إليه فقراء استدعوه إلى شيخها، فوجد جمعًا. فقال الشيخ: يا مغربي، حسن الظن بسمتك وحكمناك في هذا الأحدوثة التي اجتمع لها الفقراء وهي: أن هذا الفقير رقص وغلبه الوجد، وخطر له تمزيق ثيابه، فعدل عن جديد قريب على ظاهره، إلى خلق كان باشر جسده فمزقه، فطالبه لمكان هذه البقية، قال: فقلت: يا مولانا هذا الفقير لما طلب قلبه ولم يجده ليمزقه مزق أقرب الأشياء إليه وأشبهها به في الأخلاق والرقة، وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

فرأيك في سمح الدموع موفقا ... يفل غدًا جيش النوى عسكر اللقا

وذرعي ومن حقيهما أن يشققا ... وخد جرى عن كون جسمي سالمًا

ولم يك قلبي حاضرًا فيمزقا ... يدي لم تطق تمزيق جسمي لضعفها

فصاح الشيخ، وعاد الوجد، وقاموا إلى رقصهم[1].

وحكى الشعراني عن أبي حفص الحداد النيسابوري أنه قيل له: إن فلانًا من أصحابك يدور حول السماع، فإذا سمع بكى وصاح ومزق ثيابه! فقال: أيش يعمل الغريق؟ يتعلق بكل شيء يظن فيه نجاته[2].

وذكر الشعراني أيضًا جمعًا من الصوفية مزقوا ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء، فينقل عن الجيلي أنه رفع له شخص ادعى أنه يرى الله - عز وجل- بعيني رأسه، فقال: أحقٌّ ما يقولون عنك؟ فقال: نعم، فانتهره ونهاه عن هذا القول، وأخذ عليه أن لا يعود إليه، فقيل للشيخ: أمحق هذا أم مبطل؟!

فقال: هذا محق ملبَّس عليه، وذلك شهد ببصيرته نور الجمال، ثم خرق من بصيرته إلى بصره لمعة، فرأى بصره ببصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور

(١) «روضة التعريف» للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٣٧١-٣٧٢ .

(٢) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٨١ .

شهوده، فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته، وإنما رأى **بصره** ببصيرته فقط وهو لا يدري.

وكان جمع من المشايخ وأكابر العلماء **حاضرين هذه الوقعة، فأطربهم** سماع هذا الكلام، ودُهِشوا من حسن **إفصاحه عن حال الرجل،** ومزق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى **الصحراء**[١].

وعلى ذلك كتب الهجويري: اعلم أن تخريق الثياب بين هذه الطائفة أمر **معتاد، وقد فعلوا هذا في المجامع** الكبرى التي كانت المشايخ الكبار ﷺ حاضرين فيها[٢].

وقد أباح الغزالي أيضًا تمزيق الثياب وتقطيعها حيث يقول: فإن قلت: فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع، فإنهم يمزقونها قطعًا صغارًا، ويفرقونها على القوم، ويسمونها الخرقة؟ فاعلم أن ذلك مباح[٣].

وأخيرًا، نتقل ما قاله الإمام ابن الجوزي في بيان الخرقة الصوفية فيقول:

فإذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغني، فمنهم من يرمي بها صحاحًا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها، وقد احتج لهم بعض الجهال فقال: هؤلاء في غيبة فلا يلامون، فإن موسى - عليه السلام- لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها، ولم يدر ما صنع.

والجواب أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسرٍ، والذي ذكر في القرآن ألقاها فحسب، فمن أين لنا أن تكسرت؟ ثم لو قيل: تكسرت، فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه؛ قلنا: كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه، ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنِّي من غيره، ويحذرون من بئر إن كانت عندهم، ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء؟! ولقد رأيت شابًّا من

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٢٦- ١٢٧

(٢) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٦٦٥

(٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي ج ٢ ص ٢٧٩

الصوفية يمشي في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه، وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات، وهو يصلي الجمعة، فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائبًا فقد بطل وضوءه، وإن كان حاضرًا فهو متصنع، وكان هذا الرجل جلدًا لا يعمل شيئًا. بل يدار له بزنبيل في كل يوم، فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه، فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين. ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة، فإن تعرضهم لما يغطي على العقول من سماع ما يطرب منهي عنه؛ كالتعرض لكل ما غالبه الأذى، وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم، فقال: خطأ وحرام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال، وعن شق الجيوب. فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال: إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع؛ لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي إلى ذلك، كما هم منهيون عن شرب المساكر، فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجدًا إن صدقوا فيه فسكر طبع، وإن كذبوا فتبيذ ومع الصحو فلا سلامه فيه مع الحالين. وتجنب مواضع الريب واجب، واحتج لهم ابن ظاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: نصبت حجلة لي فيها رقم فمدها النبي ﷺ فشقها.

فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين؛ كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد سترٍ ليحط فانشق لا عن قصد، أو كان عن قصد؛ لأجل الصور التي كانت فيه، وهذا من التشديد في حق الشارع عن المنهيات، كما أمر بكسر الدنان في الخمور، فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا: الشيطان غيبك؛ لأنك لو كنت مع الحق لحفظك، فإن الحق لا يفسد[1].

---

(١) انظر «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص ٢٥٢، ٢٥٣ ط دار القلم بيروت.

وليس تمزيق الثياب فقط، بل القرآن الكريم أيضًا - وعياذًا بالله!- كما نقل **الجعلي** الفضلي عن الصوفي السوداني مكي **الدقلاشي**: كان وليًا من أولياء الله تعالى، وسافر إلى بلده، وسلك بالناس **الطريق وأرشدهم، ظهرت** على يديه الكرامات وخوارق العادات، **جاء لزيارة شيخه فلم** يجد المركب فمشى هو وجيرانه على الماء **حتى خرجوا إلى الشاطئ** الشرقي أبي حراز **وظلم جيرانه رجل اسمه أزرق من جماعة** شيخ أليس أدلى سنار، ودخل في **مسجد الملك قائمة عليه الحالة فمزق** مصحفًا وجده في طاقة، فدخل الخطيب والقاضي على الملك فسألهما عن ذلك، فقالا له: رجل مجذوب، وحين سأله الملك عن ذلك قال شعرًا:

أما من يوم قمت سموني الهائم مــأذونـا لـي أب جـنـا قـائـم

يـا كـاشـر جيـب الـصـلـطـيـة نـطـعـن بهـا أهـل الـجـبـريـة

وأومأ إلى الملك بإصبعه فزاغ، فقال لأصحابه: إن كان ما زغت فإن إصبعه يقد رأسي، قال الناس: هذا مكي الدقلاشي ظلمه زول لشيخ أليس، فأرسل الملك لشيخ أليس برد مظلمته وأهداه[١].

فهذه هي بدعة المتصوفة الشنيعة، ومحدثاتهم القبيحة التي لزمتهم، وبها عرفوا وميزوا عن الآخرين، ولبئسما ميزوا وخصوا به، وامتازوا عن المؤمنين الذين:

﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[٢].

و﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٣].

و﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٤]

---

(١) كتاب «الطبقات» للجعلي الفضلي ص ١٥٧

(٢) سورة الأنفال الآية ٢

(٣) سورة مريم الآية ٥٨ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٠٧- ١٠٩

والذين قيل فيهم:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[1].

وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله ﷺ **يجتمعون، ولا على ذلك كما قال شيخ الإسلام** ابن تيمية: فأما السماع الذي **شرعه الله تعالى لعباده،** وكان **سلف الأمة من** الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة **نفوسهم فهو سماع** آيات الله، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل **المعرفة... وعلى هذا السماع** كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون، وكانوا **إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون،** وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه **يقول لأبي موسى: يا أبا موسى: ذكِّرنا ربنا،** فيقرأ وهم يستمعون، وهذا هو السماع الذي كان النبي ﷺ **يشهده مع أصحابه** ويستدعيه منهم، كما في الصحيح عن عبد الله بن.مسعود قال:

قال النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن»، قلت: أقرؤه عليك وعليك أنزل؟! فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

قال: «**حسبك**»، فنظرت فإذا عيناه تذرفان.

وأما سماع المكاء والتصدية، وهو التصفيق بالأيدي، والمكاء مثل الصفير ونحوه، فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد، والتصويت بالفم قربة ودينًا. ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع، ولا حضروه قط...

وبالجملة، قد عُرف بالاضطرار من دين الإسلام؛ أن رسول الله ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات

(١) سورة المائدة الآية ٨٣ .

الملحنة، **مع** ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب، أو الدف. **كما لم يبح لأحد** أن يخرج عن متابعته، واتباع ما جاء به من الكتاب **والحكمة، لا في** باطن الأمر، ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي، **ولكن رخص** النبي ﷺ **في** أنواع من اللهو في العرس ونحوه، **كما رخص للنساء أن يضربن** بالدف في الأعراس، والأفراح.

وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، **بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال:** «التصفيق للنساء والتسبيح للرجال، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء».

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، وكان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثًا، ويسمون الرجال المغنيين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم...

وتكلم كثير من المتأخرين في السماع: هل هو محظور؟ أو مكروه؟ أو مباح؟ وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج، بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقًا إلى الله، يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب، والتشويق إلى المحبوب، والتخويف من المرهوب، والتحزين على فوات المطلوب، فتستنزل به الرحمة، وتستجلب به النعمة، وتحرك به مواجيد أهل الإيمان، وتستجلى به مشاهد أهل العرفان، حتى يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه، حتى يجعلونه قوتًا للقلوب، وغذاء للنفوس، وحاديًا للأرواح، يحدوها بالسير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه.

ولهذا يوجد من اعتاده، واغتذى به لا يحنُّ إلى القرآن ولا يفرح به، ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصدية خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب[١].

(١) «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ج ١١ ص ٥٩٩ وما بعد.

هذا ما قاله شيخ **الإسلام** ابن تيمية، وأما الإمام ابن الجوزي فأيضًا قد فصل القول في تحريم الغناء **والمنع منه مستدلًا** من الكتاب والسنة. وذكر في آخر الكلام قول أبي عبد الله بن **بطة العكبري قال**: **سألني** سائل استماع الغناء، فنهيته عن ذلك وأعلمته مما **أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء، وإنما تفعله طائفة سموا** بالصوفية، وسماهم **المحققون الجبرية، أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون** الزهد، وكل أسبابهم ظلمة، ويدَّعون الشوق والمحبة **بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعونه** من الأحداث والنساء ويطربون ويُصعقون ويتغاشون ويتماوتون، **ويزعمون أن ذلك من** شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه، تعالى الله عما **يقوله الجاهلون علوًا كبيرًا**[(١)].

وقال هو نفسه: **إن الغناء يخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل**، وبيان هذا أن الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه، إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل، فينبغي أن يقع المنع منه[(٢)].

هذا، وقد ذم الغناء الصوفي المشهور ابن زروق في كتابه: «قواعد التصوف». وبين مساويه وجعله موجبًا للزنا[(٣)].

والسهروردي أيضًا قد أحسن وأجاد في هذا حيث كتب: وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى».

وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إنما نهيت عن صوتين فاجرين: صوت عند منعمة، وصوت عند مصيبة**».

وقد روي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: ما غنيت، ولا تمنيت، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ.

---

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص٢٢٩

(٢) أيضًا.

(٣) انظر «قواعد التصوف» لابن زروق ص ٧٠ .

وروي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ الله عنه أنه قال: **الغناء ينبت النفاق في القلب**. وروي أن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما مر على قوم **وهم محرمون وفيهم** رجل يتغنى فقال: ألا لا سمع الله لكم، ألا لا **سمع الله لكم. وروي أن إنسانًا** سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: **أنهاك عنه وأكرهه لك**، قال: أحرام هو؟ قال: انظر يا ابن أخي إذا **ميز الله الحق والباطل في** أيهما يجعل الغناء؟ **وقال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا**. وعن الضحاك: الغناء مفسدة **للقلب مسخطة الرب**.

وقال بعضهم: **إياكم والغناء**، فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح؛ لأن الطبع الموزون يفيق بالغناء والأوزان، ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقعة بالأصابع والتصفيق والرقص، وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل.

وروي عن الحسن أن قال: ليس الدف من سنة المسلمين، والذي نقل عن رسول الله ﷺ أنه سمع الشعر، لا يدل على أباحة الغناء، فإن الشعر كلام منظوم وغيره منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح، وإنما يصير غناء بالألحان، وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفة والمشبب استحضروا أقوالًا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه.

ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها، فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع بعض المتأخرين على ذلك. وكثيرًا ما يغلط الناس في هذا، وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين. وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله ﷺ وهديهم أشبه بهدي رسول الله ﷺ وكثير من الفقراء يتسمح عند قراء القرآن بأشياء من غير غلبة[١].

---

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي ص ١٨٨- ١٨٩ ط دار الكتاب العربي بيروت.

أنشد ابن البنا السرقسطي:

وليس يحتاج إلى السماع   إلا أخو الضعف القصير الباع
والزعقات فيه والتمزيق   ضعف وهز الرأس والتصفيق[(١)]

وهناك بدع أخرى اختص بها المتصوفة أو هم الذين اخترعوها **وأحدثوها** وأوجدوها **وابتدعوها**، فمنها أورادهم وأذكارهم التي لم ترد، لا في كتاب ربنا، ولا سنة نبينا **صلوات** الله وسلامه عليه، وكذلك حِلَقُ الذِّكْرِ وآدابها والشرائط التي اشترطوها، **وفضائلها** المزيفة، ومناقبها المزوّرة.

ومن المعلوم أن أفضل الذكر **لا إله إلا الله**، كما قاله رسول الله ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شئ قدير»[(٢)].

وهناك أذكار أخرى وردت عن رسول الله ﷺ وذكرت عنه، ورويت في كتب السنة، وتلقتها الأمة بالقبول، وعلى رأسها أصحاب رسول الله ﷺ فذكروا الله بتلك الأذكار المخصوصة في أوقات معلومة عملًا بقول الله عز وجل:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(٣)].

وقوله تعالى:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[(٤)].

---

(١) «المباحث الأصلية» للسرقسطي ص ١٩٥-١٩٦ ضمن «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني.

(٢) رواه مالك في «الموطأ».

(٣) سورة الرعد الآية ٢٨

(٤) سورة البقرة الآية ١٥٢

وقوله تعالى:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام مبلغًا عن **رب العزة**:

«أنا عند ظن عبدي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه؛ ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملأ؛ ذكرته في ملأ خير منه. وإن اقترب إليَّ شبرًا؛ اقتربت منه ذراعًا. وإن اقترب إليَّ ذراعًا؛ اقتربت إليه باعًا. وإن أتاني مشيًا؛ أتيته هرولة»[٣].

وإن الأذكار والأوراد سبب قربة الله ورضائه ورضوانه، ولا يتقرب الإنسان إلى ربه بمثل ما يتقرب إليه بتلك الطريقة التي سلكها رسول الله ﷺ وبالألفاظ والكلمات والصيغ التي تلفَّظ بها عليه الصلاة والسلام ولقَّن بها تلامذته الراشدين ورفاقه المهديين؛ لأن على تلك الألفاظ الكلمات والصيغ مسحة من مسحات الوحي، ونفحة من نفحات الرب؛ لأن رسول الله ﷺ لم ينطق إلا بما يوحى إليه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٤].

فلا تكون الكلمات أرضى لله وأحب إليه من تلك الكلمات التي اختارها هو -سبحانه وتعالى- لإلقائها إلى نبيه وصفيه ليدعو بها، ويتقرب إليه، ويبتغي مرضاته؛ فعلى ذلك لم يقبل توبة آدم إلا بتلك الكلمات التي ألقاها إليه هو نفسه جل جلاله وعم نواله، كما ذكر في محكم كتابه:

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤١ .

(٢) سورة الجمعة الآية ١٠

(٣) رواه البخاري.

(٤) سورة النجم الآية ٣-٤ .

(٥) سورة البقرة الآية ٣٧

أما كلمات الآخرين وكلامهم، فمن يدري أنها تصل إلى جنابه، وتجد القبول عنده أم لا. وفي استعمالها وصياغتها نوع من الازدراء والاستهجان والاستسخار بتلك الكلمات التي دعا بها نبي الرب ربَّه، أو ذكره بها. حيث ظن المخترع والمبتدع بأن أذكاره وأوراده التي ركَّبها من عند نفسه هي أحسن وأجمل وألطف وأسرع وصولًا إلى الله من تلك الكلمات الربانية التي أوحى الله بها إلى صفيِّه ونجيِّه أتقى الناس، وأخشاهم لله، وأعلمهم به وما يرضيه، وأفصح العرب ومن نطق بالضاد، وأبلغ الخلائق وأعرفهم بمدلولات الألفاظ ومنطوقات الحروف والكلمات، فترك ألفاظ وكلماته وصيغه في الذكر والدعاء على تكذيبه فيما يقوله ويبينه من المزية والفضيلة لذكر دون ذكر، ومخالفته وشقاقه ومعصيته، وتشريع جديد مع إقرار ختم النبوة به، وكمال الدين وإتمام النعمة عليه.

وأنَّى لأحد من الأمة هذا الخيار في حق من قال:

«لو كان موسى حيًا، لما وسعه إلا اتباعي»[(١)].

فالمتأدب والمتبع لا يخطو إلا على خطواته، ولا يقفو إلا أثره، ولا يمشي إلا خلفه، لا يتقدم بين يديه، ولا يرفع صوته فوق صوته، ولا يجهر له بالقول خوفًا من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، فكلامه حق، وأمره مسلم، وقضاؤه محكم، وإرشاده ملزم، فلا ذكر أفضل من ذكره، ولا دعاء أحسن من دعائه، ولا التسبيح ألطف من تسبيحه، ولا التحميد أروع من تحميده، فلا طريقة، ولا سنة دون سننه، ولا ورد غير ورده، ولا صلاة ولا سلام أفضل من صلاته التي نطق بهما وعلَّمها أصحابَه.

وإن توظيف الوظائف والأوراد من حقه واختصاصه كما صرح بذلك الصوفي المشهور وشيخ الطريقة المشهورة أبو الحسن الشاذلي، كما نقل عنه

---

(١) «جامع الأصول في الأولياء» لأحمد «الكمشخانوي» ص ٤٢، أيضًا «المدرسة الشاذلية وإمامها «أبو الحسن الشاذلي»» للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٨ ط دار الكتب الحديثة القاهرة واللفظ له.

الكمشخانوي، فقال: (دخل رجل على أستاذي عبد السلام بن مشيش) **فقال له: وظف لي وظائف وأورادًا. فغضب الشيخ منه، وقال له: أرسول أنا أُوجب الواجبات**[١].

وبذلك قال ابن زروق في «قواعده»: **تحديد ما لم يرد في الشرع تحديده** ابتداع في الدين، فإن رسول ﷺ **قد حدد كل شيء، ولا** يجوز التجاوز **عنه**[٢].

ولكن الصوفية يخالفون رسول الله في هذا، كما يخالفونه وأوامر ربه في **أشياء أخرى عديدة، فاختلقوا أورادًا**، واخترعوا وظائف، وبينوا لها ثوابًا من عند أنفسهم كأنهم مشرعون، والموحى إليهم، وأنشئوا لها هيئات، وأحدثوا لها آدابًا، وأوجدوا لها حِلَقًا كأنهم علموا شيئًا لم يعلمه رسول الله ﷺ أو علمه فكتمه ولم يخبر أحدًا من أصحابه؛ فجاء هؤلاء، فأخبروا الناس به، وهذه أمثلة لذلك، فيقول با يزيد الأنصاري المتوفى ٩٨٠ هـ وهو يقسم الذكر إلى أقسام، فيقول: أما ذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهو ذكر اللسان، وهو يجوز في الشريعة، وذكر لا إله إلا الله هو ذكر القلب، وهو يجوز في الطريقة، وذكر إلا الله هو ذكر الروح وترك الظن، وهو يجوز في الحقيقة، وذكر الله هو ذكر السر، وهو يجوز في المعرفة، وذكر هو هو ذكر الغيب، وهو يجوز في القربة، وذكر لا إله إلا أنت هو ذكر غيب الغيب، وهو يجوز في الوصلة، والاسم الأعظم هو ذكر المذكور، وهو يجوز في الوحدة[٣].

والشيخ نور الدين البرفكاني حدد ذكر لفظ الجلالة تحديدًا غير وارد في

---

(١) «جامع الأصول في الأولياء»، لأحمد «الكمشخانوي» ص ٤٢، أيضًا «المدرسة الشاذلية» وإمامها «أبو الحسن الشاذلي»، للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٨ ط دار الكتب الحديثة، القاهرة، واللفظ له.

(٢) «قواعد التصوف» لأبي العباس أحمد بن زروق ص ٥٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية مصر.

(٣) «مقصود المؤمنين لبا يزيد الأنصاري» ص ٣٠٦ ط إسلام أباد باكستان.

الشرع، فقال: ليواظب المريد على ورد لا إله إلا الله مائة مرة مع حضور القلب باستحضار معناها وتغميض العينين، وملاحظة أنه بمرأى من الله تعالى، وأنه يراه ويقول: الله الله مائة مرة صباحًا ومساءً[1].

وحكوا عن الشبلي أنه قيل له: لِمَ تقول: الله؟ ولا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: أستحي أن أوجه إثباتًا بعد نفي... أخشى أن أوخذ في كلمة الجحود، ولا أصل كلمة الإقرار[2].

وفي ذلك قال شيخ الإسلام: إن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تامًّا مفيدًا مثل لا إله إلى الله، ومثل الله أكبر، ومثل سبحان الله، والحمد لله، ومثل: لا حول ولا وقوة إلا بالله.

فأما الاسم المفرد مظهرًا، مثل: الله، الله، أو مضمرًا مثل: هو، هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم،. وإنما نهج به قوم من ضلال المتأخرين...

وربما غلا بعضهم في ذلك حتى جعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة، وذكر الكلمة للمحققين، وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعة على الله الله الله، أو على هو، أو يا هو، أو لا هو إلا هو[3].

ويقول في موضع آخر: أما ذكر الاسم المفرد، فبدعة لم يشرع، وليس هو بكلام يعقل، ولا فيه إيمان... ومن العجب أن الصوفية يقولون: ذكر العامة لا إله إلا الله، وذكر الخاصة الله الله، وذكر خاصة الخاصة هو هو. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:

«أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

---

(١) «اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البرفكاني» لعبد الوهاب محمد أمين ط مطبعة الجمهور الموصل.

(٢) انظر «شطحات الصوفية» للدكتور بدوي ص ٤٤ ط الكويت.

(٣) «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ج ١٠ ص ٥٥٦ .

وفي حديث آخر: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**». **والأحاديث في هذا** المعنى كثيرة[١].

هذا، ويقول الصوفي المشهور عبد الغني **الرافعي: وأجمعوا على أنه** ينبغي للمريد إذا ذكر الله تعالى أن يهتز من **فوق رأسه إلى أسفل قدميه**، وهذه حالة يستدل بها على أنه صاحب **همة، ويرجى له الفتح** عن قريب، ويبتدئ **بلا إله من جهة اليمين، وإلا الله من جهة الشمال**، ويخيط بإلا على القلب، **وإذا ذكر بالأسماء الستة الباقية ضرب** بذقنه على صدره، ويخيط بالاسم على القلب، **ولا يميل يمينًا ولا شمالًا**[٢].

ويقول الصوفي الهندي إمداد الله الجشني: على المريد أن يتصور مثال محمد ﷺ في قلبه، ويوجه رأسه إلى اليمين، ثم يقول: يا أحمد. ثم يتوجه لليسار ويقول: يا محمد. ثم يقول: يا رسول الله. ويضرب ذقنه على صدره[٣].

وابن الحاج التِّلِمْسَانِيّ المغربي المتوفى ٧٣٧هـ قد ذكر خواص بعض أسماء الله الحسنى في كتابه شموس الأنوار وذكر شروطًا وطرقًا، آدابًا وسننًا، أنوارًا وأسرارًا، علومًا وتصوفات، نتائج وثمرات، وحكمًا وإشارات من عند نفسه، لا يقوم لها برهان من الكتاب والسنة، فيقول: اسمه تعالى الله الحي القيوم، من داوم على ذكره كل يوم عدد الأعداد الواقعة عليه إلى أن يغلب عليه منه حال الأسماء بعد الطهارة الكاملة والشروط التي منها:

الأول: من الشروط أن يكون الإنسان في خلوة بعيدة عن العمارة.

والثاني: أن يكون لباسه حلالًا. **الثالث**: أن يكون طعامه حلالًا.

الرابع: أن يكون صائمًا.

---

(١) أيضًا ج ١٠ ص ٣٩٦

(٢) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٤٣ مطبعة شرف موسى مصر ١٣٠١هـ.

(٣) «ضياء القلوب» لإمداد الله الجشتي ص ٣٤ ط مطبع مجتبائي دهلي الهند.

الخامس: أن لا يأكل إلا قليلًا من الطعام، فإن حاد عن هذا النمط؛ فسد.

السادس: أن يغتسل كل يوم.

السابع: أن لا يأكل ما فيه روح. **والثامن**: أن لا ينام إلا عن غلبة.

التاسع: أن لا يشتغل إلا بذلك. **العاشر**: أن لا يجلس إلا على حصًى، أو تراب، وهو مستقبل القبلة.

الحادي عشر: أن يكون خاضع الرأس. **الثاني عشر**: أن ينوي العبودية لله، ولا ينوي بها كشف الحجاب.

الثالث عشر: مهما انتقض وضوءه أعاده.

الرابع عشر: إن وجد أن يبخر كل ليلة جمعة أو ليلة الإثنين أو يوم الخميس بالبخور الطيب، وكذلك يوم الإثنين ويوم الجمعة عند الزوال؛ فإن الأرواح العلوية الذين يردون عليه يحبون الرائحة الطيبة. **الخامس عشر**: أن لا يتكلم مع أحد في تلك المدة.

السادس عشر: أن يباشر كل ما يحتاجه بيده.

السابع عشر: أن يكثر من البكاء والندامة.

الثامن عشر: أن لا يلبس ثيابًا رفيعة في تلك المدة.

التاسع عشر: أن يكون لباسه أبيض لا سواد فيه.

وفي عشرين: أن يكون على يقين أن الله تعالى يستجيب له.

فاعرف قدر هذه الشروط، فإنك لا تجنيها من ديوان، ولا من أحد من الأعيان، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

ولنرجع إلى ما نحن بسبيله من الأسماء، أعني اسم الجلالة؛ وهو اسمه تعالى الحي القيوم. إذا وصل السالك بهذه الأسماء المقامات العلية في الحال وامتزج الذكر مع عوالمه الحسية سمع الهواتف يخاطبونه من كل جهة بكل لغة عجيبة وأقوال قدسية لحينئذ يترك اسمين في هذا الذكر ويبقى ذاكرًا ليلًا ونهارًا اسمه تعالى القيوم فقط، ثم يذهب عنه النوم وهو في سلوكه قد امتد بالقوة الصمدانية، فإنه يسمع الهاتف الرباني يخاطبه بقوله: فامنن أو أمسك بغير

حساب. ثم تتقدم بين يديه الأكوان قائلة له: نحن بأمر الله عند أمرك؛ فافعل بنا ما شئت، وخذ ما شئت؛ فهذا المقام مقام القطب الفرد الذي به يرزق الله ويعطي ويمنح لأهل الدنيا، وقد يمتد من أنواره وعلومه الوتد الذي هو قائم بإقليم من أقاليم الدنيا.

فاعرف قدر هذه الأسماء، فلا شك أنها اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

فضل اسمه تعالى القدوس: من داوم عليه بالشروط المتقدمة إلى أن يغلب عليه منه حال؛ شاهد أنوارًا تخرج من فيه، وسمع صرير القلم، وفهم لغة العالم العلوي، وهو مقام الأوتاد من أهل الدائرة الربانية. فإذا شاهد هذه الحالة، فليقطع ذلك الذكر، وليشرع في اسم الجلالة وهو الله الله، فإنه يثبت في تلك المرتبة.

فضل اسمه تعالى السريع: من داوم عليه بالشروط المعلومة إلى أن يغلب عليه حال، شاهد عالم الملكوت، وكان مجاب الدعوة في كل أمر يحضر له، ويكشف له عن عالم الروحانية، فيسألهم عن كل خير يريده.

فضل اسمه تعالى الوهاب: من داوم عليه كما رسمناه في أول الكتاب إلى أن يغلب عليه حال، خدمته الرُّوحانية وملوك الجن، وتبعته الدنيا بحذافيرها، وهو مقام العطاء، فليعامل خلقه بهذه الصفة، ولا يحتقر وضيعهم ولا رفيعهم، وهذه المرتبة مقام النجباء أهل الكمال.

فضل اسمه تعالى الجواد: من داوم عليه إلى أن يغلب عليه منه حال، انفعلت له المكونات بأسرها، ثم يتشكل بكل رهط أراد، فإنه مقام البدلاء، ولا يفتر عن ذلك الذكر إلى أن يأتيه اليقين.

فضل اسمه تعالى الكافي المغني: من داوم عليهما بلا فتور إلى أن يغلب عليه منهما حال، وامتزجت الأذكار مع عوالمه الحسية، شاهد حسن الألوهية حتى إنه لو حبس السالك التراب بيده، وذكر عليه تلك الأذكار، لصار ذهبًا في أسرع وقت، وهو مقام الأخيار من أهل الدائرة.

فضل اسمه تعالى ذي الجلال والإكرام: من داوم عليه بالشروط المتقدمة

إلى أن يصير مغلوبًا في الحال، وامتزج الاسم الأعظم مع عوالمه الحسية، شاهد أسرارًا لا يمكن التعبير عن ماهيته، حتى إن صاحبه إذا أراد أمرًا من الأمور يكون في أسرع وقت، ولولا مخافة أن يقع هذا الكتاب في يد من لا يستحقه من أهل الضلالة والمعصية، لتكلمت على هذا الاسم، وجعلت خواصَّهُ وفوائده كُلَّها مرسومة هنا؛ لينتفع بها كل داخل وارد لهذا الكتاب، فهو الاسم الأعظم الذي له السفينة تجري والطيور تجيبك، فإن دعوتها حضرت بين يديك، وكذلك كل مكون من المكونات.

فضل اسمه تعالى الخبير: من داوم عليه بالشروط المذكورة إلى أن يمتزج الذكر مع عوالمه، صار صاحب كشف إيماني، وأخبر بما في الظاهر والباطن، وكذا الذكر يليق بأهل المكاشفة من أهل الله.

فضل اسمه تعالى العزيز: من داوم عليه بالشروط المذكورة إلى أن يغلب عليه حال منه، تسخر له العالم العلوي والسفلي، وجمع الله شمله بما يريد، حتى إن ذاكره لو أراد أن يشير إلى جبل لانفتح، أو حائط كذلك، وهو ذكر النقباء من أهل الدائرة.

فضل اسمه تعالى المقتدر القادر: إذ داوم عليهما السالك بعلوِّ هِمَّةٍ على الشروط المعدودة إلى أن يغلب عليه منهما حال، قلَّده الله بثوب الغلبة والنقمة، حتى إنه لو نظر إلى طير في جَوِّ السماء بأقل نظرة كأنه مرميٌّ بسهم، أو قرُب إليه أحدٌ من الخلق بضر، أخذ لوقته، وهذا الذكر هو لأرباب القبض من أهل الدائرة، فافهم.

فضل اسمه تعالى الكبير: من داوم عليه بالشروط المذكورة إلى يغلب عليه منه حال، ارتقى في درجة الخلافة الربانية المعلومة لأهل الحضرة الصمدانية، وقد أتيت هنا في هذا الباب بفتح رباني؛ فعليك أيها الراغب بالاجتهاد، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

---

(١) «شموس الأنوار وكنوز الأسرار» لابن الحاج التلمساني ص ١٢٨ وما بعد ط مصطفى البابي ١٣٥٧هـ .

وكذلك ذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب في روضته **طرق التقرب إلى** أسماء **الله الحسنى**، وشروط التقرب وآدابه وأسرار **هذه الأسماء، فيقول**: اسمه الحق، وهو الواجب بذاته، والتقرب إليه **به أن يرد إليه** الأشياء من صوت ونطق وحركة... وشرطه أن **لا يأكل من الأسباب، ومجاهدته** الصمت. واسمه الودود، والقرب **إليه باستدامة الجوع** والخلوة. واسمه **الشهيد، ومعناه راجع إلى العلم. والمتقرب إليه** به يلزم التجوعات والرياضة، **والخشوع والمراقبة، وملازمة اسمه الشهيد**، وتبدو له المحاضرة، ثم **المكاشفة، ثم المشاهدة**[(١)].

ويقول أحمد بن علي البوني المتوفى ٦٢٢هـ: وأما اسمه تعالى الفتاح العليم، فخواصهما تقرب من الاسمين المتقدمين، وهو من أراد الوصول إلى علم الحقيقة، فليأخذ بشروطهما، وليداوم على هذين الاسمين الشريفين عقب أوراده التي اعتادها بعد الصلوات الخمس؛ **فلا يمضي عليه أربعون يومًا إلا** فتح الله عليه بالفتح الغيبي الذي **لا يطلع عليه أحد إلا الأولياء** أرباب المقامات والأحوال[(٢)].

هذا، وقد وضع الصوفية صيغًا وكلمات لصلاة الحاجة مخالفين فيها الصيغ والألفاظ التي وردت في الحديث؛ حيث قال رسول الله ﷺ:

«من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ، وليحسن الوضوء، ثم ليصلِّ ركعتين، ثم ليثنِ على الله، وليصلِّ على النبي ﷺ ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش الكريم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بِرٍّ، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرَّجته، ولا حاجة هي لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»[(٣)].

---

(١) «روضة التعريف» للسان الدين بن الخطيب ص ٣٠٧ ط دار الفكر العربي.

(٢) «الأصول والضوابط المحكمة» للبوني ص ٤٥ ضمن «منبع أصول الحكمة» ط مصطفى البابي الطبعة الأخيرة.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

ولكن الصوفية يقولون: من كانت له إلى الله حاجة، فليصلِّ ركعات يقرأ في الأولى: الفاتحة وسورة الإخلاص عشر مرات، وفي الثانية: الفاتحة وسورة الإخلاص عشرين مرة، وفي الثالثة: الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثين، وفي الرابعة: الفاتحة وسورة الإخلاص أربعين. وبعد الفراغ يقول: اللهم، بنورك وجلالك، وبحق هذا الاسم الأعظم وبحق نبيك محمد ﷺ أسألك أن تقضي حاجتي وتبلغني سؤلي وأملي. ويدعو بهذا الدعاء، يستجاب له؛ وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم الله الله الله لا إله إلا الله الأحد الصمد الله الله الله لا إله الله بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام. اللهم، إني أسألك بحق أسمائك المطهرات المعروفات المكرومات المقدسات التي هي نور على نور، ونور فوق نور، ونور في السماوات والأرض، وأسألك بنورك العزيز العظيم، وبنور وجهك الكريم، وبقوة سلطانك المبين وجبروتك المتين، الحمد لله الذي لا إله إلا هو بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام. يا الله يا الله يا الله، يا رب يا رب يا رب، يا رباه يا رباه يا رباه، اغفر لي ذنوبي، وانصرني على أعدائي، واقض حوائجي في الدنيا والآخرة، ووالدي وجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(١).

وكذلك ابتدعوا أحزابًا سبعة، ووزعوها على أيام الأسبوع، يكررها الصوفية معرضين عن الأوراد والأذكار المأثورة الواردة في كتب السنة النبوية، واخترعوا لها فضائل ومناقب، منها ما ذكروا في فضائل الحزب الخامس في يوم الجمعة، فقالوا بعد ذكر ألفاظ الذكر: من قرأه مرة واحدة، كتب الله له ثواب حجة مقبولة، وثواب من أعتق رقبة من ولد إسماعيل -عليه السلام- فيقول الله تعالى: يا ملائكتي، هذا عبد من عبادي أكثر الصلاة على حبيبي محمد، فوعزتي وجلالي ووجودي ومجدي وارتفاعي، لأُعْطِيَنَّهُ بكل حرف صلّى قصرًا في الجنة، وليأتيني يوم القيامة تحت لواء الحمد، نور وجهه

---

(١) «الفوائد في الصلات والعوائد» لشهاب الدين حمد بن عبد اللطيف الشرجي ص ٥٥ ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

كالقمر ليلة البدر، وكفه في كف حبيبي محمد، هذا لمن **قالها كل يوم جمعة له هذا الفصل**، والله ذو الفضل العظيم[١].

وهناك اسم الله الأعظم ذكره أبو العباس أحمد بن **علي البوني المتوفى ٦٢٢هـ**، وبيَّن طريقة استعماله، وفيها ألفاظ وكلمات ليس **لها معنى ولا مفهوم، ولا** ينطق بها أحد من الناس، فلا ندري هي **لغة الجن أو لغة السحر والكهانة**، يستخدمها الصوفية **للتقرب إلى الله -عز وجل-وعياذًا بالله -عز وجل-** وعياذًا به تعالى من هذا الهذيان **فيقول البوني: اسم الله الأعظم الذي لا يوفق** لاستعماله إلا من سبق له العناية هو الله، **وله من الحروف** (ج ب أ و) وللجيم جينج اسم هوائي. والباء بكمد اسم ترابي. وللألف أهلل اسم ناري. وللواو وكيل اسم مائي.

وكيفية الذكر بهذه الأسماء أن تتلوا في الثلث الأخير من الليل هذه الأسماء الأربعة ستة آلاف وستمائة وستًّا وستين مرة، ثم ركعتين، وبعد السلام تقرأ:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ . . . الآية، سبعين مرة وتقول: أستغفر الله العظيم سبعين مرة، وتذكر البسملة سبعمائة وستًّا وثمانين مرة، ثم تقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وسلم مائة واثنتين وثلاثين مرة، وتقول: الله الجليل القديم الأولي أربعمائة وثمانيًا وثمانين مرة، ثم بعد صلاة الصبح تستغفر الله سبعين مرة، وتذكر البسملة سبعين مرة، تصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ثم تقول: اللهم أهلل بكمد جينج وكيل الله يا مور شطيئا يا طهوج يا مبططروش أجب يا زهزيائيل وأنت يا أهدكيل بحق الهاء الدائر، اللهم يا من هو أحون قاف آدم حم هاء آمين سبعين مرة، ونكتب هذا الخاتم وقت شروق الشمس وهذه صفته:

باجنج بانبطروش

١ 888	٨ ٣٣٣٦	٣ ١٦٦٦٨
٥ 8٢٧٧		٧ ٣٨٩١
٦ ٣٣٣٦	٤ ٠٢٥	٢ ١١١٥

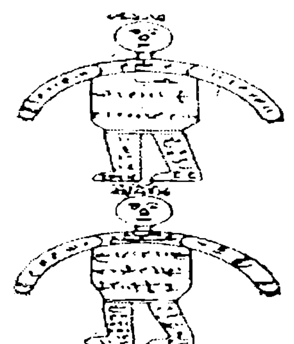
---

(١) انظر «دلائل الخيرات» ص ١١٢-١١٣ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٤٦هـ.

وتحمله معك، ثم إذا عرض لك أمر وأردت قضاءه فاكتب الخاتم، وأدخل مقصودك في الخانة الخالية منه. ثم قل عليه: يا جينج يا بكمد يا أهلل يا وكيل ٦٦٦٦مرة فإنك تجاب في أسرع وقت[١].

وأيضًا الوظيفة التي ذكرها لقضاء المهمات وتسيير الأمور، وهذه ألفاظها: اللهم إني أسالك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك، وبأنواع أجناس رقوم نقوش أنوارك، وبعزيز إعزاز عز عزتك، وبحول طول جول شديد قوتك، وبقدرة مقدار أقدار قدرتك، وبتأييد تحميد وتمجيد عظمتك، وبسمو نمو علو رفعتك، وبقيوم ديوم دوام رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج رهيج نور ذاتك، وببهر جهر قهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير تيار أمواج بحرك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين وبرازيخ كرسيك، وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك، وبالأملاك الروحانيين المدبرين لكواكب أفلاك، وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك، وبحرقات زفرات خضعات الخائفين من سطوتك، وآمال أقوال المجتهدين في مرضاتك، وبتحمد تمجد تهجد تجلد العابدين على طاعتك، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مغيث أطمس بطلسم[٢].

وقد ذكر الشيخ علي بن محمد الطندتائي في رسالته وظيفة محتوية على كلمات غريبة على اللغة العربية، وصور شخصين، وكتب عليهما أحرفًا ورموزًا لا معنى لها، نثبت هنا كل ذلك، فيقول:



(١) شرح الجلجلوتية الكبرى لأبي العباس أحمد بن علي البوني ص ١١٠ ط مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة الأخيرة.

(٢) «منبع أصول الحكمة» للبوني ص ١١١ ط مصطفى البابي مصر.

وإذا أردت جلب الهارب والسارق فقص شخصين من ورق، واكتب على شخص المطلوب هكذا: أبارخ ٢ يورخ أنوش ٢ صورخ بارخ ٣ باروخ ٢. كسر

٥٥٢٥٢

ا ن و س ل ك ق د و ج ب

وعلى شخص الطالب هكذا:

جالوش عبروش عراش جواش هيهوش

فهروش شلموش يعروش يعروش يعوش

د في ر.

أ ٥٥٢٥٨

ثم اجعل وجه الطالب على وجه المطلوب

وعلقهما في سبية واقرأ عليهما هذه الأسماء.

أية بقطريال جليش دميال هططوش وهيم زنقطا حدابة طغيال ٤٥ مرة، ثم العهد القديم ٧مرات، فإذا أحسست بثقل في عضو من أعضائك فهي علامة الإجابة، وإلا فكرر سبعة ثانيًا أو ثالثة، وهكذا إلى تمام ٤٩ مرة، فإن المقصود يتم لا محالة بإذن الله تعالى والبخور: لبان ذكر، وكزبرة وجماجم تمر حنا[١].

اخترع الصوفية هذه الألفاظ الغريبة، وزعموا أن للحروف أسرارًا ورموزًا وإضمارات وطبائع وإشارات، متأثرين في ذلك بالعلوم السحرية الطلسمية فيها كفر وضلال، وقال تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٢].

(١) «الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية» للشيخ على بن محمد الطندتائي ص ٣١ ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٠هـ.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

والصوفية اشتغلوا بترديد الكلمات السحرية الكفرية على ألسنتهم، وألفوا في ذلك كتبًا ورسائل ذكروا فيها أسرار الحروف ورموزها، فنثبت هنا الجدول الذي هو أساس للأوراد الصوفية ووظائفهم:

أول الحروف حرف الألف وخادمه الرئيس الأكبر رئيس **ملائكة الحروف**: **هَطْمَهْطَلْقِيائيل** وإضماره: هَذهيون شَلْهميدِ طَمْخَلَلَشِ بُهْلَميلخ.

حرب الباء وخادمه الملك جَرَمْهَيَائيل، وإضماره: كَشَمْشَخ هَيْلَخ مَهَلْشَطِ.

حرف الجيم وخادمه الملك طلقطيائيل، وإضماره: هَذْمَخ هَلشلَخخ.

حرف **الدال وخادمه الملك سكمهيائيل** وإضماره: هَلْطَفِ مهللخ شوييد شئلطط.

حرف الهاء وخادمه الملك **عَفْرَيائيل وإضماره مَهْدَدُوة شَلْتَمُوخ بَرَاخ**.

حرف الزاي وخادمه الملك علمشيائيل وإضماره: معدوش هطاطم مهط.

حرف الحاء وخادمه الملك طفيائيل وإضماره: دهليخ كمشلاطخ.

حرف الطاء وخادمه الملك عصطيائيل وإضماره: شمهط مبلشخ ملخش طمه.

حرف الياء وخادمه الملك هردقيل وإضماره دمغيغ هلهفِ شوييدخ.

حرف الكاف وخادمه الملك شمهيائيل وإضماره: شفر ود هميطا خطش.

حرف اللام وخادمه الملك طهطيائيل وإضماره: غغيط طهمش خلشدم.

حرف الميم وخادمه الملك شراخيل وإضماره: حجمشط كتياط مدمخ.

حرف النون وخادمه الملك صعريائيل وإضماره: شغيغ دلحم بهيط.

حرف السين وخادمه الملك هطغيل وإضماره: مسطع عطلد خييم علطل.

حرف العين وخادمه الملك شرهيل وإضماره: لخطم عديف أرزد.

حرف الفاء وخادمه الملك شطاطيل وإضماره: كبطم رزطش هخيط.

حرف الصاد وخادمه الملك هردبال وإضماره: شروخ همش.

حرف القاف وخادمه الملك عزقيل وإضماره: غدغص طلحياش.

حرف الراء وخادمه الملك دهرابيل وإضماره: عللطف علميخ دبعوم.

حرف الشين وخادمه الملك خرديائيل وإضماره: شظيف كهييل.

حرف الخاء وخادمه الملك خمليل وإضماره **عمطيار** واكش راكش **دهويط**.

حرف الذال وخادمه الملك رفعيائيل وإضماره: **عللمهص صهدع شهلط**.

حرف الضاد وخادمه الملك رفعيائيل **وإضماره: يوخ روخ أموش طملشيط** عبصوع.

حرف الظاء وخادمه الملك طرخبائيل وإضماره هميطيواش معد مشط.

حرف الغين وخادمه الملك سلكفيل وإضماره أشعطلف هيوط شططف **كلكفف**[1].

كما أنهم وضعوا وظائف مختلفة للتأليف والتفريق وقضاء حوائج الناس وما يحتاج إليه الإنسان في كل وقت، وللتسخير، وإلقاء البغضاء والفرقة، وخراب الأمكنة والدور، وتسليط العذاب على الأعداء، وجلب الغائب، وتغييب الحاضر، وغيرها من الأمور السحرية الطلسمية، فتعاهدوا الأربعينات وغيرها، واعتزلوا في الخلوات والجبال للحصول على أسرار الحروف، ولتسخير الأرواح والملائكة، فيقول الشيخ محمد الشافعي الخلوتي: إذا أردت ألفة بين اثنين مثلًا أو فرقة أو غير ذلك، فابدأ بعون الله باسم ملك أرضي، ثم المطلوب، ثم الطالب أحرفًا متفرقة... واعلم أن ذلك الملك يصير ملازمًا لذلك الشخص مستحوذًا عليه لا يفارقه أبدًا من محبة وعقد شهوة ومرض عضو مخصوص وإبطاله، ولو وكلته بنقل الجبال لنقلها، وبالبحار لنسفها، فإنه عمل صحيح معمول به لا يتغير ولا يتبدل...

ثم يقول بعد ذكره: إني كشفت لك السر المكتوم عن كثير من الناس، لا يصل إليه إلا آحاد العلماء الراسخون وأفراد الحكماء الحاذقون[2].

وأما على أبو حي الله المرزوقي صاحب الجواهر اللماعة، فأيضًا أورد في

---

(١) «منبع أصول الحكمة» ص ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) السر المظروف في علم بسط الحروف للشيخ محمد الشافعي ص ٤٥ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٠هـ.

كتابه أورادًا نادى فيها أسماء لم ينزل الله بها من سلطان، **فطلب منها** قضاء الحاجة والشفاء والنصر وغيرها، **فيقول**: تصوم لله سبعة أيام برياضة تامة... وتقول: اللهم إني أسألك يا لهيوش **ويا طهيوش ويا** يوش ويا **فهليوش** أسألك **اللهم بحق هذه** الأسماء والأسرار التي **ألقيتها في قلب نبيك محمد ﷺ وكسيته من جلال لطفك**، وهديته بطهارة قدسك أن تسخر لي روحانية خدام اسمك **اللطيف المبارك العلوية** والسفلية، يكونون عونًا لي على ما أريد وهو كذا وكذا، **أجب يا عبد اللطيف وأنت** يا شعاع يا شعضوض بحق ما تعرفونه من سر هذا الاسم **اللطيف وشريف عمله الأعظم** وذكر جلاله، ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، اقضوا حاجتي وامتثلوا مرضاتي وأسعفوني بالطاعة لخدمة الله والرسول، وائتوني من مال الله الذي مع خلق الله، بحقك يا الله يا لطيف إني أسألك بلام لطفك من لطفك، وطاء طولك، وياء يقظتك، وتاء فردانيتك، أسألك أن تسخر لي سرًا من سرك، ونورًا من نورك، ولطفًا من لطفك، وهيبة من هيبتك تسخر لي بها جميع خلقك وتخضع لي قلوبهم بالألفة والمودة، وتودع في قلوبهم محبتي سرًا ونورًا وبهجة، أجب يا عبد اللطيف و يا عبد الطالب ويا عبد البارئ ويا عبد الفتاح ويا شعاع ويا نور ويا صالح ويا شعضوض ويا حفيال[1].

فهل هذه هي الأوراد والوظائف التي قالوا فيها: وحكم أوراد السلف حكم الفرائض؛ لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذور فيجب إعادتها كالفريضة[2].

هذا، وذكر أحمد الرفاعي في مجالسه أورادًا وأدعية فيها كلمات فلسفية مغلقة مثل: يا كافي المهمات، يا رب الأرض والسماوات أسالك بالحقيقة المحمدية، وبما انطوى في مضمونها من عظائم الأسرار الربانية، بالميم

---

(١) «الجواهر اللماعة لعلي المرزوقي» ص ٥٤ ط مصطفى البابي الطبعة الأخيرة ١٣٦٠هـ.

(٢) «الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني» لمحمد بن عبد الله بن حسنين ص ٦٥ ط مصطفى البابي الحلبي مصر.

المتدالي ببحبوحة ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ مادة المظاهر الطالعة والمشارق **اللامعة**، ميزاب الفيوضات الهاطلة، منبع العوارف **المتواصلة**، ماهية المعرفة **المطلوبة**، محراب البداية الإبداعية، منير بيت **النهاية والإمكانية**.

وأسألك اللهم بحاء الحسن الأعم **والمحد الأتم، حد النهايات الصاعدة** في أدراج السمو الملكوتي **حيطة الغايات المتقلبة على** بساط الإحسان **الرحموتي**.

وأسألك اللهم بميم المدد المعقود على مجمل أسرار الوجود... أسألك اللهم بالنور **اللامع والقمر** الساطع والبدر الطالع والفيض الهامع والمدد الواسع نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، وسر أسرار الألف القطبانية[١]. إلى آخر الهذيان.

وعبد السلام الأسمر الفيتوري أيضًا قد حشد كتابه بوظائف وأحزاب موضوعة، وسماها بالحزب الكبير وحزب الخوف وحزب الفلاح ووظيفة الحضرة، ثم قال بعد ذكر هذه الأحزاب: إخواني، فعليكم بحفظ هذه الأحزاب وتلاوتها على الدوام إن قدرتم. إخواني، والصواب أن تقرئوها جماعة في كل يوم بعد صلاة العصر استحبابًا، وقد جرى الأمر والعمل بذلك على أيدي المتصوفة وصالحي الأمة كالشاذلي وتلامذته وغيرهم[٢].

ولكل طائفة أذكار وأوراد مختصة بها، سنذكر نبذة منها عند بيان الطرق الصوفية - إن شاء الله- في كتاب مستقل، ونكتفي بهذا القدر من نماذج الذكر الصوفي ونعرض الجانب عن الكثير الكثير الذي هو منثور في كتبهم ومؤلفاتهم.

هذا، وإن الصوفية يدّعون أحيانًا أن هذه الأذكار والأوراد والوظائف

---

(١) «المجالس الرفاعية» لأحمد الرفاعي المجلس الثاني ص ٤٦ وما بعد ط مطبعة الإرشاد بغداد.

(٢) انظر «الوصية الكبرى» لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص ٩٧ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

والأحزاب قد تعلموها من علي ﷺ كما ذكر ذلك الجعلي الفضلي عن حسن ابن حسونة أنه قال: اختليت في باعوضة للذكر والعبادة، فجاءني علي فلقنني الذكر[١].

وأحيانًا يدعون تلقنها من الخضر، كما يحكي شهاب الدين الشرجي اليمني عن بعضهم أنه حصل له عطش شديد في بعض المفاوز. قال: حتى خفت التلف، فقعدت مستعدًا للموت فغلبتني عيني وأنا جالس، فقال قائل: قل يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطف بي يا لطيف، يا عليم، يا خبير، ثلاث مرات، وهذه تحفة الأبد، فإذا لحقتك ضائقة أو نزلت بك نازلة فقلها تكفى وتشفى، قلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر[٢].

ونقل الهجويري عن إبراهيم بن آدهم أنه قال: كان الحق تعالى يبعث إلي بالرزق عند الحاجة دون عناء، واتفق لي في ذلك الوقت صحبة الخضر - عليه السلام- وعلمني اسم الله الأعظم[٣].

ويحكي الشعراني عن أحمد بن أبي الحواري أنه كان يقول: وعلمني الخضر - عليه السلام- رقية للوجع، فقال: إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾، فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب بساعته[٤].

والدباغ أيضًا نقل حكاية عن بعض الصوفية أنه قال: بقيت عند قبر شيخي إلى الليل وأنا أبكي من حبه ووحشة فراقه، ثم بت على قبره والحال يتزايد إلى أن طلع الفجر، فجاءني سيدنا الخضر - عليه السلام- فلقنني الذكر[٥].

وأحيانًا يخرفون بأنهم أخذوها من رسول الله ﷺ كحزب أبي الحسن

---

(١) كتاب «الطبقات» للجعلي الفضلي ص ٤٧ ط بيروت.
(٢) «الفوائد في الصلات والعوائد» ص ٣٢-٣٣ ط مصطفى البابي الحلبي مصر.
(٣) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٣١٦، ومثله في «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٥٥ .
(٤) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ٨١ .
(٥) «الإبريز» للدباغ ص ١٣ طبعة قديمة.

الشاذلي، الذي سماه بحزب البحر، وكلماته: (رب **سهل ويسر ولا تعسر علينا يا ميسر** كل عسير بحق ب ت ث... و ه و **لا ي... بأسم الله** بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهعيص كفايتنا، **حم عسق حمايتنا**، ستر العرش مسبول علينا...) إلخ[١].

فيقولون في هذا الحزب: **إنه لما اعترض الفقهاء** على حزب الشاذلي **المسمى بحزب البحر، قال الشيخ: والله لقد** أخذته من رسول الله ﷺ حرفًا **بحرف**[٢].

وأحيانًا **يهذون أنهم تعلموها** من بعض الطيور، كما يحكي الصفوري عن بعضهم أنه قال: كنت أسيرًا في قسطنطينية بلاد الروم، فنذرت إذا خلصني الله أن أحج ماشيًا، فجاءني طائر إلى حائط السجن، وقال: اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث والدهور، يا من يعلم مثاقيل الأمطار وورق الأشجار ولا تواري عنه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا جبال ما في وعرها، ولا بحار ما في قعرها، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار ونور القمر وشعاع الشمس ودوي الماء وحفيف الأشجار، وأنت الذي نجيت نوحًا من الغرق، وغفرت لداود ذنبه، وكشفت الضر عن أيوب، ورددت موسى إلى أمه، وصرفت عن يوسف السوء والفحشاء، وأنت الذي فلقت البحر لموسى حين ضربه لبني إسرائيل بعصاه، فكان كل فرق كالطود العظيم حتى مشى عليه موسى وشيعته، وأنت الذي جعلت النار على إبراهيم بردًا وسلامًا، وأنت الذي صرفت قلوب سحرة فرعون إلى الإيمان بنبوة موسى، يا شفيق يا رفيق يا جالي الضيق، أنت منقذ الغرقى ومنجي الهلكى وجليس كل غريب وأنيس كل وحيد ومغيث كل مستغيث فرّج عني الساعة الساعة، فلا صبر لي على حلمك، لا إله إلا أنت، ليس كمثلك شيء وأنت على كل شيء قدير، فلما

---

(١) انظر «النفحة العلية في أوارد الشاذلية» ص ١٢ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ٢ ص ١٧٦ .

دعا به في الليلة الثانية أرسل الله ملكًا فحمله إلى منزله فحَجَّ من سنته ماشيًا فحدَّث به رجلًا، فقال له: من أين لك هذا الدعاء؟ قال: حفظته من طائر بقسطنطينية بلاد الروم، فقال: حدثني أبي عن جدي عن النبي ﷺ أنها دعاء الفرج[1].

وأما كيفية تلقين الذكر؛ فذكرها أيضًا كثير من الصوفية في كتبهم، نقلها عن عبد الغني الرافعي، فيقول:

وكيفية تلقين الذكر أن يضع الشيخ يده اليمني في يد المريد اليمني بعد طهارة كل منهما، ويجعل راحة كفه على راحته، ويقبض إبهامه ويقول له: غمِّض عينيك واستغفر الله ثلاثًا، ثم يقرأ الشيخ قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ إلى ﴿قَدِيرٌ﴾.

و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إلى ﴿عَظِيمًا﴾.

و ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ الآية، ثم يطرق رأسه ويدعو سرًّا للمريد بنحو: اللهم أعنه واحفظه وتقبَّل منه، وافتح عليه باب كل خير كما فتحته على أنبيائك وأوليائك، اللهم فرغنا لما خلقتنا له، ولا تشغلنا بما تكلفت لنا به، ولا تحرمنا ونحن نسألك، ولا تعذبنا ونحن نستغفرك، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم يقول، وكل منهما غاض بصره: اسمع مني الذكر ثلاث مرات، وقله بعدي ثلاثًا، وأنا أسمع منك، ثم يستأذن الشيخ بقوله: دستور يا رسول الله، دستور يا أهل الطريق، دستور يا أستاذ الإذن لي بتلقين الذكر. ويطلب بقلبه المدد من أهل السلسلة، وذلك بعد أن يكون قدم قراءة الفاتحة له ﷺ وفاتحة ثانية لأهل السلسلة، وفاتحة ثالثة لقطب الكون والأولياء جميعًا عندما يجلس المريد بين يديه[2].

---

(١) «نزهة المجالس» الصفوري ص ٩ ط دار الكتب العلمية بيروت ومكتبة الشرق الجديد بغداد العراق.

(٢) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ١٦ ط مصر ١٣٠١هـ.

وأما اللغة السحرية الطلسمية التي يستعملها الصوفية في وضع **الأذكار والأوراد**، فيدعي الصوفية عنها أنها لغة الملائكة والأرواح **ولغة أهل الجنة**، وبهذه اللغة فواتح سور القرآن الكريم[١].

وأما الشعراني فادعى عن إبراهيم **الدسوقي أنه كان له** إلمام تام بهذه اللغة، فكان يتكلم بها ويكتب **فيها، نقدم نموذجًا من** هذه اللغة إلى القراء **لمعرفة مدى تخريفات القوم وترهاتهم، فينقل** الشعراني عنه أنه كتب إلى **بعض مريديه: وبعد السلام، وإنني** أحب الولد، وباطني خلي من الحقد والحسد، ولا **بباطني شظًى**، ولا حريق لظى، ولا لوى لظى، ولا جوى من مضى، ولا مضض غضا، ولا نكص نصا، ولا سقط نطا، ولا نطب غظا، ولا عطل حظا، ولا شنب سرى، ولا سلب سبا، ولا عتب فجا، ولا بدع رضا، ولا شطف جوا، ولا عنف سرا، ولا خمش خبش، ولا حفس عفس، ولا خفض خنس، ولا حولد كنس، ولا عنس كنس، ولا عسعس خدس، ولا جيقل خندس، ولا سطاريس ولا عيطافيس ولا هطامرش ولا سطامريش، ولا شوش أريش، ولا ركاش قوش، ولا هلا دنوس، ولا كنبا سمطلول الروي، ولا بوس عكموس، ولا فنفاد أفاد، ولا قداد أنكاد، ولا بهداد ولا شهداد، ولا بد من العون وما لنا فعل إلا في الخير والنوال انتهى.

وكتب إلى بعض مريديه أيضًا: سلام على العرائس المحشورة في ظل وابل الرحمة، وبعد؛ فإن شجرة القلوب إذا هزت فاح منها شذا يغذي الروح فيتنشق من لا عنده زكم، وله أنوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة معلومة، لا معلومة معروفة لا معروف غريبة عجيبة سهلة شظة، وتفة طعم ورائحة، وسم ميم محل جميل، جهد راب ملوب، نغط نبوط هوبط سهبط حره واغميط عمن عسب غلب عرماد علمود على عروس علماص مسرود قد قد فرسم صباع صبع صبوع نبوب جهمل جمايد حربو عسس قنبود سماع بناغ مرنوع ختلوف كداف كروب كبنوف شعدا سعندبل ختلولف ختوف رصص ما من

---

(١) انظر لذلك «الإبريز» للدباغ ص ١٢٨ وما بعد.

قمن قرقنوبد سعى طبوطا طابرض كمه كهرحه جهديد نيلودات كهلوات كلوب فإنهم مبرم واقرم منهم وأخبر يهده سوس سغيوس كلافيد لا تهتر عن عتبلا سعد سبح تزبد ولا تتكوكع زند حدام هدام سكهدن وقد سطرنا لك يا ولدي تحفة سنية ودرة مضية ربانية صريانية[١].

هذا، ونعود إلى موضوعنا ونقول: إن الصوفية **قد أوجدوا صيغًا وألفاظًا في أورادهم وظائفهم** لم يعلمها رسول الله ﷺ أصحابَهُ، ولم يدعُ واحدٌ من السلف الصالح **بتلك الكلمات** والألفاظ، وزعموا لها فضائل ومناقب، وفضَّلوها على **تلاوة القرآن الكريم،** وعلى التسبيح والتهليل والتحميد، وحملوا الناس على **الاشتغال بترديد كلمات السحر والكهانة والتنجيم على** ألسنتهم، ثم **اختلقوا لها آدابًا وتجليات وأحوالًا ودرجات لم يأت بها** كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ كما يقول القشيري: إذا قبل المريد طريق التصوف يقول له الأستاذ: قبلتك لأوصلك إلى طريق الله بقدر ما أعرف أني لا أبخل عليك بقدر ما عرفته ثم يعرفه ويوصيه أن لا يسمعه من الأستاذ، ويرى جميع أحواله من الله، ويرى التوفيق منه، ويقول له: قل: الله الله الله. ثم يوصيه أن يواظب علي قول هذا الذكر، وأن لا يشهد غيره، وأن لا يفكر في غيره، وإن أشغله عن هذا الذكر أمر من الأمور فطرح تلك الأمور، وإن كان موت والديه ولا يفعل من الطاعات إلا الفرائض والسنن وركعتي الضحى، وبعد كل وضوء ركعتين. فأما سواه من النوافل وقراءة القرآن، فلا يشتغل إلا بهذا الذكر إلى أن يغيب بالذكر عن جميع الأشياء بتوفيق الله لقوة إراداته، ثم يغيب بالذكر عن نفسه، ثم يغيب بالذكر عن الذكر، يردد مدة طويلة بين غيبة عن الذكر بالذكر، وبين حضور الذكر، ثم لا يزال يرتقي في كل غيبة وحضور إلى رتبة أخرى، ثم يرد ورود آخر عليه أعلى من هذا، فيفنى العبد عن الذكر وعن هذه الأحوال، فإذا رد إلى حال البقاء بعد هذه الغيبة، يسلب عنه لسانه وسمعه وبصره إلا شهادة القلب، ولا يمكنه أن يقول

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٦٧

باللسان ويقول بالقلب نطقًا لا علمًا ومشاهدة، بل كما كان ينطق بلسانه قبله يذكر بقلبه حتى يرد ورود آخر عليه بعد مدة ما شاء الله أعلى من ذلك من حيث الهيبة، فيبدو على العبد من الهيبة ورود يظن أنه قريب من الحق؛ فيفنى العبد فيه ثم يتردد بين البقاء والفناء، وكل مرة يرد إلى البقاء تزداد عبارات قلبه حتى ينتهي إلى أذكار يجدها مرة قلبه بألسنة مختلفة وعبارات لم يسمعها قبله، ولا خطرت بباله قبله، يجد ذلك الله في قلبه حتى يتوهم أن جملة الكون يذكر الله بعبارات مختلفة أحيانًا ويصير بحيث لا يميز بين ذكره الذي يبدو من قلبه، وذكر الكون من غلبات الذكر عليه، فليسمع جميع هذه الأذكار، ثم بعده يرد ورود آخر بحيث لو ذاق هذا الورود غير من سلك هذه الطريقة على سبيل الوهلة؛ لمات من هيبة الله سبحانه حتى يفنى هذا العبد، ولا يبقى منه شيء.

ثم يرد إلى حالة البقاء؛ فيسلب عنه أحوال القلب من الشهادة وغيرها؛ فيبدو له سر الغيب يبقى للعبد شيء وليس إلا الله[1].

ويقول: إذا تحقق الذاكر في ذكر اللسان، رجع ذكر لسانه إلى ذكر القلب. فإذا ذكر القلب يرد عليه في الذكر أحوال يجد من نفسه، بل يسمع من قلبه الله سبحانه اسمًا وأذكارًا لم يسمعها قط ولا قرأها في كتاب بعبارات مختلفة وألسنة متباينة لم يسمعها ملك ولا آدمي. فإن لازم همته ولم يلتفت ولم يلاحظ هذه الواردات؛ نال المريد الزيادة إلى أن ينتهي إلى ذكر السر. وإن التفت إلى ما يجري عليه من هذه الأحوال، ولاحظ هذه التسميات وهذه الأذكار، ونظر إليها، واشتغل بها؛ فقد أساء الأدب؛ فيعاقب في الوقت، وعقوبته انقطاع المزيد عنه، ثم يعاقب ثانيًا إن صبر عليه بأن يرد إلى حال العلم هذه الأحوال ويرد عليه علوم حتى يظن أنه فتح عليه علوم الأولين والآخرين.

---

(١) رسالة «ترتيب السلوك» للقشيري ص ٦٥-٦٧ من الرسائل القشيرية ط إسلام أباد باكستان.

في ابتداء الذكر في الجوارح أن يجد حركة في جوارحه حتى لا يبقى عليه جزء من لحمه وعظمه إلا يجد فيه حركة واختلاجًا، ثم تقوى تلك الحركات وتلك الاختلاجات حتى تصير أصواتًا وكلامًا حتى يسمع من جميع جوارحه وأجزائه أصواتًا إلا من لسانه؛ فإن اللسان لا ينطق في هذه الأحوال، والعبد ملازم لهمته؛ لأنه يتيقن أنه لولا حظ وطلب علم هذه الأذكار نفي عنها إلى غيرها، وهذا بعد أن وقع الذكر على القلب. فأما في حال ذكر اللسان، فيكون هذه الحركات والاختلاجات للجوارح، لكن لا بهذه القوة[1].

ثم يبين الخواطر والأحوال التي ترد على قلب الذاكر، فيقول: الخواطر والأحوال التي ترد على البعد يسمع العبد أصواتًا أحلى ما يكون، وأحسن ما يكون، حتى كأنها ألذ وأطرب وأشهى من أصوات الأوتار والمزامير والبرابط، وكل صوت حلو حسن.

ثم هذا الخاطر من الشيطان يكون بهذه الحالة، وربما يكون أتم حلاوة من هذا الذي من الحق في الصورة[2].

ومن تلك الآداب أن يستمد عند شروعه في الذكر بهمة شيخه بأن يشخصه بين عينيه، ويستمد من همته ليكون رفيقه في السير.

ومنها أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من رسول الله ﷺ؛ لأنه واسطة بينه وبينه...

ومنها اختيار الموضع المظلم من خلوة أو سرداب...

ومنها أن يخيل شخص شيخه بين عينيه ما دام ذاكرًا، وهذا عندهم من آكد الآداب... وأجمعوا على أنه يجب علي المريد الجهر بالذكر بقوة تامة، وأن ذكر السر والهوينا لا يفيده رقيًا[3].

---

(١) «الرسالة القشيرية» ص ٦٨ وما بعد.

(٢) أيضًا ص ٧٥

(٣) «ترصيع الجواهر المكية» لعبد الغني الرافعي ص ٤١-٤٢، أيضًا «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ٣٦-٣٧ .

هذا، وإن الله تعالى يقول:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[١].

ويروي با يزيد الأنصاري الصوفي المشهور **عن رسول الله** ﷺ أنه قال: أفضل الذكر الذكر الخفي[٢].

والشعراني يذكر من جملة آداب **الذكر محله في الذاكر** الواعي المختار، **أما المسلوب الاختيار، فهو ما يرد عليه من الأسرار**، فقد يجري على لسانه **الله الله الله الله، أو هو هو هو، أو لا لا لا**، أو عا عا عا، أو آ آ آ، أو هـ هـ ه، **أو ها ها ها، أو صوت** بغير حرف أو تخبيط، وأدبه عند ذلك التسليم الوارد، فإذا انقضى الوارد، فأدبه السكون من غير تقوّل[٣].

ومن جملتها ما ذكره أحمد محمود زين الدين الحسيني حيث كتب: ويجب على الذاكر أن يستعد للذكر استعداده للصلاة، فيجلس جلوس المتأدب المتواضع والمتذلل الخاشع، جامعًا حواسَّهُ، مسبلًا عينيه كأن على رأسه الطير، ماحيًا من قلبه الغير، متابعًا شيخه في حركاته وسكناته، موافقًا له ولإخوانه في ذكر الجماعة، عاملًا على مساواتهم في أصواتهم بطريقة موزونة تجمع القلوب حتى كأنهم صوت واحد، والجهر في حقهم أنفع، ولقلوبهم أجمع، وأشد في التأثير، وأعظم في التذكير، لا سيما في القلوب القاسية، وإن من القلوب ما هو كالحجارة أو أشد قسوة ولا ينكسر إلا بالذكر القوي، أما الكل والخواص، فالأولى لهم الإسرار.

وعليه أن يعمل بكل ما يأمره به شيخه، وليعلم أن شيخه كالطبيب؛ فلا يقال له: لِم؟. وليفهم عبارته وإشارته، وليتمسك بعلمه وعمله وطريقته، وليراقبه عند كل إرادة وعمل؛ لأن شيخه يطالبه بما أمر الله، وينهاه عن كل ما نهاه، فيجب عليه أن يعرض كل أموره علي شيخه في القرب والبعد لئلا يكون للشيطان عليه سبيل، ولذلك قيل: من لا شيخ له، فشيخه الشيطان.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥

(٢) «مقصود المؤمنين» لبا يزيد الأنصاري ص ٣٣٠ ط باكستان.

(٣) «الأنوار القدسية» للشعراني ج ١ ص ٣٩ .

وليرتبط بشيخه ارتباط الحلقة بسلسلتها حتى تبدل أوصافه بأوصافه، وأخلاقه بأخلاقه، ويفوز بالوراثة التي جازها شيخه بسر المتابعة، وليتغلغل في مذهبه. قال الإمام أبو الحسن الشاذلي: من لم يتغلغل في مذهبنا، مات مصرًّا على الكبائر وهو لم يشعر[1].

ومنها استئذان الشيخ كما يقول الرافعي: لا ينبغي للمريد الذي هو تحت تربية المرشد أن يشتغل بشيء من الأوراد والأدعية إلا إذا أمره به أستاذه[2].

وبمناسبة المقام ننقل هنا عن الأفلاكي أنه قال: إنه لا يجوز الاستماع إلى كلام الإمام غير أمامه، وإن كان كلامًا واضحًا[3].

وأما الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقًا: ومن آداب الذكر ألا يتلو وردًا إلا بإذن من شيخه، أو يلقنه إياه، وأن يجلس في الذكر على هيئة المتشهد، متوضئًا مستقبل القبلة ما أمكن مغمضًا عينيه، وألا يشغل قلبه حال الذكر إلا بالمذكور، وأن يراقب صورة شيخه في جميع عباداته، وأن يستمد بقلبه من شيخه، وأن يلاحظ استمداده من شيخه هو الاستمداد من النبي ﷺ؛ لأن الشيخ الصادق نائب عنه.

وألا يشرب عقب الذكر مباشرة، ولينتظر قليلًا في مكانه بعد الذكر صامتًا مستحضرًا لتلقي ما يرد عليه من وارد الذكر، وليؤد أوراده كاملة في أوقاتها، وإلا حرم المادة، وينبغي ألا يتقدم أحد للمريدين في بدء ذكر ولا حزب ولا ورد على من قدمه شيخهم ما دام حاضرًا[4].

ويذكر القشيري في بيان آداب الذكر: المتبدئ في الأحوال يجب أن يسكن حواسه، ولا يحرك جزءًا منه، ولا يردد طرفه ولا شيئًا، ويكون مراعيًا

---

(١) كتاب «الاستبصار لأهل الأذكار» لأحمد محمود زين الدين الحسيني ص ٨٧-٨٨ ط مطبعة الأنوار القاهرة ١٣٥٩هـ.

(٢) «ترصيع الجواهر المكية» للرافعي ص ٦٥ .

(٣) «مناقب العارفين» للأفلاكي (فارسي) ج ١ ص ٢٧١ ط طهران إيران.

(٤) «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٨٧ .

لهمته، ولا يحرك ألبتة جزءًا من نفسه، ولا من بدنه، **ولا من بطنه. إلى أن قال**: كنت أحيانًا **في** بدو المجاهدة وأحوال الذكر **لو استتر مني من في السماء** لكان الستر عليَّ أهون من أن أقوم للأكل وأتحرك **للوضوء والفرض**؛ لأنه كان يغيب عن الذكر(١).

فهذه هي آداب الذكر وطرقه **التي تسربت من الهنود** إلى التصوف، وبذلك صرح **المستشرق ماسنيون؛ حيث قال: ونجد** من ناحية أخرى أن بحث **المراحل التي أدت إلى إدخال الذكر في** طرق الصوفية المحدثين تدلنا على تسرب بعض **طرائق الهنود إلى** التصوف الإسلامي(٢).

ومن شعبذات الذكر الصوفي ما يدعون أن السيف لا يؤثر في الذاكر الواجد، كما يقول القشيري والسهروردي: يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر.

ومن بدعهم في الذكر ما نقله الشعراني عن محمد الحنفي أنه كان يأمر أصحابه برفع الصوت بالذكر في الأسواق والشوارع، وكان إذا ركب يذكر الله تعالى بين يديه جماعة كطريقة مشايخ العجم، وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله تعالى بالنوبة، فكان الناس إذا سمعوا حسهم من المساجد أو الدور يخرجون ينظرون إليه.

وأحيانًا يذهب الصوفية إلى مساكن الحيَّات والعقارب كما يحكى اليافعي عن حامد الأسود أنه قال: كنت مع إبراهيم الخواص -رضي الله تعالى عنه- في سفر، فجئنا إلى موضع به حيَّات كثيرة، فوضع ركوته وجلس، وجلست، فلما برد الليل وبرد الهواء، خرجت الحيَّات؛ فصحت بالشيخ، فقال: اذكر الله. فذكرت فرجعت، ثم عادت فصحت به، فقال مثل ذلك، فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة؛ فلما أصبحنا قام ومشى معه، فسقطت من وطائه حيَّة عظيمة قد تطوقت، فقلت: ما أحسست بها؟ قال: لا، منذ زمان ما بت أطيب من البارحة.

---

(١) رسالة «ترتيب السلوك» للقشيري ص ٧٦-٧٧ .

(٢) «التصوف» لماسينيون ص ٤٩ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.

فهذه هي طرق الذكر وكيفيت تلقينه وآدابه وشروطه وثمراته وبدعه الأخرى التي لا نجد ذكر شيء منها في كتب الله المنزل من السماء، ولا في سنة أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه. إنها عادات وتقاليد وسنن تسرَّبت من الحضارة الهندية الغربية على الشريعة الإسلامية إلى الملة الصوفية، وقد تلقاها زعماء الصوفية وكبراؤها، وتغلغلوا فيها، واستنوا بها معرضين عما أنزل الله على رسوله ﷺ نسأل الله الرشد والهدى، ونعوذ به من أن نضل ونُضل، والله الهادي إلى سواء السبيل.



الباب الخامس
طرق التصوف وأعيانها الرفاعية

من السلاسل المنتشرة في العراق وبلاد الشام غيرها الرفاعية، نسبة إلى أبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي، منسوب إلى بني رفاعة، قبيلة من العرب، كما صرَّح بذلك الشعراني في طبقاته[١].

ولو أن الرفاعية يدعون نسبته إلى بني فاطمة كعادة الصوفية الآخرين بأن كل جماعة وحزب منهم يريد نسبة شيخهم إلى الأشراف والسادات، فقالوا كما قاله الآخرون: إنه سيد حسيني[٢].

وعدَّ مقدِّمُ كتابه «المجالس الرفاعية» السيد خاشع الراوي الرفاعي أنه «الإمام الثالث عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليه وعليهم أجمعين»[٣].

ولكن المحققين أنكروا عليهم نسبته هذه، ونسبه ذاك.

ولأهل الطريقة القادرية من الصوفية رسائل وكتب، كتبت لبيان أن نسبه إلى الأشراف ليس بصحيح، ولقد ذكر ظهير الدين القادري الحسني الحسيني فصلًا مستقلًا وبابًا خاصًا في كتابه: الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين، لبيان هذا[٤].

كما أن الرفاعيين ألفوا عديدًا من الرسائل والكتب لإثبات نستبه إلى السادات، ولكنهم اختلفوا فيما بنيهم في أسماء آبائه، وعددهم إلى موسى بن

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) انظر «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» لمحمد أبي الهدي الرفاعي الخالدي الصيادي ص ١٢ وما بعد ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠م.

(٣) انظر مقدمة «المجالس الرفاعية» ص ٦ مطبعة الإرشاد بغداد.

(٤) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص ١٠٢ وما بعد ط المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٦هـ.

جعفر بن محمد الباقر، وهذا أحد الأدلة لعدم ثبوت النسب، وقد صرح ابن عنبة نسابة الأشراف المشهور في «عمدته» أن "الذي ينسبون إليه الرفاعي ليس بثابت، وأن الرفاعي نفسه لم يدَّعِ ذلك، وهذا نصه: وقد نسب بعضهم الشيخ الجليل سيدي أحمد الرفاعي إلى حسين بن أحمد الأكبر، فقال: هو أحمد بن يحيى بن ثابت بن حازم بن علي بن الحسين بن المهدي بن القاسم بن محمد ابن الحسين المذكور، ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين ولدًا اسمه محمد، وحكى لي الشيخ النقيب تاج الدين أن سيدي أحمد بن الرفاعي لم يدع هذا النسب، وإنما ادعاه أولادُ أولادِهِ[1].

وقد ذكر ظهير الدين القادري نقلًا عن العلامة شمس الدين ناصر الدمشقي أنه قال: إن الرفاعي لم يبلغنا أنه أعقب كما جزم غير واحد من الأئمة المرضية، ولم أعلم له نسبًا صحيحًا إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى أحد من ذريته الأطايب، إنما وصل إليها وساقه الحفاظ، وصح لدينا أنه أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي الأصل البطائحي الرفاعي نسبة إلى جده الأعلى رفاعة، قدم والده أبو الحسين -رحمة الله عليه- من بلاد المغرب فسكن البطائح[2].

فلم يكن إذن عند الرفاعيين شيء لحل هذه المعضلة، ورفع هذه المشكلة إلا أن يلتجئوا إلى ما التجأ إليه الآخرون من بني جلدتهم وأهل مشربهم، فقالوا: إن رسول الله ﷺ هو الذي أخبره بصحة نسبه إليه، كما يذكر ذلك صاحب القلادة: كيف لا؟ وقد شهد له نبينا سيد العرب والعجم بصحة الوصلة والنسب، وذلك عام حجه ﷺ حين وقف تجاه الحجرة العطرة النبوية قال: السلام عليك يا جدي. فقال له عليه أفضل صلوات الله: وعليك السلام يا ولدي[3].

---

(١) عمدة الطالب في أسباب أبي طالب لجمال الدين بن عنبة الحسيني المتوفى ٨٢٨ هـ ص ٢١٣-٢١٤ ط قم والنجف ١٩٦١م.

(٢) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص ١٠٥ ط.

(٣) انظر «قلادة الجواهر» ص ٢٠

وإنني لأرى بأن هذا دليل آخر على عدم ثبوت النسب. ولا نما احتيج لإثباته إلى مثل هذه الحكايات الباردة والروايات المختلقة المخترعة التي هي في احتياج إلى ثبوتها وإثباتها وإقامة البرهان على تحققها ووقوعها، فالمشتبهات والمظنونات لا يحصل بها اليقين. **والله أعلم**.

وأما عندنا، فإن النسب لا يرفع الوضيع، ولا يضع الرفيع، فقد قال جل وعلا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1].

وقال عز من قائل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«الناس بنو آدم، وآدم من تراب»[3].

وقال في خطبته أيام التشريق:

«يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ»[4]. الحديث.

ومن المعلوم أن ولد نوح ووالد إبراهيم وزوجي نوح ولوط وعم رسول الله ﷺ لم ينفعهم حسبهم ونسبهم من عذاب الله وبطشه، وقد نفع بلالًا الحبشي وسلمان الفارسي وصهيبًا الرومي إيمانُهم وعملهم ما لم ينفع أبا لهب وزوجته وهو عم رسول الله أخو والده، وهو الذي قال -عليه الصلاة والسلام- مخاطبًا عمته صفية وابنته الزهراء زوج علي بن أبي طالب وأم

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) سورة النساء الآية ١

(٣) رواه أبو داود الترمذي وغيرهما.

(٤) رواه أحمد.

الحسين:

«**يا صفية، عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

وفي رواية: «**يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا**»[١].

فإن الأحساب والأنساب المجردة، لا قيمة لها عند الله، **فمدار النجاة ليس إلا على الإيمان والعمل** الصالح، ولكننا ذكرنا هذا كله عند ذكر الرفاعي والآخرين **لما له من أهمية عند** القوم، وعلى ذلك يحاولون أن يثبتوا لكل كبير لهم نسبة إلى **السادة والأشراف، مع تصريح** أبي العباس المرسي وهو من كبار المتصوفة، والحائز عندهم **على مقام القطبية، قال**: لا يلزم أن يكون القطب شريفًا حسينيًا، بل **قد يكون من غير هذا القبيل**[٢].

وآخر ما نريد أن نثبته في مسألة نسب الرفاعي لطرافته ما ذكره محمد أبو الهدى الرفاعي، فيقول: وقال رجل موصلي لشيخنا الشيخ عبد الرحمن جمال الدين الحدادي: يا سيدي، إني رأيت بعضًا من كتب التاريخ ذكر نسبة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وسكت عن نسبة السيد أحمد الرفاعي مع أنه عربي الأصل وأشهر منه بالسيادة، وقد قال بعض علماء فارس: إن الشيخ عبد القادر بشتبري النسب. وهكذا يقول بعض أهل بيته، فقال شيخنا قدس الله سره: اكفف يا ولدي عن الخوض، واعلم أن من كتب التاريخ سكت عن نسبة الاثنين إلا أن بعض الصوفية ذكر نسبة الشيخ عبد القادر حرصًا عليه لكيلا يطعن في نسبة من لا علم له لما اشتهر أنه من العجم، ولما قيل فيه أنه بشتبري النسب، والأصل الصحيح إنما هو رجل فاطمي لا ريب في نسبته إلى الجد الأعظم ﷺ سكن أجداده فارس إلى زمانه قدس سره ورضي الله عنه. وهذا ما يجب علينا اعتقاده، فإن الأولياء أعلم منا بالأدب الديني والوجه الشرعي، ولو لم تكن نسبته ثابتة الوصول إلى الرسول، لما ادعاها قط. وأما

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري ص ١٧٩ط.

والمنشأ، **فهو** السبب الذي اعتمد عليه الصوفية وسكت **عن ذكر سلسلة** نسبه[١].

فولد أحمد الرفاعي هذا في قرية من قرى **البطائح، يقال لها**: أم عَبيدة بفتح العين[٢].

والبطائح قرى مجتمعة **في** الماء **بين واسطة والبصرة مشهورة** بالعراق[٣]، **وعليه الأكثر**.

وقيل: كانت ولادته بقرية من أعمال البصرة[٤]. وولد سنة ٥٠٠ من **الهجرة على قول الأكثر**[٥]. وولد سنة ٥٠٠ في شهر رجب[٦]. وكان أبوه علي بن أحمد قد نزل البطائح من المغرب، وتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، وعلى ذلك كان يقال له المغربي أيضًا[٧]. وقيل: إن الرفاعي هذا ولد بعد وفاة أبيه بأشهر[٨]. وقيل: بل ولد في حياته في بغداد سنة ٥١٩ هـ، وكان عُمرُ أحمد الرفاعي آنذاك سبع سنين، وبعدئذٍ نقله خاله الشيخ المنصور البطائحي هو وإخوته وأمه فاطمة إلى قريته[٩]. فنشأ هناك، وتربى في بيت

---

(١) «جمهرة الأولياء» لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ٢ ص ٢٠٦ ط القاهرة، أيضًا «قلادة الجواهر» لأبي الهدى الرفاعي ص ٢٠ .

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٩٤-٩٥ط.

(٣) «قلادة الجواهر» ص ٣٢، أيضًا دائرة المعارف الإسلامية مقال مارجليوث ج ١٠ ص ٣١٦ ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

(٤) «قلادة الجواهر» ص ٣٢، أيضًا دائرة المعارف الإسلامية مقال مارجليوث ج ١٠ ص ٣١٦ ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

(٥) انظر «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٩٣، «شذرات الذهب» ج ٤ ص ٢٥٩، العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ج ٣ ص ٧٥ .

(٦) «قلادة الجواهر» ص ٣٢، دائرة المعارف الإسلامية ج ١٠ ص ٣١٦ .

(٧) العبر ج ٣ ص ٦٩ .

(٨) «قلادة الجواهر» ص ٣٢ .

(٩) انظر ترجمة الرفاعي في «المجالس الرفاعية» مقدمة الكتاب ص ٢٠، أيضًا «قلادة الجواهر»، كذلك دائرة المعارف ص ١٦ .

خاله الذي كان يعد من كبار المتصوفة وصاحب المشيخة هناك، وبعد وفاته سنة ٥٤٠ هـ أخذ مشيخته وقام مقامه.

ولقد حكى الرفاعيون حكايات عديدة، وأحاطوه بأساطير طريفة منذ ولادته وطفولته، بل وما قبل الولادة وبعدها كعادتهم والآخرين منهم، حكايات تنبئ وتخبر بأصالة الاختلاق والاختراع والزور والكذب؛ حيث إنها واحدة في معناها ومغزاها لكل واحد من كبارهم مع تعدد الأشخاص وتنوُّع البيئات واختلاف الزمان والمكان.

فمثلًا يقول محمد أبو الهدى الرفاعي في قلادته: ولد (أحمد الرفاعي) في شهر رجب، وكان يشرب اللبن إلى أن قدم رمضان، فتقيد عن شرب اللبن نهارًا إلى أن جاء العيد فشرب اللبن[١].

وهذا عين ما يحكيه القادريون عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وغيرُهم عن غيره[٢].

وأيضًا ما يروون عنه أنه كان يتكلم وهو في المهد صبيًا، وقد تكلَّم يوم ولادته[٣].

وكذلك ما يروون عن البشائر التي سبقت ولادته، منها ما اختلقه منصور البطائحي حيث قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: يا منصور، أبشرك أن الله تعالى يعطي إلى أختك بعد أربعين يومًا ولدًا يكون اسمه أحمد الرفاعي، مثل ما أنا رأس الأنبياء كذلك هو رأس الأولياء[٤].

وأيضًا: هو ذا يظهر في أم عَبيدة وتشد إليه الرحال، وتتحير فيه أهل الأحوال، وتذل له رقاب الرجال، يتعجب من طريقته، وإنه صاحب شأن عظيم ومحل جسيم، وهو آخر القوم مشربًا، وأولهم قدمًا... وهو رجل

---

(١) «قلادة الجواهر» ص ٣٢ .

(٢) «الفتح المبين» ص ٥ .

(٣) «قلادة الجواهر» ص ٣٠ .

(٤) أيضًا ص ٢٩

عظيم المنزلة عند الله، فإذا هو ظهر غلّق أبواب جميع المشايخ والصالحين، يظهر عن قريب، وله سر عجيب، وسير غريب، ويصير الوقت له ولأهله وتحكمه وتصرفه، يصل إلى مرتبة عظيمة، يضرب دأبه إلى الذراري في ظهور الرجال، يسلك طريقًا لم يسلكها أحدٌ قبله ولا بعده[١].

ولما ولد هذا واطلع على مقامه وشأنه الشيخ منصور البطائحي أخذته الغيرة، فأُنِّبَ من قِبَلِ الله -تبارك وتعالى، وعياذًا بالله من نقل مثل هذه الخرافات، ولا يؤاخذنا الله عليها- كما ذكر قاسم بن الحاج في كتابه أم البراهين أن الشيخ منصورًا البطائحي الرباني ﵁ لما أخذته الغيرة حالة اطلاعه على مقام سيدنا السيد أحمد الكبير ﵁ نودي من العلى: أيْ منصور، تأدَّب، هذا السيد أحمد حبيبنا، نُظهره على غوامض غيوبنا!! أي منصور، هذا السيد أحمد نائب الدولة المحمدية، وعروس المملكة المُصْطَفَوِيَّة، وهو شيخ جميع الأمة الأحمدية وشيخُك؛ فقل: نعم. قلت: نعم. فقال: نحن نتصرف بملكنا كما نشاء. فقلت: نعم.. نعم. نعم. ثم أتى حملت الغاشية يديه، وأخذت العهد على يديه، فأنا شيخه بالخلقة، وهو شيخي بالخلق والخلقة. كان سيدي الشيخ منصور - قدس الله روحه- ذات يوم جالسًا والفقراء حوله، وهو يحدثهم ويرغِّبهم بمواهب الله، وإذا به قد نهض قائمًا على قدميه، وصاح بأعلى صوته، وأشار بيده إلى جهة الأرض، ووقع مغشيًا عليه، فبقي ما شاء الله، فلما أفاق لزمه الفقراء، وأقسموا عليه بالعزيز سبحانه، وسألوه أن يخبرهم: ما سبب صراخه وقيامه ونداه. فقال لهم: سألتموني عن أمر عظيم. اعلموا أن الله تعالى قد ألحق بالشيخ الكبير السيد أحمد ابن ابن خالي مشارق الأرض ومغاربها من أربع جهاتها، وأن الأمر يصير إليه، وحكم الخلق كلهم بيديه، ويكون هو الشيخ المعوَّل عليه[٢].

فهذه هي حكايات القوم في طفولته وصغره وقبل ولادته، تشبه حكايات

---

(١) انظر «قلادة الجواهر» ص ١٣١ وما بعد.

(٢) «البراهين» لابن الحاج نقلًا عن «القلادة» ص ٣٣-٣٤ .

الآخرين تمامًا ولو حذفت الأسماء فإنما هي بعينها بدون أدنى فارق.

ولما كبر فكان ما كان: كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال(١).

وختم الله به الولاية كما ختم بمحمد النبوة(٢).

ويروون عنه أنه كان يعظ وكان يسمع صوته البعيد من مجلسه كالقريب، ويحضر مجلسه الأصم الذي لا يسمع فيفتح الله سمعه بكلامه(٣).

وحتى إن أهل القرى التي حول أم عبيدة كانوا يجلسون على سطوحهم فيسمعون صوته، ويعرفون جميع ما يتحدث به(٤).

وكان أشياخ الطريقة يحضرون له ويسمعون كلامه، وكان أحدهم يبسط حجره، فإذا فرغ سيدي أحمد ﷺ ضموا حجورهم إلى صدورهم وقصوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم علي جليته(٥).

وكان إذا طلب منه أحد أن يكتب له عوذة، ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد(٦).

ومن أكاذيب الرفاعية في الرفاعي ما نقلوه عن أحد أصحاب الرفاعي أنه قال: كنت في بيتي ليلة من الليالي إذ ناداني السيد أحمد الرفاعي، فقمت مبادرًا وجئت إليه وقبلت يده، وسألته عن حاجته فأخذ بيدي وخرجنا من الرواق حتى وصلنا إلى بستان يعرف بالقثوري، وهو مكان خالٍ فوق أم عبيدة ما فيه شيء يستظل به قال - أي سعيد-: قف هنا حتى أرجع، فوقفت مكاني حتى مضى من الليل شطر وهو لم يرجع، فمشيت على أثره لأعرف خبره، فإذا أنا بثيابه ملقاة على الأرض، وعلى جانبه ماء يبرق كالنجم، فجعلت

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ١ص ١٤١، «قلادة الجواهر» ص ٤٢ .

(٢) أيضًا ص ٤٦ .

(٣) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٦٩ .

(٤) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج١ ص ٢٩٧ .

(٥) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ١ ص ١٤١

(٦) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٩٧ ط دار صادر بيروت.

أطوف يمينًا وشمالًا، فلم أجده فرجعت إلى موضعي وأنا **مرعوب من ذلك إذ** هو أقبل علي وأنواره تشرق، فقلت له: ما رأيت **وأقسمت عليه بالعزيز** سبحانه **وبالمصطفى** ﷺ فاستخبرته عن ذلك، فقال: **أي ولدي أنا كنت ذلك** الماء الذي رأيته، نظرني سبحانه بعين القدر، **فذبت كما** يذوب الرصاص، فصرت كما رأيت ماء ثم نظرني بعين **اللطف فصيرني كما** ترى بشرًا سويا[١].

وكان يقول: **صحبت ثلاثمائة ألف أمة ممن يأكل** ويشرب ويروث وينكح، **ولا يكمل الرجل عندنا حتى يصحب هذا العدد**، ويعرف كلامهم وصفاتهم **وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم. قال** يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي، إن المفسرين ذكروا أن عدد الأمم ثمانون ألف أمة فقط، فقال: ذلك مبلغهم من العلم، فقلت له: هذا عجب، فقال: وأزيدك أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا ينظر ذلك الرجل إليها ويعلم بها، قال يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي هذه صفات الرب جلا وعلا، فقال: يا يعقوب استغفر الله تعالى، فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا صرفه في جميع مملكته، وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب[٢].

وكان يعقوب الخادم على حق حيث عد هذه الأوصاف من صفات الرب، وهو الذي قال جل سبحانه وتعالى في كتابه المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال فيه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[٣].

وكان يملك الموت والحياة كما ذكر ذلك عنه ابن الملقن: ورآه ابن أخته عبد الرحيم أبو الفرج، ورجل قد نزل عليه، فقال له: مرحبًا بوتد المشرق، فقال له: إن لي عشرين يومًا لم آكل ولم أشرب، وأريد أن آمر هذا الإوز

---

(١) «قلادة الجواهر» ص ٨١ .

(٢) أيضًا ص ٦٨ .

(٣) سورة لقمان الآية ٣٤ .

الذي في السماء، فتنزل واحدة مشوية. ففعل. فنزلت كذلك، ثم أخذ حجرين من جانبه فصارا رغيفين، ثم مد يده إلى الهواء فأخذ كوز ماء، فأكل ذلك وشرب ثم طار، فقال الشيخ لتلك العظام، اذهبي باسم الله فذهبت سوية وطارت[١].

ورواية أخرى رواها محمد أبو الهدى في قلادته نقلا عن أم البراهين: وذكر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان أنه خرج مع الشيخ الكبير السيد أحمد ذات يوم إلى الصحراء فبينما هما سائران في الصحراء إذ رأوا أسدًا كاسرًا مفترسًا لشاب، وقد خلع كتفه من جسده ومكث يأكله، فزجره الشيخ الكبير السيد أحمد زجرًا شديدًا، وقال له: أي خلقَ الله ما نهيتكم عن أذية الخلق الذين يمرون ببلادنا، فنطق السبع وأتى إلى حضرة الشيخ مسلّمًا عليه بلسان عربي فصيح فقال له: أي سيد السادات وصاحب الجود والكرامات لي سبعة أيام ما أكلت شيئًا، وأنا دائر على ولدي فما وجدته، وهذا الشاب قد أرسله الله إلي رزقًا مقسومًا بسبب غضب والدته عليه، فأنتم تريدون قطع نصيبي من ذلك الأمر إلى الله ثم إليكم؛ فلما سمع كلامه لم يعبأ به بل التفت إليه بنظر الغضب والجلال، فوقع السبع ميتا لوقته في الحال، فأخذ ذراع الرجل ووضعه في مكانه، وقال: باسم الله الرحمن الرحيم، ومسح عليه بيده المباركة فعاد كما كان أولًا بل أشد وأقوى. وقال الشيخ للشاب: ما اسمك؟ قال: اسمي داود بن إبراهيم. فقال له الشيخ: أي داود اسلخ غريمك فسلخه وأخذ الجلد ومضى إلى والدته وخبرها بالقصة[٢].

وابن الملقن كذلك ذكر عن أبي عبد الله بن محمد البطائحي: انحدرت في أيام سيدي عبد القادر إلى أم عبيدة، فقال لي الشيخ أحمد: اذكر لي شيئًا من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكرت منها شيئًا، فجاء رجل في أثناء حديثي فقال: مه! لا يذكر عندنا مناقب غير هذا، فنظر الشيخ إليه مغضبًا،

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٩٩ مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٩٣هـ.

(٢) «قلادة الجواهر» ص ٩١ .

فرفع الرجل من بين يديه ميتًا[١].

هذا وكان يملك الجنة والنار أيضًا، كما يذكرون عنه **أن شخصًا من** أصحابه تمنى عتقًا من النار ينزل من السماء. **فسقط منها ورقة** بيضاء، فلم ير فيها كتابة فأتى إلى الرفاعي فلم يخبره بالقصة، **فنظر إليها** ثم خر ساجدًا وقال:

الحمد لله الذي آراني **عتق أصحابي من النار** في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: **هذه بيضاء، فقال: أي أولادي، يد القدرة** لا تكتب بسواد، وهذه مكتوبة بالنور[٢].

هذا ولقد باع علي (واحد من مريديه، واسمه: إسماعيل بن عبد المنعم) قصرًا في الجنة تجمعه حدود أربعة: الأولى إلى جنة عدن، والثاني إلى جنة المأوى، والثالث إلى جنة الخلد، والرابع إلى جنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه وستره وأنهاره وأحجاره عوض بستانه[٣].

ولقد ذكرنا هذه الحكاية مفصلة في باب: أولياء أَمْ آلهة. فليُرجع إليه للتفصيل:

وكان يقول كما ينقلون عنه:

وأحمي مريدي على كل حالة ... وأدخلهم دار النعيم أمامي

فمن كان منا أو يلوذ ببابنا ... غدا يوم القرب تحت خيامي

وأحميهم مما يختشى يوم خوفه ... وفي معظم الحالات عنه أحامي[٤]

وقال أحد أصحابه: لا يكون الرجل ممكنًا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع آمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء... لا يكون الشيخ شيخًا كاملًا في سائر

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ١٠٠

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٩٨

(٣) انظر «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» ص ٧١.

(٤) أيضًا ص ٢٣٥

أموره وأحواله وأقواله وأفعاله. ولا يصلح له الجلوس في المخدة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع:

عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه على الصراط وعند الميزان(١).

وكان يقول: خذ من مجلسي حصة من الفضل الإلهي، والمنح النبوي، كل من أظلته الخضراء وأقلته الغبراء، اليوم محتاج لأخذ هذه الحصة من هذا المجلس، سل أهل الذوق، سل أهل الشوق، سل الأقطاب، سل الأفراد، سل الأوتاد، ختمت بي هذه التوبة الجامعة المحمدية(٢).

ونقلوا عنه هذه الآيات:

وطاولت أعلام الرجال ولم أزل ... أطول إلى أن جزت من حضرة الرب

وفُقْتُ كبار القوم في كل مذهب ... وسرت بلا ثان إلى مذهب الحب

وصرت فريدًا في بني الحب كلهم ... وجاءوا الحاني يطلبوا السكر من شربي

وهاموا بكأسي قبل شرب الذي به ... ونالوا الشفا من صرعة الهجر في طبي

أنا القطب والغوث الكبير الذي على ... قباب زُوَيَّاتي بَدا النور من ربي

أشاهد معنى الكل في كل مشهد ... وأنظر من معنى حقيقتها سلبي

فمن عينها عيني ومن سر رمزها ... عرفت بأن الكل من سرها وهبي(٣)

وأيضًا:

رفعت رايتي على الأعلام ... وصفا الوقت بل وراق مدامي

وخيولي تدور في كل أرض ... ثم في كل بلدة ومقام

وطبولي دقت وموكب عزي ... في سرور علي مدى الأيام

(١) «قلادة الجواهر» ص ١٩٣

(٢) «المجالس الرفاعية» لأحمد الرفاعي ص ١٠١ الطبعة الأولى مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧١م.

(٣) «قلادة الجواهر» ص ٢٣٥

أنا قطب في مركز الفضل قَذري وعلى هامة الهلال خيامي
فجميع الرجال في باب عزي يطلبون العطاء من إكرامي
شهرتي في السماء والأرض دارت وافتخاري يزيد في كل عام[(١)]

وكان يقول: كل شيخ لم يحضر **تلميذه عند الموت**، فليس هو عندنا برجل، وكل شيخ ينكشف تلميذه **خلف القاف في** ظلمة الليل ولا يمد يده **يغطيه فما هو عندنا برجل، وكل شيخ لا** يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيدًا **فما هو عندنا برجل، وكل شيخ** لا يراعي تلميذه في القرب والبعد في حال حياته وبعد مماته فليس هو عندنا برجل[(٢)].

وكان يقول: وحق العزيز - سبحانه وتعالى- قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة، فخلق منها سيدنا المصطفى ﷺ فرشحت، فخلقني منها... وإني لما دُعيت إلى هذا الأمر حملت إلى قبلة هذا البلد، وشَقَّ صدري ملك من الملائكة المقربين فأخرج منه شيئًا مظلمًا وغسَّله بماء الحيوان من الرياء وسوء الخلق، وكل ما كان للشيطان فيه نصيب، كل ذلك وأنا أنظر بعيني كما فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)].

انظر الجرأة وسوء الأدب في حضرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، كيف يشبهون متصوفهم مع الذي يصدق فيه قول الشاعر:

مضت الدهور وما أتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

لكن هو الذي ينقلون عنه أنه قال: الشيخ في قومه كالنبي في أمته[(٤)].

ولذلك كانوا يجتزون على هذا المقولة: وكان حاله طبق حال رسول الله، وأوصافه موافقة في كل الشئون لأوصاف حبيب الله. وقد جرت عليه أحكام المطابقة الاضطرارية كموت أبيه قبل أمه وهو حمل. وبعضهم قال وهو في

---

(١) أيضًا ص ٢٣٤-٢٣٥ .
(٢) أيضًا ص ٩٤ .
(٣) «القلادة» لأبي الهدى الرفاعي ص ١٤١
(٤) «قلادة الجواهر» لأبي الهدى الرفاعي ص ١٦٥

المهد. وكتسميته بلا سعي منه أحمد، وكشأنه في البطاح العربية وكولادته في قرية حسن وإقامته بأم عبيدة بلدة جده، وموته فيها، وبينهما كما بين مكة والمدينة، وكظهوره بين عرب جفاة، وكبروزه في حالة مظهريته فقيرًا، وكموت أولاده الذكور قبله، وكحصول الذرية له من بنتيه الكريمتين، ومن صلبي ولدي ابن عمه سيف الدين وعثمان كما سيأتي ذكره مفصلًا، وغير ذلك، وكإقبال العامة الفقراء عليه، وكتحمله وحلمه وسعة صدره، وسخاوته، وكقوة عزمه في الله، وكعلو همته على الملوك والخلفاء، وعدم التردد إليهم، وكتواضعه للفقراء، واشتغاله بخدمة الأرامل والأيتام وضعاف الناس وفقراء النصارى واليهود ومحتاجيهم، وبذاك أسلم على يديه منهم خلق لا يحصى عددهم، وككثرة وقوع الإرشاد على يديه وكتمكنه في مرتبة عبادته وعبوديته من غير ملل ولا كسل، ولا استفزه حال ظهوره قط، وكعدم جلوسه على سجادة وجلوسه مع إخوانه كأحدهم، وكثرة صبره على أذية قومه وعشيرته حتى أرشدهم الله على يديه، وكحسن معاشرته ولطف طبعه، وصفاء سريرته، وعذوبة لفظه(١).

وعلى ذلك يقولون بأنه لما ذهب إلى الحج عام ٥٥٥ هـ ووصل مدينة الرسول ﷺ: وقف تجاه حجرة النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال على رءوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي. فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي. سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، فتواجد سيدنا السيد أحمد وأرعد واصفرَّ لونه، وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنَّ طويلًا، وقال: يا جداه:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم؛ فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة، وكان في

---

(١) أيضًا ص ١٣٣

المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحرابي، والشيخ عبد القادر **الجيلي** المقيم **ببغداد**، والشيخ خميس، والشيخ عدي بن **مسافر الشامي**، **وغيرهم**[١].

ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر[٢].

فانظر جرأة هؤلاء القوم على **الكذب، ثم الإصرار** عليه ونسج هذه العبارة، وذكر ذلك **العدد الضخم؛ أي: تسعين ألفًا** من الناس، مع العلم **بالبداهة بأن هذا العدد الضخم لا يمكن وقوفهم** أمام الحجرة الشريفة، ولا **يسعهم المكان في وقت واحد،** ورؤيتهم وسماعهم لو وقع في تلك الجهة وفي ذلك **المكان، ثم سردهم** هذه الأسماء بكل وقاحة، مع أنه لو وقع هذا كله أمامهم لملئوا الدنيا بذكره، وكتبهم بحكايته.

وأيضًا ذلك الجمع الحاشد لو رأوا هذا الأمر وسمعوه، لساروا بذكره ومشَوْا بروايته، وكل هذا لم يحدث، ولم يذكر في كتاب من كتب ذلك المكان في التاريخ والسير والطبقات، اللهم إلا كتب **المتصوفة، والمتصوفة** الرفاعيين بالذات، حتى كتب الطبقات الصوفية أيضًا خالية من ذكرها أيضًا، وكذلك الكتب التي تذكر الرفاعية بالخير والثناء والمدح فيهم، كما لا يوجد في كتب الشيخ الجيلاني إشارة إلى هذا، ولا اسم، ولا رسم، وقد قيل قديمًا: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت[٣].

ولم يكتفوا بهذه الأكذوبة إلا وأضافوا إليها أخرى؛ حيث قالوا: إنه حج مرة ثانية وذلك في العام الذي توفي فيه، وزار قبره ﷺ الذي هو أفضل من الجنة، بل العرش والكرسي. ولما وقف تجاه القبر الشريف يريد الوداع، أنشد قائلًا:

إن قيل زرتم بما رجعتم   يا أشرف الرسل ما تقول

فخرج صوت من القبر الشريف، سمعه كل من حضر في الروض

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٩٨، «القلادة» ص ١٠٨-١٠٩ واللفظ له، «المجالس الرفاعية» مقدمة ص ٢٦-٢٧ وغيرها من الكتب.

(٢) «قلادة الجواهر» ص ١٠٤، مجالس الرفاعية مقدمة ص ٢٧ .

(٣) رواه البخاري ومالك في «الموطأ».

المعطر، وهو يقول:

قــولــوا رجــعــنــا بــكــل خــيــر واجــتــمــع الــفــرع والأصــول[١]

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يذكرون عنه بأنه دخل المطبخ في ليلة من الليالي، فرأى كلابًا يأكلون من القوصرة وهم يتخارشون، فوقف ﷺ على الباب يحفظهم لئلا يدخل عليهم أحدٌ يؤذيهم، وهو يقول لهم: أي مباركين، كلوا واسكتوا، ولا تتخارشوا لئلا يعلم بكم أحدٌ فتمنعوا، وكان يدور وراء الكلاب المدودين ليداويهم، فربما هرب منه الكلب يمشي وراءه، ويتعطف بخاطره، ويقول: أي مبارك، إنما أريد مداواتك[٢].

هذا، وقد ذكرنا فيما سبق أنه كان يسلِّم على الكلاب وغيرها من الحيوانات، وإذا رأى خِنْزيرًا يقول له: أَنْعِمْ صَبَاحًا[٣].

وذكروا عنه أشياء أخرى في تلك التفاهة، منها: كان إذا نامت على كمه هِرَّة وجاء وقت الصلاة يقطع كمه من تحتها ولا يوقظها، فإذا جاء من الصلاة أخذ كمه، وخاطه ببعضه[٤].

ومنها أن زوجته أعدت له يومًا هريسة، وقدمتها إليه، فقام يصلي ركعتين شكرًا لله تعالى، فبينما هو قائم يصلي إذ جاءت فأرة تدور حول الهريسة وتشتهي، فنهضت عليها هِرَّة وقطعت رأسها؛ فلما فرغ من صلاته بكى، ثم نحى الهريسة عنه، فقالت: له زوجته: أي سيدي، لِمَ نحيتها عنك؟ فقال: أي بنت الصالح، ما تقطع فيه الرءوس لا تشتهيه النفوس[٥].

إلى مثل ذلك من القصص التافهة الكثيرة، نعرض عن ذكرها تجنبًا عن الإطالة.

وينقلون عنه أن بعض أصحابه رآه في المنام في مقعد صدق مرارًا ولم

---

(١) «قلادة الجواهر» ص ١٠٤

(٢) أيضًا ص ٦٣

(٣) انظر «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٤٢

(٤) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٤٢، «قلادة الجواهر» ص ٦٢ .

(٥) «قلادة الجواهر» ص ٦٢

يخبره، وكان للشيخ امرأة بذيئة اللسان تُسَفِّهُ عليه وتؤذيه. فدخل عليه الذي رآه في مقعد صدق يومًا، فوجد بيد امرأته محراك التنور، وهي تضربه على أكتافه، فاسود ثوبه وهو ساكت، فانزعج الرجل، وخرج من عنده، فاجتمع مع أصحاب الشيخ وقال لهم: يا قوم، يجري على الشيخ من هذه المرأة هذا وأنتم سكوت؟ فقال بعضهم: مهرها خمسمائة دينار، وهو فقير، فمضى الرجل وجمع خمسمائة الدينار وجاء بها إلى الشيخ في صينية، فوضعها بين يديه، فقال له: ما هذا؟ فقال: مهر الشقية التي فعلت بك كذا وكذا. فتبسم وقال: لولا صبري على ضربها ولسانها ما رأيتني في مقعد صدق[١].

ومات بمرض بالبطن، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله، فمات سنة ٥٧٠ هـ على قول الشعراني في «طبقاته»[٢].

وسنة ٥٧٨ هـ على قول الأكثر[٣].

وكان يردد قبل وفاته هذه الأبيات:

إذا جنَّ ليلي هام قلبي بذكركم — أنوحُ كما ناحَ الْحمامُ المطوَّقُ

وفوقي سَحابٌ يُمطر الهمَّ والأسى — وتحتي بحارٌ بالأسى تتدفَّقُ

سلوا أمَّ عَمروٍ كيف بات أسيرُها — تفكُّ الأُسارى دونه وهو موثقُ

فلا هو مقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ — ولا هو ممنونٌ عليه فيطلقُ[٤]

تزوج الرافعي بعديد من النساء ولم يعقب. فخلفه على مشيخة الرفاعية علي بن عثمان الذي كان يقول: من كان له منكم حاجة، فليلزمني بها، ومن شكى من سلطانه، أو من شيطانه، أو زوجته، أو دابته، أو أرضه إن كانت لا تنبت، أو نخلة له لا تثمر، فليلزمني بها؛ فإني مجيب له، ودركه علي[٥].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ج ١ ص ١٤٤

(٣) انظر «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج ١ ص ٢٩٨، مقدمة «المجالس الرفاعية» ص ٢٣٥، «شذرات الذهب» ج ٤ ص ٢٥٩ العبر ج ٣ ص ٧٥ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٧٢

(٥) «قلادة الجواهر» ص ٣٢٣ .

ونقل عنه تفسير باطني مثل تفسيره قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾

فقال: الملك هو الله -عز وجل- والقرية قلبك. فسد المنزل على المتوطنين وأزعجهم، والمراد بالمتوطنين الرياء والنفاق وسوء الخلق والتزوير والبهتان والفساد والطغيان وكل ما هو خلاف رضاء الرحمن، والمراد بأعزة تلك الشياطين فيذلهم ويهينهم[١].

ومات سنة ٥٨٤ هـ. فخلف بعده عبد الرحيم بن عثمان ومات سنة ٦٠٤هـ. ثم خلفهم إبراهيم الأعظم والذي يقولون فيه: هو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرَّفه في الكون، وخرق له العادات، وأظهر علي يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، ومكّنه من أحوال النهاية، وملَّكه أسرار الولاية، ونصبه قدوة وحجة، وهو أحد أركان هذا الشأن، وأمام أئمة سادته، وأعلم العلماء بأحكامه، وأولي الأيدي والأبصار بمناهجه علمًا وعملًا وزهدًا وتحقيقًا ورياسة وجلالة[٢].

ثم الآخرون، وقد ذكر معظمهم محمد أبو الهدى الرفاعي[٣].

وبعدئذ تعلموا السحر كما قال الإمام الذهبي: ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوالٌ شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران، وركوب السباع، واللعب بالحيات[٤].

وقال ابن خلكان: ولأتباعه أحوالٌ عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول إلى التنانير وهي تضطرم من النار فيطفئونها. ويقال: إن في بلادهم يركبون الأسود[٥].

---

(١) أيضًا من ٣٢٥-٣٢٦ .

(٢) أيضًا ص ٣٣١ .

(٣) من أراد التفصيل فليرجع إلى ذلك.

(٤) انظر «العبر للذهبي» ج ٣ ص ٧٥ .

(٥) «وفيات الأعيان» لابن خلكان ج١ ص ١٧٢ .

ولقد أقر بذلك محمد أبو الهدى من الرفاعية، والنبهاني من الصوفية وغيرهم.

كما ذكر كل ذلك شيخ الإسلام ابن تيميَّة في فتاوله، واستنكر عليهم أعمالهم هذه، ونسبها إلى الشيطان، لا إلى الرحمن، كما ذكر مناظرته معهم، وتحدِّيه بدخوله النار معهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة[1].

وقد حدث لنا شخصيًا سنة ١٩٦٥م في مدينة سامراء المليئة بالرفاعيين في بيت أحد السادة الأشراف مثل ما حدث لشيخ الإسلام بعد ما كان سؤالي على أحد زعمائهم في تلك المدينة: إن كان السلاح والرماح والسكاكين لا تؤثر فيكم، فلِمَ لا تذهبون إلى القتال، والعراق في أشد الحاجة وأمسها إلى أمثال هؤلاء الذين لا يؤثر فيهم الرصاص وغيرها من الأشياء؟! كما نازلته وتحديته بأنه لو أعطى المسدس في يدي وأطلق الرصاص بنفسي فآنذاك أرى بأنه يؤثر أو لا يؤثر، فلم يسعه إلا الفرار والإنكار، وذلك القول الذي قالوه أمام شيخ الإسلام بأن هذه الكرامات لا تظهر أمام المنكرين، وعبارة صحيحة وصريحة منقولة بالأمانة العلمية التي قالها آنذاك أمام الوهابيين.

ونريد أن نذكر أخيرًا أن الإتيان بمثل هذه الأمور ليست بخاصة بالرفاعية، بل رأينا مثلها، وشاهدناها بأنفسنا في بلادنا من الآخرين، سواء من الذين ينتمون إلى الإسلام انتماء محضًا، ومن الهنادكة والمشركين أيضًا.

وأما ما ذكره محمد فريد وجدي في دائرته تحت ذكر الرفاعي، فهو عدل وصدق، فنريد أن نثبته هنا، فيقول: أما ما يروى عن أتباعه من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك، فيظهر أنه صحيح، وهو أثر من آثار سلطة الروح على الجسم، وإشراقها عليه بسلطانها حين يدخل الإنسان في حالة غير اعتيادية، سواء أكانت بالذكر أم بالتنويم المغناطيسي. وقد روت مجلة

---

(١) انظر لذلك «فتاوى شيخ الإسلام» ج ١١ ص ٤٥٥، أيضًا «الرسائل والمسائل» لشيخ الإسلام ج ١ ص ١٤١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

المجلات الفرنسية عن الأستاذ الإنجليزي الكيماوي كروكس رئيس الجمعية الملكية العلمية الإنجليزي سابقًا **أنه وضع جذوة** نار في يد فتاة نوَّمها نومًا مغناطيسيًا، فلم تتأثر بها مطلقًا؛ **فأعلن الأستاذ المومأ إليه عن هذه الحادثة، وأعقب إعلانه بقوله**: إنه باعتباره كيماويًا **لا يعرف أية مادة كيماوية تحمي الجلد من الاحتراق مطلقًا**.

وقد كتبت مجلة المجلات الفرنسية سنة ١٩٨٦م فصلًا تحت عنوان: الكهان الذين **لا يحترقون، أثبتت فيه** أن لدى الوثنيين من سكان جزائر (فيجي) وغيرها **حوادث من هذا القبيل؛ فيدخل** كهانهم إلى النيران المستعرة بدون أن يمسهم ضرر، **وقد حصل ذلك بمرأى من بعض علماء** أوروبا. وقد جاء في المجلة الروحية في عدد يونيو من سنة ١٩٠٠م أن الكاتب المشهور (أندرولنج) قام في جمعية العلوم النفسية بـ(لوندرة) وتلا فصلًا أثبت فيه هذه المسألة بكل وضوح؛ وأبان أنها حصلت في كل زمان ومكان. وقد كتبت مجلة (جورنال الجمعية البولينزية) تحت إمضاء أحد الضباط الإنجليز حادثة رآها بنفسه، قال ما ملخصه: أشعلوا التنور في الصباح، وفي الساعة الثانية بعد الظهر سرنا إليه، وانتظمنا حوله، فجاء الكاهن وتلامذته، فتلا ألفاظًا طِلسْمِيَّة، ثم مشَوْا بأرجلهم حُفاةً على أحجارٍ قد سخَّنُوها لدرجة البياض، ثم جاء الكاهن إلى المستر (جودين)، وقال له: قد وهبتك المقدرة على اقتحام النار. فاقتحمنا جميعًا، وكنا أربعة أوربيين: أنا والدكتور و(جريج) والدكتور (جورج جريج) والمستر (جودين)، فلم تؤثِّر النار على أقدامنا أصلًا، ولكن عصى أحدنا أمر الكاهن؛ فنظر خلفه؛ فاحترقت قدماه احتراقًا مُرًّا.

ونقل المستر (أندرولنج) المتقدم ذكره في الجلسة ذاتها أن الدكتور (هوكن) العضو في جمعية النباتات قد رأى مثل ذلك في جزيرة (فيجي)، قال ما ملخصه: إنه رأى أنهم أوقدوا تنورًا لدرجة (٢٨٢ ْ) من مقياس فهرنهايت، فجاء سبعة كهان بين لغط شديد، وهموا بدخول النار، فاستأذن الدكتور من رئيسهم أن يفحصوا فحصًا علميًا؛ فأذن له فعلًا في تدقيقهم، حتى إنه لحس أجسامهم ليتحقق من عدم وجود شيء. قال: ثم دخلوا النار، فلم تصبهم

بأدنى أذًى، ثم خرجوا ففحصتهم ثانيًا، فلم أجد أثرًا للحرق[١].

وبقيت هناك قضية علاقة الرفاعي مع معاصره **الشيخ عبد القادر الجيلاني**، سنذكرها عند ذكر القادرية.

وللرفاعية أورادٌ مخصوصة كثيرة نذكر **نبذة منها، فيقولون**: ومن أحزابه الشريفة هذا الحزب، واسمه **الحزب الصغير، وهو**:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم، إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك، وبأنواع أجناس أنفاس **رُقُوم نُقُوش أنوارك**، وبعزيز إعزاز أعز عزتك، وبحول طول حول شديد قوَّتك، وبقدر مقدار اقتدار قدرتك، وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك، وبسموِّ نُموِّ عُلوِّ رفعتك، وبحيوم قيوم بنوم دوام أبديتك، وبرضوان غفران أمان رفعتك، وبرفيع بديع منيع سلطانك، وبصلاة سعاة بساط رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق صحيح وهيج بهيج وهيج نور ذاتك، وببهر قهر جهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير تيار أمواج بحرك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين بواذخ كرسيك، وبهيكليات علويات رُوحانيَّات أملاك عرشك، وبالأملاك الرُّوحانيين المديرين الكواكب أفلاكك، وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك، وبحرقات زفرات جمعات الخائفين من سطوتك، وبآمال نوال أقوال المجتهدين في مرضاتك، وبتحمد تمسجد تجلد العابدين على طاعتك، وبتخضع تخشع تقطع مرائر الصابرين على بلوائك. يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا قديم، يا مقيم، اطمس بِطِلَّسْم.

ومن أحزابه الغريبة العجيبة: المص الر الر الر المر المر المر كهيعص ط طسم طس طسم الم الم الم الم يس ص حم حم حمعسق حم حم حمعسق حم حم ق ن محمد رسول الله حصنى مكملًا، أبو بكر يميني حرزًا ووكيلًا، وعمر بن الخطاب عن يساري عزًا وتجملًا، وعثمان بن عفان من خلفي قوة وحولًا، وعلي بن أبي طالب أمامي مهابة، لا إله إلا أنت أحون قاف آدم حم هاه آمين.

---

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ٢٦٦-٢٦٧

شتوش هموش أطوش شرح خمدت النذر من مخفته[١].

فهذه هي الأوراد وأمثالها التي قال فيها بعض الرفاعية:

عـلـيـك بـأوراد الـرفـاعـي إنهـا إلى شيخ أشياخ الطرائق تنسب
وداوم عليها فهي حصن وجنة ودرع لـدفـع الـنـائـبـات مـجـرب
وباب بوصل العبد بالله عامر ونهج به للمصطفى يتقرب[٢]

وأحيانًا **كانوا يرددون مثل** هذه الأوراد لنيل المآرب وحصول المطالب، فيذكر أحد الرفاعيين: **كنت أمشي** تحت جبل قاف، فجاء وقت الصلاة، فتوضأت، وصليت، **وقرأت الورد الشريف**، ثم ذكرت اسم سيدي أحمد (الرفاعي)، فلما أتممت جاءت حية عظيمة وفي فمها درة، فألقتها أمامي، ثم أنطقها الله، فقالت: خذ هذه الهدية مني لحضرة سيدي أحمد. فتعجبت، وقلت: أتعرفين سيدي أحمد؟ فقالت: عجيبٌ هذا، هل على بساط الأرض من رطب ويابس من يجهل سيدي أحمد الرفاعي؟! بلِّغه سلامي، فأنا من مريديه[٣].

وعلى كلٍّ فهذا هو الرفاعي الذي يعرفه كل رطب ويابس على بساط الأرض، وكانت الحيوانات أيضًا من مريديه. وهؤلاء هم الرفاعيون.

۞ ۞ ۞

---

(١) «قلادة الجواهر» في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ص ٣٦٢-٣٦٣ .
(٢) أيضًا ص ٢٦٩
(٣) أيضًا ص ٤٢٩ .

الشاذلية

سلسلة صوفية مشهورة، وطريقة **صوفية منتشرة في مصر** وتونس والجزائر وغيرها من البلدان. **والشاذلية نسبة إلى أبي الحسن** بن عبد الله المولود بغمارة من قرى **سبتة سنة ٥٩٣ هـ**[١].

وقال الكمشخانوي: بل ولد بقرية عمان من قرى إفريقية قرب مرسية، وهي من المغرب الأقصى أيضًا[٢].

ولكن عطاء الله السكندري -وهو تلميذ أبي العباس المرسي- يذكر أن مبدأ ظهوره بشاذلة، ولكن منشأه بالمغرب الأقصى، فلم يعرف بالمنشأ والمولد، بل نسب إلى مبدأ ظهوره[٣].

واختلفوا في نسبه أيضًا، فمريدوه والمتعلقون به ينسبونه إلى الأشراف، ويصلون نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كعادة أهل كل طريقة صوفية، ولو أنهم يختلفون فيما بينهم في أسماء آبائه، فالبعض ينسبونه إلى إدريس بن عبد الله المبايع له ببلاد المغرب[٤].

وبعضهم إلى غيره[٥].

---

(١) «النفحة العلية في الأوراد الشاذلية» ص ٢٢٦ ط مكتبة المتنبي بالقاهرة، أيضًا «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٠ .

(٢) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ١١٥ طبعة قديمة.

(٣) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري ص ١٣٥ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤ .

(٤) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١١٥ .

(٥) انظر «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري ص١٣٥، «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٤٥٩ .

وأما الجامي، فينسبه في نفحته إلى الحسين، لا إلى الحسن[1].

وكان ضريرًا كما سماه ابن الملقن والشعراني بالضرير الزاهد[2].

ولكن لم تتضرر عيناه إلا بعد مدة من تحصيل العلم كما يظهر من ترجمته في مختلف الكتب[3].

وانتقل في صغره إلى مدينة تونس، فبدأ يتنقل من مدينة إلى مدينة وبلدة إلى بلدة، حتى حج ثم دخل العراق، وبدأ يفتش هناك عن القطب الصوفي - حسب زعمه- وقال له أحد الأولياء هناك: إنك تبحث عن القطب بالعراق، مع أن القطب ببلادك، ارجع إلى بلادك تجده[4].

فرجع إلى بلاده باحثًا ومفتشًا عن القطب، يسأل عنه المقبل والمدبر والراحل والمقيم إلى أن اجتمع به، وهو أبو محمد عبد السلام بن مشيش، فيقول الشاذلي: أتيت إليه، وهو ساكن مغارة برباط رأس جبل، فاغتسلت في عين أسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي، وطلعت إليه فقيرًا، وإذا به هابط إلي، فقال: مرحبًا يا علي، وذكر نسبي إلى رسول الله[5].

ثم قال لي: يا علي، طلعت إلينا فقيرًا من علمك وعملك، وأخذت منا غنى الدنيا والآخرة، فأخذني منه الدهش، فأقمت عنده أيامًا إلى أن فتح الله عليّ بصيرتي[6].

وعبد السلام هذا ينقل فيه الشيخ الأكبر للأزهر سابقًا عبد الحليم محمود عن صاحب «الدرة البهية»: هو القطب الأكبر، والعلم الأشهر، والطود الأطهر العالي السنام.

---

(١) انظر «نفحات الأنس» للجامي ص ٥٦٧ (فارسي) ط إيران.

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص ٤٥٨، «الطبقات الكبرى» للشعراني ج ٢ ص ٤ .

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ص ٥٦٢ وغيرها من الكتب.

(٤) «درة الأسرار» ص٢٣ نقلًا عن «أبي الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣ .

(٥) «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص١١٦

(٦) «المدرسة الشاذلية وإمامها «أبو الحسن الشاذلي»» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣ ط دار الكتاب الحديث القاهرة.

هو البدر الطالع الواضح البرهان، الغني عن التعريف والبيان. **المشتهر في الدنيا قدره**، والذي لا يختلف في غوثيته اثنان. وطريقه **ترياق شاف لأدواء العباد**، وذكره رحمة نازلة في كل ناد. سرى سره **في الآفاق**، وسارت بمناقبه الركبان والرفاق. قضى عمره في العبادة، **وقصده للانتفاع أهل** السعادة.

وكان ﷺ في العلم في الغاية، **وفي الزهد في** النهاية، جمع الله له الشرفين: **الطيني والديني، وأحرز الفضل المحقق** اليقيني[1].

ويذكره الشاذلي بنفسه هو ومكانته السامية ودرجته الرفيعة، ومعرفته وعلمه **بما يختلج في صدور الناس، وفيضه** وفيضانه بقوله: كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد: هل ألزم البراري والقفار للتفرغ والطاعة والأذكار، أو أرجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار؟! فوُصف لي ولي هناك، وكان برأس جبل فصعدت إليه، فما وصلت إليه إلا ليلًا، فقلت في نفسي: لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعته يقول من داخل المغارة: اللهم إن قومًا سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك، قال فالتفت إلى نفسي، وقلت: يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ؛ فلما أصبحت دخلت إليه فأرعبت من هيبته، فقلت له: يا سيدي كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار. فقلت: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا؟ فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله. قلت: يا سيدي، سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قومًا سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك. فتبسم ثم قال: يا بني، ما تقول: سخر لي خلقك؛ قل: يا رب كن لي. أترى إذا كان لك أيفوتك شيء؟ فما هذه الجناية[2].

---

(١) أيضًا ص ٢٤ .

(٢) «لطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري ص١٥٩، ١٦٠ ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤م.

وحتى ابنه الصغير يعلم ما في قلوب الناس كما يذكر الشاذلي أيضًا: كنت يومًا بين يدي الأستاذ فقلت في نفسي: ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟! فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم الأعظم، إنما الشأن من يكون هو عين الاسم، فقال الشيخ من صدر المكان: أصاب وتفرس فيك ولدي[(١)].

ويقول ابن عطاء الله السكندري: إن طريقة الشاذلي تنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينتسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب[(٢)].

وبعد مدة من الزمن وبقائه عند ابن مشيش قال له شيخه ابن مشيش: يا علي، ارتحل إلى أفريقية واسكن بلدًا بها تسمى شاذلة، فإن الله يسميك شاذليًا، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية[(٣)].

ولما ورث القطبانية، وظهر بالخلافة الكبرى والولاية الكثرى والقطبية العظمى والغوثية الفردى، وخصه الله بعلوم الأسماء، ومنَّ عليه بأعلى مقامات الأولياء، وخصوصيات الأصفياء، وانفرد في زمانه بالمقام الأكبر والمدد الأكثر والعطاء الأنفع والنوال الأوسع[(٤)].

بدأ يقول كما ذكروا عنه أنه قيل للشيخ أبي الحسن: من هو شيخك؟ فقال: أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب لأحد، بل أعوم في عشرة أبحر: خمسة من الآدميين؛ النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر

---

(١) أيضًا ص ١٦٠

(٢) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الأسمر الفيتوري، أيضًا «لطائف المنن» للسكندري ص٦٥ .

(٣) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٧، كذلك «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٩، أيضًا النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٢٨ .

(٤) «جامع الأصول في الأولياء» لأحمد «الكمشخانوي» ص١١٧ط المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨هـ.

وعثمان وعلي. وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأكبر[١].

وتصرف في أحكام الأولياء ومددها بالإذن **والتمكين، وانفرد** بسؤددها حق اليقين وأمده الأولياء أجمعين، وكذا **الصديقين، ونال مقام** الفردانية الذي لا **يجوز** المشاركة فيه **بين اثنين، وأجمع على ذلك** من عاصره من العلماء **العارفين والأولياء المقربين وخواص الصديقين**، وشهد بقطبانيته وفردانيته الجم الكثير[٢].

وبدأ يقول: والله لقد جئت في هذا الطريق ما لم يأت به أحد[٣].

حتى تعالى وتفاخر قائلًا: قدمي على جبة كل ولي لله[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الحليم محمود الذي تولى مشيخة الأزهر، وتخرج في جامعة فرنساوية كتب كتابًا في تمجيد الشاذلي ومدح الشاذلية، ففي ذلك الكتاب يذكر أن الله كلمه على جبل زغوان، الجبل الذي اعتكف الشاذلي فيه في قمته، وتعبد وتحنث، والذي يذكره عن نقلًا صاحب كتاب «درة الأسرار».

قرأ الشيخ على جبل زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أصابه حال عظيم، وجعل يكررها ويتحرك، فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها... وما كانت حياته على الجبل إلا على نباتات الأرض وأعشابها[٥].

وعلى هذا الجبل ارتقى منازل، وتخطى مراتب؛ حيث نبع له عين تجري

---

(١) «لطائف المنن» للسكندري ص١٤٦، «الطبقات الكبرى» للشعراني ج٢ص٧، «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ص ١٧٦، «النفحة العلية» ص٢٢٩ .

(٢) «جامع الأصول» ص١١٧ .

(٣) «لطائف المنن» ص١٤٦ .

(٤) «جامع الأصول في الأولياء» ص١١٧

(٥) انظر المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٣٢ .

بماء عذب. ثم بدأت الملائكة تحف بأبي الحسن. بعضها يسأله فيجيبه، وبعضها يسير معه.

ثم تأتيه أرواح الأولياء زرافات ووحدانًا تحف بأبي الحسن وتتبرك به[(١)].

وبعد تجاوز هذه المراتب كلها التي أهّلته لأن يخاطب الرب بدون واسطة ولا ملك، **كلمه الرب** تبارك وتعالى حسب قول ذلك الدكتور، فقال له: يا علي، **اهبط إلى الناس ينتفعوا** بك. فقلت: يارب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم. **فقيل لي: انزل فقد** أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة. فقلت: تكلني إلى الناس **آكل من دريهماتهم**. فقيل لي: أنفق يا علي، وأنا الملي، إن شئت من الجيب **وإن شئت من الغيب**.

ونزل الشاذلي ﵁ من على الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه.

وقبل أن نغادر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة نذكر ما حكاه ﵁ فيما يتعلق بنسبته إلى شاذلة، قال: قلت: يا رب لم سميتني بالشاذلي، ولست بشاذلي. فقيل لي: يا علي، ما سميتك بالشاذليّ، وإنما أنت الشاذُّلي بتشديد الذال المعجمة، يعني: المفرد لخدمتي ومحبتي[(٢)].

وقبله، قد تكلم به رسول الله ﷺ من داخل حجرته الشريفة، كما ذكر ذلك الدكتور عبد الحليم محمود نقلًا عن «درة الأسرار» عن أبي الحسن: لما قدم المدينة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين، يستأذن على رسول الله ﷺ تسليمًا.

فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾.

---

(١) بألفاظ عبد الحليم محمود وبحروفه انظر ص٣٣ من كتابه «أبو الحسن الشاذلي» ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٢) أيضًا ص ٣٥ .

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام: يا علي ادخل[١].

فمن يكن هذا شأنه ومقامه ومكانته لا يستبعد عنه أن يقول: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكن في غد وبعد غد إلى يوم القيامة[٢].

وأيضًا: أُعطيت سجلًا مد البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار[٣].

وعلى ذلك ينقل عنه السكندري عن شيخه أبي العباس المرسي خليفة أبي الحسن الشاذلي وتلميذه الخاص به أنه قال:

قال لي عبد القادر النقاد - وكان من أولياء الله-: اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن. فقلت له: وأين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش. فقلت له: ذاك مقام تنزل لك الشيخ فيه حتى رأيته.

وإلا مقامه فهو فوق ذلك، وقد صرح بذلك حيث يواصل كلامه فيقول: ثم دخلت أنا وهو على الشيخ؛ فلما استقر بنا المجلس قال الشيخ ﷺ: رأيت البارحة عبد القادر النقاد في المنام فقال لي: أعرش أنت أم كرسي؟ فقلت له: دع عنك ذا، الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه[٤].

وذكروا من جملة كراماته أنه أثناء سفره إلى الإسكندرية مكث بتونس مدة، واشتهر أمره وذاع صيته، والتف حوله خلق كثير فحسده فقيه تونس وقاضي قضاتها ابن البراء فوشاه إلى السلطان، ودس له عنده، وتكلم في

---

(١) «أبو الحسن الشاذلي» ص٨٣ .

(٢) «الكمشخانوي» ص١١٦ ، «النفحة العلية» ص٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

(٣) «جامع الأصول في الأولياء» ص١١٦ ، «النفحة العلية في أوارد الشاذلية» ص٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

(٤) «لطائف المنن» للسكندري ص ١٤٣ ، ١٤٤ ط مطبعة حسان القاهرة.

نسبه، ولكن السلطان لم يمسه بسوء، ووقره في قلبه واحترمه، ولكن منعه من الخروج، وما إن منعه إلا وماتت جاريته في ذلك الحين التي أحبها، فملكت عليه جميع أقطاره، ثم التهبت النار في البيت، فلم يشعروا حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر، فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي[1].

ولكن من الغرائب أنه لم يصب ابن البراء شيء، مع تصريح عبد الحليم محمود وغيره أنه بقي على عدائه للشاذلي ومخالفته له إلى أن الشاذلي كان يسلم عليه فلم يكن ابن البراء يرد عليه السلام، وكان يطعن في نسبه[2].

ولكن أنى للمختلقين العقل، ومن أين للقصاصين العقل، والمسامرين الوضاعين الفكر؟!.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا!

وهل يستبعد هذا من أولئك الناس الذين يفضلون هؤلاء المتصوفة على أنبياء الله ورسله، ويزعمون فيهم من القدرة والاختيارات، ومعرفة علم الغيب، والتصرف في أمور الكون، وتدبير أمور الدنيا والآخرة، ومددهم الأحياء منهم والأموات، وإعطائهم الثواب والعقاب، وتقسيمهم الجنة والنار لمن يريدون ويزعمون إعطاءه، ويصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالواحد القهار الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، وأمر سيد الخلائق وأفضل المخلوقات وأشرف المرسلين بأن يقول:

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

و﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

---

(١) «درة الأسرار» ص ٣٠ .
(٢) انظر «أبو الحسن الشاذلي» ص٤٢ .
(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .
(٤) سورة الأنعام الآية ٥٠ .

و﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

وغيرها من الآيات الكثيرة والأحاديث المستفيضة **التي ذكرناها فيما سبق** في مختلف المباحث والمواضيع، ولكن **المتصوفة يعتقدون في أوليائهم** أوصافًا إلهية ونعوتًا ربانية فيقول **السكندري: لو كشف عن** حقيقة الولي لعُبد؛ **لأن أوصافه ونعوته من نعوته**[2].

ولقد مر بيان عقيدة القوم في متصوفتهم سابقًا، ولكن نريد أن نثبت هاهنا **بمناسبة ذكر الشاذلية والشاذلي ما ذكره** قطبهم بعد الشاذلي - وهو المرسي- في شيخه **نقلًا عن بعض مريديه أنه قال**: صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر العقل؛ وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته، وانبثت الأنوار من وجوده حتى إنني لم أستطع النظر إليه، ولو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم[3].

هذا، ولقد استقر الشاذلي بعدئذ في الإسكندرية بمصر، وتزوج هناك وولد له أولاد، وحبس عليه السلطان برجًا من أبراج السور في أسفله ماجل كبير ومرابط للبهائم، وفي الوسط مساكن الفقراء وجامع كبير، وفي أعلاه علّية لسكناه ولعياله[4].

وكان من عادته إذا ركب تمشي أكابر الفقراء وأكابر الأغنياء حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي أمامه: (من أراد القطب فعليه بالشاذلي)[5].

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٢) «لطائف المنن» للسكندري ص٩٥ مقولة أبي العباس تلميذ أبي الحسن الشاذلي وخليفته في شيخه.

(٣) «لطائف المنن» للسكندري ص٩٥ .

(٤) «درة الأسرار» نقلًا عن «أبي الحسن الشاذلي» ص ٤٥ .

(٥) «الكمشخانوي» ص١١٧، «النفحة العلية» ص٢٢٨، «الكواكب الدرية» للمناوي نقلًا عن «أبي الحسن الشاذلي» ص ٥٤ .

وسنة ٦٥٦هـ سافر للحج. وفي صحراء **عيذاب وافته المنية** فدفن هناك[١].

ويقول الجامي: وكان ماء **هذه الصحراء ملحًا لا يشرب**، ولكنهم بعد ما غسلوه **بمائه صار** ببركته حلوًا عذبًا[٢].

وفي هذه الصحراء ادعى بأنه التقى بالخضر وكلمه، **كما نقلوا عنه أنه** كان يقول: **لقيت الخضر في** صحراء عيذاب، فقال لي: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف **الجميل! وكان لك صاحبًا** في المقام والرحيل[٣].

وقد نقل عن **الشاذلي تفسير بعض** الآيات القرآنية تفسيرًا باطنيًا ينهج فيه منهج الباطنية وأهل **التأويل البعيد، وقد ذكرنا نماذج منها في** كتابنا: «التصوف.. **المنشأ والمصادر**».

ثم خلف بعده علي الشاذلي أبو العباس المرسي، والذي صار قطبًا بعد موته حسب زعمهم، كما ينقلون عن زكي الدين الأسواني أنه قال: قال لي الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا زكي، عليك بأبي العباس، فو الله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء إلا وقد أوصله إلى الله، يا زكي، عليك بأبي العباس، فوالله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلى وقد أطلعه الله عليه، يا زكي، أبو العباس هو الرجل الكامل[٤].

ويقول أبو العباس هذا عن نفسه: والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف حتى يلقوا واحدًا مثلنا، فإذا لقوه كان بغيتهم، ثم قال: وبالله لا إله إلا هو، ما من ولي لله كان أو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه، وكم حظه من الله![٥].

---

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص٤٥٩، أيضًا «الطبقات الكبرى» للشعراني ج٢ص ٤ .

(٢) «نفحات الأنس» للجامي (فارسي) ص ٥٧٠ ط طهران.

(٣) «لطائف المنن» ص ١٥١، «طبقات الشعراني» ج٢ص٥، «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص١٨٣، «أبو الحسن الشاذلي» ص٣٩ .

(٤) انظر «لطائف المنن» ص١٦٨

(٥) «لطائف المنن» ص ١٦٨

وهو الذي قال: والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين[1].

وكان يقول: لا أعلم أحدًا اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض.

وقدّم إليه بعضهم طعامًا فيه شبهة يمتحنه، فامتنع الشيخ من أكله، وقال: إنه كان للشيخ المحاسبي عرق في أصبعه يضرب إذا مد يده إلى شبهة، فأنا في يدي ستون عرقًا تضرب، فاستغرب الرجل وتاب على يديه[2].

وتكلم يومًا في القطب وأوصافه ثم قال: وما القطبانية بعيدة من بعض الأولياء. وأشار إلى نفسه[3].

قال: لو علمت العراق والشام ما تحت هذه الشعرات، لأتوها ولو سعيًا على وجوههم[4].

وكان المرسي هذا أيضًا يدعي صحبة الخضر واللقاء معه[5].

وكان له تأويل باطني مثلما كان لأستاذه وشيخه، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه عطاء الله السكندري: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: في قوله عز وجل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله[6].

وكان كأستاذه يعتني بكتاب «الإحياء» لأبي حامد الغزالي، وكتاب «قوت

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج٢ ص١٤، «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج١ ص٣١٤، أيضًا «لطائف المنن» للسكندري ص١٦٩.

(٢) «نفحات الأنس» للجامي ص٥٧٢، أيضًا «الطبقات الكبرى» للشعراني ج٢ ص١٤، أيضًا «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج١ ص٣١٤.

(٣) «لطائف المنن» ص١٧٩

(٤) أيضًا.

(٥) انظر «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج١ ص٣١٤.

(٦) «لطائف المنن» ص٦٣

القلوب» لأبي طالب المكي، وكتب «ختم الأولياء» للحكيم الترمذي، وكتاب «المواقف والمخاطبات» لمحمد عبد الجبار النفزي[١].

مات سنة ٦٨٦هـ[٢].

ثم خلفه على مشيخة الشاذلية ياقوت العرش، وكان حبشيًّا.

وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان لما أنكر على سيدي أحمد البدوي ﷺ وسلب عمله وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء، ولم يقبل سيدي أحمد شفاعتهم فيه، فسار من الإسكندرية إلى سيدي أحمد، وسأله أن يطيب خاطره عليه، وأن يرد عليه حاله فأجابه.

ثم إن سيدي ياقوتًا زَوَّجَ ابن اللبان ابنته، ولما مات أوصى أن يدفن تحت رجليها إعظامًا لوالدها الشيخ ياقوت.

وإنما سمِّي العرش؛ لأن قلبه لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلا جسده. وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش. وكان ﷺ يشفع في الحيوانات. وجاءته مرة يمامة، فجلست على كتفه وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرَّت إليه شيئًا في أذنه، فقال: باسم الله ونرسل معك أحدًا من الفقراء. فقالت: ما يكفيني إلا أنت. فركب بغلته من الإسكندرية. وسافر إلى مصر العتيقة حتى دخل إلى جامع عمرو، فقال: أجمعوني على فلان المؤذن. فأرسلوا وراءه، فجاءه، فقال له: هذه اليمامة أخبرتني بالإسكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة. فقال: صدقت، قد ذبحتهم مرارًا. فقال: لا تعد. فقال: تبت إلى الله تعالى. ورجع الشيخ إلى الإسكندرية ﷺ.

ومناقبه ﷺ كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية وغيرها[٣].

ثم خلفه ناس آخرون، فاشتهر من بينهم محمد المغربي الذي يقولون عنه بأنه تنبأ بظهوره الشاذلي، فقال: يظهر بمصر رجل يعرف بمحمد يكون فاتحًا

---

(١) انظر «لطائف المنن» ص ١٧٩، ١٨٠، كذلك «أبو الحسن الشاذلي» ص٥٥ وما بعدها.

(٢) «طبقات الشعراني» ج٢ ص١٣

(٣) أيضًا ص٢٨، ٢٩ .

لهذا البيت، ويشتهر في زمانه، ويكون له شأن[١].

وهو الذي قال: أعطيت الشاذلية ثلاثًا لم تحصل لمن قبلهم، ولا لمن بعدهم:

الأول: أنهم مختارون في اللوح **المحفوظ**.

الثاني: أن المجذوب **منهم يرجع إلى الصحو**.

الثالث: **أن القطب منهم إلى يوم القيامة**[٢].

وآخر **هذه الثلاث يجب أن** يركز عليه، فإن كل طائفة من الطوائف الصوفية تدعي أن القطب منهم، ولا يرضى بهذه المقولة أحدٌ من غير الشاذلية.

وآخرون مثل علي بن عمر القرشي، وناصر الدين بن محمد عبد الدائم، وابن عبد الرحمن بن إبراهيم، ومعصوم بن أحمد وغيرهم العديدون[٣].

فهذا هو الشاذلي، وأولئك الشاذلية ومشايخهم، وقد اشتهر عن الشاذلية أورادٌ عديدة، منها حزب البر، وحزب البحر، والحزب الكبير، وغيرها من الأحزاب والأوراد، اختلقوا لها فضائل ومناقب لم ينزل الله بها من برهان، ذكرها كل من عطاء الله السكندري في كتابه: «لطائف المنن». والدكتور عبد الحليم محمود في كتابه «المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي». والآخر في «النفحة العلية في الأوراد الشاذلية».

وبهذا نختم هذا الفصل.

۞ ۞ ۞

(١) انظر «الكمشخانوي» ص١١٧

(٢) «الكمشخانوي» ص١١٦

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية أردو مقال دي أيس مار جليوس ج١١ ص٥٦٤ وما بعد.

القادرية

ومن **الطرق** المشهورة في بلاد إفريقيا والبلدان العربية وشبه القارة الهندية الباكستانية، **نسبة إلى عبد** القادر الجيلي أو الجيلاني «نسبة إلى جيل، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: جيلان وكيلان»[١].

والنسبة إليها جيلي، وجيلاني، وكيلاني[٢].

ولد سنة ٤٧١ هـ[٣]. وقيل: سنة ٤٧٠ هـ[٤].

في بيت أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست، وأمه أم الخير فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الزاهد، حملت به وهي بنت ستين سنة[٥].

ويحكون عنها أنها قالت: لما وضعت ابن عبد القادر كان لا يرضع ثديي في نهار رمضان، وغم على الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني عنه، فقلت: لَمْ يلتقم اليومَ ثديًا. ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر في بلدنا ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان[٦].

ويحكون عن عمته بأنها كانت ولية من كبار الأولياء؛ حيث إن جيلان

---

(١) «شذرات الذهب» ج٤ ص١٩٨ .

(٢) «الأنساب» ج٣ ص٤١٤ .

(٣) «بهجة الأسرار» ومعدن الأنوار لنور الدين الشنطوفي المتوفى ٧١٣هـ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة، أيضًا «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي ج٢٠ ص٤٣٩ .

(٤) «الفتح المبين» للسيد ظهير القادري ص٤ ط.

(٥) «قلائد الجواهر» في مناقب الشيخ عبد القادر لمحمد بن يحيى التادفي ص٣ ط دار الكتب العربية الكبرى البابي الحلبي.

(٦) «بهجة الأسرار» للشنطوفي ص٨٩، «قلائد الجواهر» لابن التادفي ص٣ «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص٥، «الطبقات الكبرى» للشعراني ص١٢٦، «نفحات الأنس» للجامي ص٥٠٧، «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص٩٠ .

أجدبت مرة، واستسقى أهلها فلم يسقوا، فأتى المشايخ إلى دار الشيخة أم محمد عائشة عمة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وسألوها الاستسقاء، فقامت إلى رحبة بيتها، وكنست الأرض، وقالت: يا رب، أنا كنست، فرشّ أنت. قال. فلم يلبثوا أن أمطرت السماء كأفواه القِرَب، ورجعوا إلى بيوتهم يخوضون في الماء[1].

ويقولون: إن الشيخ من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب «فوات الوفيات» ينهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما هنالك اختلاف في أسماء آبائه إلى علي رضي الله عنه وعددهم.

وقد أنكر قوم انتسابه إلى الأشراف والعرب أيضًا، ونسبوه إلى قبيلة من قبائل العجم، وقد حرر في هذه القضية مباحث وكلام كثير، وألفت فيها كتب ورسائل منها «ترياق المحبين» لتقي الدين الواسطي وغيره من الكتب، كما رفعت حول نسب الشيخ نزاعات إلى قضاء بغداد، والله أعلم بحقيقة الحال.

ويذكر الصوفية أنه قدم بغداد في الثامنة عشرة من عمره، فلما دخل إلى بغداد وقف له الخضر عليه السلام، ومنعه من الدخول، وقال له: ما معي أمر بأن تدخل إلى سبع سنين. فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتى صارت الخضرة تبين من عنقه، ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب: يا عبد القادر، ادخل بغداد. فدخل، وكانت ليلة مطيرة باردة، فجاء إلى زاوية الشيخ حماد بن مسلم الدباس، فقال الشيخ: أغلقوا باب الزاوية، وأطفئوا الضوء. فجلس الشيخ عبد القادر على الباب، فألقى الله تعالى عليه النوم؛ فنام فأجنب، ثم قام فاغتسل، فألقى الله تعالى عليه النوم فأجنب، ولم يزل كذلك سبع عشرة مرة، وهو يغتسل عقب كل مرة، فلما كان عند الصباح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر، فقام إليه الشيخ حماد فاعتنقه وضمَّهُ إليه وبكى، وقال له: يا ولدي عبد القادر، الدولة اليوم لنا، وغدًا لك، فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة[2].

---

(١) «بهجة الأسرار» ص٨٩ .

(٢) «قلائد الجواهر» لابن التادفي ص٣ .

وأما النبهاني، فقال: إنه احتلم في ليلته تلك أربعين مرة[١].

وقال صاحب «الفتح المبين»: سبعين مرة[٢].

ويعلم الأذكياء ما الذي يدل عليه هذا الاختلاف.

وبدأ يدرس في بغداد، وقصد الأشياخ الأئمة أعلام الهدى علماء الأمة، فاشتغل بالقرآن العظيم حتى أتقنه، وعم بدرايته سره وعلنه، وتفقه على أبي اللواء بن عقيل... وسمع الحديث من جماعة، منهم أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني... وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي، وصحب الشيخ العارف قدوة المحققين أبا الخير حماد بن مسلم الدباغ، وأخذ عنه علم الطريقة، وتأدَّب به، وأخذ الخرقة الشريفة من يد القاضي أبي سعد المبارك المخزومي[٣]. وكان شافعي المذهب، فرأى الإمام أحمد بن حنبل يقول له: أدرك المذهب يا عبد القادر. وكان المذهب الحنبلي قد ضعف في العراق، وكاد أن يمحى، فانبرى إلى الاشتغال به تعليمًا وتأليفًا حتى صار إمام الحنابلة[٤]. ثم تصدر للتدريس والفتوى في مدرسة أستاذه أبي سعد المخزومي[٥]. ثم جلس للوعظ سنة ١٢٥هـ[٦].

ويذكر ظهير الدين القادري عن عبد الرزاق وعبد الوهاب وغيرهما أنهم قالوا: سمعنا الشيخ عبد القادر يقول: رأيت رسول الله ﷺ قبل الظهر من يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فقال: يا بني، لِمَ لا تتكلم؟ فقلت: يا أبتاه، أنا رجل أعجمي، فكيف أتكلَّمُ على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك. ففتحته، فتفل فيه سبعًا، ثم قال لي: تكلَّم على الناس، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. فصليت

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج١ ص٩٠، أيضًا «طبقات الشعراني» ج١ ص١٢٨

(٢) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص٨ .

(٣) «بهجة الأسرار» للشطنوفي ص١٠٦

(٤) دائرة المعارف للبستاني مقال الشيخ محمد رشيد رضا ج١١ ص٦٢٢ .

(٥) «بهجة الأسرار» ص١٠٦

(٦) دائرة المعارف الإسلامية مقال براون ج١٢ ص٩٢٥ ط باكستان.

الظهر، وجلست وحضرني خلق كثير، فارتجَّ عليَّ فرأيت عمي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قائمًا بإزائي في المجلس، فقال له: يا بني، لِمَ لا تتكلَّم. قلت: يا أبتاه، قد ارتج علي. فقال: افتح فاك. **ففتحته فتفل** فيه ستًّا، فقلت له: لِمَ لا تكملها سبعًا؟ فقال: أدبًا **مع رسول الله ﷺ**. ثم توارى عني، فقلت: غواص الفكر **يغوص في بحر القلب على** درر المعارف، فيستخرجها **إلى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار تَرْجُمَان** اللسان، فتشتري بنفائس **أثمان الطاعة في بيوتٍ أَذِنَ الله أن تُرفع**، قالوا: فهذا أول كلام تكلَّم به على الناس على الكرسي رحمه الله[(١)].

ويقول الشعراني وغيره: وكان يلبس لباس العلماء ويتطيلس، ويركب البغل، وترفع الغاشية على يديه، ويتكلم على كرسي عالٍ، وربما خطا في الهواء خطوات على رءوس الناس، ثم يرجع إلى الكرسي[(٢)].

ويقولون: كان يحضر مجالسه خلق كثير، وربما حضر المجلس نحوٌ من سبعين ألفًا[(٣)].

حتى الأولياء والملائكة كما نقلوا أنه إذا صعد الكرسي فقال: الحمد لله. أنصت له كل ولي في الأرض، سواء كان حاضرًا بمجلسه، أو غائبًا عنه، وكذلك يكررها ويسكت بعدها.

وإن الأولياء والملائكة ليزدحمون في مجلسه، وإن الرحمة لتصب على حاضريه صبًّا[(٤)].

والخضر أيضًا كما رووا كان يتكلم يومًا على الناس، فخطا في الهواء خطوات، وقال: يا إسرائيلي، قف، فاسمع كلام المحمدي، ثم رجع إلى

---

(١) انظر «الفتح المبين» ص١٠١، أيضًا «قلائد الجواهر» ص١٣، أيضًا «بهجة الأسرار» ص ٢٦ .

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص١٢٦، «قلائد الجواهر» ص١٣ .

(٣) «قلائد الجواهر» لابن التادفي ص١٣ .

(٤) «أخبار الأخيار» لعبد الحق الدهلوي ص٣٨ ترجمة أردية من الفارسية ط كراتشي باكستان.

مكانه، فقيل له في ذلك، فقال: مَرَّ أبو العباس الخضر عليه السلام فخطوت إليه وقلت له: ما سمعتم، فوقف[١].

وليس الخضر والملائكة فحسب، بل ورسول الله ﷺ كذلك -عياذًا بالله- كما ذكر ذلك الشطنوفي عن أبي سعد القيلوي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرة... وأن أرواح الأنبياء لتجول في السماوات والأرض جولان الرياح في الآفاق، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرونه طوائف بعد طوائف، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت أبا العباس الخضر يكثر من حضوره فسألته، فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس[٢].

وفي مثل هذه المجالس قال مرة: قدمي على رقبة كل ولي لله. فقام الجميع، وأخذوا قدم الشيخ، وجعلوها على أعناقهم، ومد عنقه من كان غائبًا[٣].

ويقول اليافعي: لم يبق أحد من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع أقطار الأرض إلا حنى له رقبته، إلا رجل بأصبهان، فإنه لم يفعل، فسلب حاله.

وروي أن الشيخ أبا النجيب السهروردي رحمه الله طأطأ رأسه حتى كاد يبلغ الأرض، وقال: على رأسي، على رأسي، على رأسي، قالها ثلاثًا.

ومن جملة من حنى رقبته من الغائبين الكبار المشهورين الشيخ أبو مدين، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رحمه الله.

فأما سيدي أحمد، فرووا عنه أنه كان جالسًا يومًا برواقة بأم عَبيدة، فمدَّ عنقه، وقال: على رقبتي. فسئل عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

---

(١) «قلائد الجواهر» ص١٣ .

(٢) «بهجة الأسرار» ص ٩٥ .

(٣) «بهجة الأسرار» ص٣ وما بعد، «الفتح المبين» ص١٠٦ وما بعد، «قلائد الجواهر» ص٢٢، «نشر المحاسن» ص١٣٢ وغيرها.

وأما الشيخ أبو مدين، فرووا أنه حنى رأسه يومًا وهو بين **أصحابه، وقال**: أنا منهم. اللهم، إني أشهدك، وأشهد ملائكتك بأني **سمعت وأطعت. فسأله** أصحابه عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد **القادر الآن ببغداد**: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فأرَّخوا ذلك وهم **في المغرب، ثم** جاء المسافرون من العراق، فأخبروا أن الشيخ عبد **القادر قال ذلك في ذلك** الوقت الذي أرَّخوه.

وأما **الشيخ عبد الرحيم، فرووا عنه أنه مدَّ** عنقه يومًا بقناء، وقال: صدق **الصادق المصدوق، فقيل له: من هو؟ فقال**: الشيخ عبد القادر قال: قدمي هذه على رقبة كل **ولي لله**. وتواضع له رجال المشرق والمغرب، فأرَّخوا ذلك الوقت، ثم جاء الخبر بذلك في ذلك الوقت[1].

وروي عن شيخه أبي محمد القاسم أنه قال: لما أمر الشيخ أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. رأيت الأولياء بالمشرق والمغرب واضعين رءوسهم تواضعًا، إلا رجلًا بأرض العجم، فإنه لم يفعل؛ فتوارى عنه حاله[2].

ويقول ظهير الدين القادري: اسمه الشيخ صنعان، وكان بسبب كبره وعدم تواضعه أمام قول الشيخ الجيلاني ابتلي بعشق بنت نصرانية، ورعي الخنازير لها، حتى إنه رأى يومًا في المنام أن الخنزير وضع قدمه على عنقه، فاستيقظ فرأى الخنزير يدوس رقبته بقدمه، فسمع صوتًا ما رضيت بقدم محيي الدين على رقبتك، فصارت موطأ لما هو نجس العين. فتاب واستغفر[3].

هذا، وإن السهروردي قال: إن قوله هذا من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها[4].

وكان يقول: كانت ترد علي الأثقال الكثيرة، لو وضعت على الجبال

---

(١) «نشر المحاسن الغالية» في فضل مشايخ الصوفية لأبي عبد الله اليافعي ج٢ ص١٣٣، ١٣٤ بهامش «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ط دار صادر بيروت.

(٢) «نشر المحاسن الغالية» لليافعي ص١٣٤

(٣) «الفتح المبين» للقادري ص١٠٧ .

(٤) انظر «الفتح المبين» ص١٠٧

تفسخت، فإذا كثرت علي وضعت جنبي على الأرض. وقلت: فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا، ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الأثقال، قال: وقال لي: كنت أشتغل بالفقه على المشايخ، وأخرج إلى الصحراء ولا آوي بغداد، وأجلس في الخراب بالليل والنهار، وكنت ألبس جبة صوف، وعلى رأسي خريقة، وكنت أمشي حافيًا في الشوك وغيره، وأقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخمس من جانب النهر والشط، وما هالني شيء إلا سلكته، وكنت آخذ نفسي بالمجاهدة حتى طرقني من الله عز وجل طارق، وكان يطرقني بالليل والنهار.

وآتي الصحراء فأصرخ وأهج على وجهي، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون، وحملت إلى البيمارستان، وطرقتني الأحوال حتى مت، وجاءوا بالكفن والغاسل وجعلوني على المغتسل ليغسلوني ثم سري عني[(١)].

وكذلك أقمت في صحراء العراق وخرائبه خمسًا وعشرين سنة مجردًا سائحًا لا أعرف الخلق ولا يعرفونني، يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان، أعلمهم الطريق إلى الله عز وجل[(٢)].

ويقولون: إنه بلغ درجة الولاية وهو ابن عشرين سنة، كما نقلوا عنه ذلك أنه سئل: متى علمت أنك ولي لله تعالى؟ قال: كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من داري وأذهب إلى المكتب فأرى الملائكة عليهم السلام تمشي حولي، فإذا وصلت إلى المكتب سمعت الملائكة يقولون: أفسحوا لولي الله حتى يجلس[(٣)].

ولما كبر قال: رأيت رسول الله ﷺ ببغداد وأنا على الكرسي، وهو ﷺ

---

(١) «قلائد الجواهر» ص١٠ واللفظ له، «أخبار الأخيار» لعبد الحق الدهلوي ص «طبقات الشعراني» ج١ ص١٢٦، «بهجة الأسرار» ص٨٥ .

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص١٢٨، «قلائد الجواهر» ص١٠، أخبار الأخيار للدهلوي ص٣٦ .

(٣) «قلائد الجواهر» ص٩، «أخبار الأخيار» لعبد الحق الدهلوي ص٤٣ .

راكب، وموسى عليه السلام إلى جانبه، فقال: يا موسى، **أفي أمتك** رجل هكذا؟ قال: لا. فقال لي: يا عبد القادر، وهو في **الهواء، فعانقني وألبسني** خلعة كانت عليه، وقال: هذه خلعة القطبية على **الرجال والأبدال،** ثم تفل في فمي ثلاثًا، وردني إلى المنبر، فترنمت هذه **الأبيات:**

سأشربها في كل دير وبيعة — وأظهر للعشاق ديني ومذهبي

وأضرب فوق السطح بالدف جلوة — لكاساتها لا في الزوايات مختبي[(١)]

وأما معرفته بعلم الغيب وما يختلج في الصدور، فروايات وروايات، وحكايات وحكايات، **وكتب القوم** مليئة منها، وواحدة من ذلك البحر الخضم هي: لما اشتهر أمره في الآفاق، اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه؛ فلما استقر به المجلس، أطرق الشيخ، فظهرت من صدره بارقة من نور، فمرت على صدور المائة، فمحت ما في قلوبهم؛ فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزقوا ثيابهم، وكشفوا رءوسهم، ثم صعد الكرسي، وأجاب الجميع عما كان عندهم؛ فاعترفوا بفضله[(٢)].

وأخرى ما ذكره الشنطوفي: عن محمد بن سهل أنه قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر ﷺ في سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكنت في أخريات الناس، وكان يتكلم في الزهد، قلت في نفسي: أريد أن يتكلم في المعرفة. فقطع كلامه من الزهد، وتكلم في المعرفة كلامًا ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في علم الغيبة والحضور. فقطع كلامه من المعرفة، وتكلم في الغيبة والحضور كلامًا ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في الشوق. فقطع كلامه من الغيبة والحضور، وتكلم كلامًا في الشوق ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في الفناء والبقاء. فتكلم في

---

(١) «قلائد» ص٢٢ .

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص١٢٧، «بهجة الأسرار» ص٩٦، «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ٢/ ٩٠ .

الفناء والبقاء كلامًا ما سمعت مثله، ثم قال: **حسبك يا أبا الحسن**، فلم أتمالك أن مزقت ثيابي[١].

وأما تصرفه حيًا وميتًا، وملكه **المغفرة لمريديه، فذكر** كل من الشطنوفي وابن **التادفي وعبد** الحق الدهلوي وغيرهم **من المتصوفة أنه ضمن لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت** أحد منهم إلا على توبة، **وأعطي أن مريديه ومريدي مريديه إلى سبعة يدخلون** الجنة.

وقال: أنا كافل لمريد المريد إلى سبعةِ كل أموره، ولو انكشفت عورة مريدي **بالمشرق وأنا بالمغرب لسترتها،** وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهممنا (أي بقدراتنا) **أصحابَنا.**

وطوبى لمن رآني ورأى من **رآني، ورأى من رأى من رآني،** وأنا حسرة على من لم يرني[٢].

وقال: أعطيت سجلًا مد البصر فيه أسماء أصحابي ومريديَّ إلى يوم القيامة، وقيل لي: قد وهبوا لك. وسألت مالكًا خازنَ النار: هل عندك من أصحابي أحد؟ فقال: لا وعزة ربي وجلاله، إن يدي على مريدي كالسماء على الأرض إن لم يكن مريدي جيدًا فأنا جيد. وعزة ربي وجلاله، لا برحت قدماي من بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة[٣].

وذكر الشعراني وغيره أنه كان يقول: أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي، خفف الله عنه العذاب إلى يوم القيامة.

وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه، فقال: إنه رآني مرة، ولا بد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك. فمن ذلك الوقت ما سمع له أحدٌ صراخًا[٤].

---

(١) «بهجة الأسرار» ص٩٤ .

(٢) «بهجة الأسرار» ص٩٩، «قلائد الجواهر» ص١٥، «أخبار الأخيار».

(٣) «بهجة الأسرار» ص١٠٠

(٤) «طبقات الشعراني» ج١ ص١٢٦، «بهجة الأسرار» ص١٠١، «قلائد الجواهر» ص١٥

وكان يقول: عثر الحلاج، فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده. **ولو كنت في زمنه لأخذته بيده**، وأنا لكل من عثر مركوبه من **أصحابي ومريديّ ومحبيّ** إلى يوم القيامة، آخذ بيده... هذا فرسي مسرج، **وسيفي شاهر**، ورمحي منصوب، وقوسي موتد، أحفظك وأنت **غافل**[١].

وكان يقول: من استغاث **بي في كربة، كشفت عنه**. ومن ناداني باسمي في شدة، **فرجت عنه. ومن توسَّلَ بي في حاجة**، قضيت له. ومن صلَّى ركعتين **يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة** سورة الإخلاص إحدى عشر مرة، ثم يصلِّي على **رسول الله** ﷺ بعد السلام ويسلم عليه ويذكرني، ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته، فإنها تُقْضَى بإذن الله[٢].

هذا، وإن الصوفية رووا عنه أنه قيل له: إننا نصوم مثلما تصوم، ونصلي مثل ما تصلي، ونجتهد مثلما تجتهد، وما نرى من أحوالك شيئًا؟ فقال رحمه الله: زاحمتمونا في الأعمال، أتزاحمونا في المواهب؟ والله، ما أكلت حتى قيل لي: بحقي عليك كُلْ. ولا شربت حتى قيل لي: بحقي عليك اشرب. وما فعلت شيئًا حتى أمرت بفعله.

إلى أن قال فيها أيضًا: وقال رحمه الله: رأيت في المنام كأني في حِجْرِ عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وأنا أرضع ثديها الأيمن، ثم أخرجت لي ثديها الأيسر فرضعته -عياذًا بالله على نقل هذه الإهانة- فدخل رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة، هذا ولدنا حقًّا[٣].

فهؤلاء القادرية أحيانًا اتَّصفوا بصفات الرَّبِّ جل وعلا، وأحيانًا جعلوه نبيًّا لا يفعل شيئًا إلا إذا أُمر، وأحيانًا ذكروا عنه وقائع، ونسبوا إليه مناقب وفضائل فيها إهانة للنبي الطاهر المطهر وأهله صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إنهم قالوا: قال الشيخ أبو سليمان داود المنبجي: كنت يومًا عند

---

(١) «قلائد الجواهر» ص١٧، «بهجة الأسرار» ص١٠٢.

(٢) «بهجة الأسرار» ص ١٠٢.

(٣) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص٤٠.

الشيخ عقيل المنبجي ﷺ، فقيل له: قد اشتهر ببغداد شابٌّ أعجميٌّ شريف اسمه عبد القادر. فقال الشيخ عقيل: وإن أمره في السماء أشهر منه في الأرض[١].

وأما كراماته التي يروي عنه المتصوفة، **فإنها لا تُعَدُّ ولا تحصى، فإنها تنبئ وتخبر بأن** جميع اختيارات الرب وقدراته بيده، **إن لم يزدد عليها فلم ينقص عنها.**

وهذه بعض المقتطفات منها: أنه توضأ يومًا فبال عليه عصفور، فرفع رأسه إليه **فإذا هو ميت**[٢].

وأكثر منها أنه مر على مجلسه حدأة فصاحت، فشوشت على الحاضرين، فقال يا ريح، خذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمرَّ يده الأخرى وقال: باسم الله الرحمن الرحيم، فحييت وطارت[٣].

ومثل هذه كثيرة جدًّا نقلنا بعضًا منها في باب (أولياء أم آلهة).

وقد نسبت إليه كذلك منظومات تدل على أن الجيلاني كان يقدم نفسه **كإله مالك الاختيارات** والقدرات.

وعن تلك المنظومات قال المستشرق براون: إن الأشعار التي نسبت إلى الشيخ عبد القادر تدل إليه، يبدو أنها ليست من كلامه[٤].

وقال العلامة رشيد رضا: ينقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره، أو النقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها[٥].

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني ج١ ص١٢٧، أيضًا «الفتح المبين» ص٢١ .

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ٢/ ١١

(٣) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني ج٢ ص٩١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ملخصاً مقال المستشرق براون عن الشيخ عبد القادر الجيلاني.

(٥) دائرة المعارف ج١١ ص٦٢٣

وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي في الشيخ عبد القادر الجيلاني: **ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر كما الشيخ عبد القادر، لكن كثيرًا منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة... وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه**[1].

وما قاله الذهبي **نقل مثله عن شيخ الإسلام** ابن تيمية أيضًا، وهو صحيح، **لا يظن أن مثل الشيخ عبد القادر الجيلي يتكلم** بمثل ما نقلوا عنه ورووه، ولا **يقول بمثل ما حكوا عنه. والله أعلم.**

وعلى كل، فإن الشيخ توفي بعد عمر طويل ناهَزَتْ التسعين، سنة ٥٦١هـ، ودفن ببغداد في مدرسته.

وهناك أوراد ووظائف ينقلونها عن الشيخ وعن خلفائه تسمى بأذكار القادرية وأورادها. وسنده في التصوف والخرقة إلى الحسن البصري حسب ما يزعمون، وأنه لبس الخرقة من الحسن ﷺ مع أن لقاء الحسن البصري لم يثبت في القول الصحيح فهؤلاء هم القادرية وعقائدهم.

وبقيت هناك قضية كنا وعدنا بذكرها في ترجمة الجيلي، وهي علاقة الجيلي مع متصوفة عصره وزمانه، وعلى رأسهم معاصره المشهور أبو العباس أحمد الرفاعي الذي ينازعه في الولاية والقطبية والغوثية وعلى رئاسة متصوفة ذلك الزمان.

فإن الرفاعية يقولون: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان تحت رعاية وسيادة الرفاعي.

والقادرية يدعون أن الأمر معكوس، وأن الرفاعي هو الذي كان تابعًا للجيلاني، والجيلاني كان متبوعًا، ثم يختلق كل واحد من هذه الطوائف روايات وحكايات مزورة مكذوبة لترجيح مرشدهم وتفضيل سيدهم على الآخر.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي ج٢٠ ص٤٥٠، ٤٥١ .

فالرفاعية يحكون عن حسن النقيب أنه قال: حضرنا في مجلس الشيخ الكبير السيد أحمد مع جماعة من المشايخ الكبار ذوي القدر والافتخار أصحاب الكرامات والأسرار، منهم سيدي بنائن بطو، ومنهم سيدي حماد الدباس، ومنهم سيدي أبو سعيد الخراز علي المخزومي، ومنهم سيدي أحمد ابن تاج الدين أبو الوفا، ومنهم سيدي عبد الرزاق الواسطي، ومنهم منصور بن الحسين الواسطي، ومنهم عقيل المنبجي، ومنهم سيدي حباب بن قيس الحراني. ومنهم سيدي عبد القادر الكيلاني، ومنهم سيدي أحمد الأزرق، ومنهم سيدي محمد بن عبدو، ومنهم سيدي عدي بن مسافر الشامي، وغيرهم من بقية الأولياء العظام. وهم ببلاد الشط على شاطئ الفرات يتحادثون في علوم وأسرار عجيبة وأحوال غريبة أطلعهم الله عليها. فبينما هم كذلك إذ قام من القوم رجل والتفت بالكلام إلى الشيخ الكبير السيد أحمد والحاضرين، وقال: أي سادة أيَّدكم الله بصدق الكلام والسعادة. ما منا إلا ومن هو تحدثه نفسه بأنه شيخ الشيوخ وسلطان العارفين، وهذه دعوة لا دليل لها إلا ببرهان قوي مبين. فأطرق الحاضرون رءوسهم، ولم يرد أحد جوابه، فعاد القول ثانيًا وثالثًا، فالتفت إليه الشيخ السيد أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، وقال: حشرت مع فرعون وهامان وقارون إن خطر ببالي أنني شيخ على أحد من خلق الله تعالى مطلقًا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فأكون كأحد المؤمنين، لكن أي سادة انظروا إلى أمامكم من ذلك الشاطئ ماذا ترون. فقالوا أي سيدنا نرى شجرة كبيرة ممتدة الأغصان طويلة الأفنان، فقال لهم: أي سادة من كان منكم يريد مشيخة الشيوخ إليه فيدعوها بأن تأتي إليه إلى هذا الجانب، فنقوم كلنا نبايعه ونكون في خدمته، ونرعى حق حرمته، فلما سمعوا كلامه قاموا كلهم ودعوها واحدًا بعد واحد فلم تتحرك بحركة. فلما قام قطب الوجود سيدي تاج العارفين أبو الوفا ودعاها تمايلت واضطربت اضطرابًا شديدًا، حتى كادت أن تنكسر ولم تنم من مقامها. فقام قطب السادات السيد عبد القادر الكيلاني ودعاها فقامت من مكانها، وسعت إليه عند كنار البحر ووقفت هناك، فلما جاءت نوبة الشيخ الكبير السيد أحمد جاءوا إليه، وقالوا

له: نريد نوبتك أي سيدي. فقال لهم: ومن هو حميد الاش حتى **يكون له** نوبة. **فقالوا له**: نقسم عليك بالعزيز سبحانه أن نقوه **في نوبتك وتدعوها** حتى نرى مقام عزتك. فقال لهم: أي سادة، **أقسمتم علي بالعزيز** لا يمكنني المخالفة. وقام قائمًا على قدميه وقال: **أي خلق الله أقسم** عليك بالعزيز سبحانه إلا ما أجبت دعوتي. **وأتيتني طائعة مقرة بما ألهمك** الله تعالى به. فشقت **الأرض والبحر وأتت طائعة مقرة شاهدة** بلسان عربي فصيح قائلة: **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا** رسول الله، وأنك شيخ الشيوخ على الإطلاق، وشيخ **أهل الأرض** والسماء بالوفاق، فلما شاهدوا من كراماته ما شاهدوه عيانًا. قاموا على أقدامهم وكشفوا رءوسهم. وبايعوه أن يكون شيخًا عليهم، وعلى كل من يلوذ بهم هو وذريته إلى يوم القيامة[(١)].

والقادرية يروون أنه لما قال الجيلاني في بغداد: رقبتي على كل ولي لله طأطأت رءوسها له، ونقل أن السيد أحمد الرفاعي كان آنذاك في بلدته أم عبيدة، وعلى رقبتي أيضًا[(٢)].

وقد مر بعض تفصيله فيما سبق.

وأيضًا: قال نقيب الأولياء أبو العباس الخضر: مثله ممن أطلعه الله على مقامات الأولياء كلهم ما هو نص في عموم فضله وشرفه على المتقدمين والمتأخرين[(٣)].

وروي ابن الملقن ما يؤيد القادرية، عند ذكر الرفاعي حيث نقل عن أبي العباس الخضر بن عبد الله الحسني الموصلي أنه قال: كنت يومًا جالسًا بين يدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، فخطر في نفسي زيارة الشيخ أحمد، فقال الشيخ: أتحب رؤيته؟

---

(١) «قلائد الجواهر في ذكر الغوث وأتباعه الأكابر» محمد أبي الهدى الرفاعي ٩١، ٩٢ .

(٢) انظر «الفتح المبين»، «قلائد الجواهر»، «بهجة الأسرار» ونشر المحاسن الغالية. وغيرها من الكتب، وقد مر ذكر أرقام الصفحات فيما سبق.

(٣) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص١١١ .

فقلت: نعم، فأطرق وقال: حضر. فقمت إليه وسلمت عليه، فقال: يا خضر! ومن يرى مثل الشيخ عبد القادر سيد الأولياء ويتمنى رؤية مثلي؟ وهل أنا إلا من رعيته! ثم غاب. فبعد وفاة الشيخ زرته، فقال لي: يا خضر! ألم **تكفك الأولى؟**[1].

❋ ❋ ❋

(١) «طبقات الأولياء» لابن الملقن ص١٠٠ .

التيجانية

ومن طرق التصوف المشهورة **في بلاد أفريقيا والمغرب** العربي التيجانية، نسبة **إلى أبي العباس أحمد بن محمد** بن المختار التيجاني، المولود بقرية **(عين ماضي) سنة ١١٥٠هـ**[١].

والمدعي انتسابه إلى رسول الله ﷺ لا بطريقة علمية بإثبات نسبه وأسرته إلى الأشراف السادة، بل بدعوى الكشف والإلهام؛ حيث قال: إنه سأل النبي ﷺ عن نسبه يقظة فرد عليه أن نسبه إلى الحسن بن علي صحيح[٢].

والمنتقل من طريقة إلى طريقة، ومن صوفي إلى صوفي إلى أن ادعى بأنه رأى بعيني رأسه ووجهه سيد الأكوان يقظة لا في المنام، وتشرف بمشاهدة الطلعة البدرية البهية النورانية، المصطفوية، فصرح له - عليه السلام- بأنه شيخه ومربيه وكافله، وأنه لا منة لمخلوق عليه سوى سيد الأنام، وأمره بترك جميع ما أخذ من مشايخ الطرق وسادة الصوفية؛ لأنه إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل على التحقيق، وأنه لا مزية للانفصال إذا وجد الاتصال بصاحب الشفاعة العظمى يوم الزحام[٣].

---

(١) «كشف الحجاب» لأحمد بن العياش سكيرج ص ١٠ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦١م، جواهر المعاني لعلي حرازم الفاسي ج ١ ص ٢٦-٢٧، «الدار السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التيجانية» لمحمد سعد بن الرباطاني التيجاني ص ٢٦ ط مكتبة القاهرة، الأعلام للزركلي ج١ ص.

(٢) كتاب «جواهر المعاني» لعلي بن حرازم الفاسي ج ١ ص ٣٠ ط مصطفى البابي الحلبي.

(٣) انظر «النفحة القدسية» في سيرة الأحمدية التيجانية للجوسكي ص ١٦٠ المندرج في «الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني» لمحمد بن عبد الله التيجاني ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٥م.

إلى أن بلغ درجة لم يبلغها الأولون ولا الآخرون. فقال: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي، ومني تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلي مشافهة لا يعلمها إلا الله -عز وجل- بلا واسطة، وتحاور بعض أصحابه رضي الله عنه مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه: كل الشيوخ أخذوا عني في الغيب، فحكي له ذلك فقال رضي الله عنه مشيرًا بأصبعيه السبابة والوسطى: روحي وروحه ﷺ هكذا، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد[1].

وإنه هو خاتم الأولياء كما نقل عنه محمد العربي السائح التيجاني، أنه أخبر تصريحًا على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين، وبأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله[2].

ويقولون فيه: إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادي بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل المحشر، هذا إمامكم الذي كان مددكم منه. قال في منية المريد:

يصعد منبرًا من النور غدًا   يسمو به الكل سنى وسؤددا
ثم ينادي عند ذا منادي   يا أهل ذا المحشر وذا النادي
هذا إمامكم وذا ممدكم   في دار دنياكم بغير علمكم

قلت: وفي هذا اليوم يظهر تفاضل الأولياء والعارفين والأغواث والصديقين، وتفاوت درجاتهم ومراتبهم بإظهار الله الفاضل وتمييزه من المفضول، ويظهر ذلك لكل من في الموقف بالعيان، ولذلك يسمى يوم التغابن، وفيه يظهر لكل موفق سعيد ولكل شقي طريد أن شيخنا وسيدنا

---

(١) «كشف الحجاب» لسكيرج ص ٦

(٢) «بغية المستفيد» لمحمد عمر ص ١٩٣ ط البابي الحلبي ١٩٥٩م.

وأستاذنا أبا العباس، سيدي الشيخ أحمد التيجاني الحسني -رضي الله عنه وعنا به آمين- وهو الختم المحمدي المعلوم، والقطب المكتوم، والبرزخ المختوم، فيغنم الموفق السعيد، ويندم الشقي الطريد قال تعالى:
﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[١].

وبالغوا في تمجيده وتعظيمه؛ حيث نقلوا عنه أنه قال للنبي ﷺ: اطلعت على ما رسمه وخطه ونصه... أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث... وكل من أحسن إلي بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر... وكل من لم يعادني من جميع هؤلاء، أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخًا أو أخذ عني ذكرًا، وكل من خدمني أن قضى لي حاجة، وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم... يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ ولجميع هؤلاء أن نموت، وكل حي منهم على الإيمان والإسلام... ثم قال: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبدًا إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين. وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضمانًا لا يخلف عليك الوعد فيها، والسلام... ثم قال: وكل هذا واقع يقظة لا منامًا[٢].

وتطاول التيجاني على أنبياء الله ورسله، ونصب نفسه على درجة الربوبية والألوهية المطلقة حيث قال: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي[٣].

---

(١) «الفتوحات الربانية في الطريقة التيجانية» للشنقيطي ص ١٤٥ المندرج في «الفتح الرباني».
(٢) «جواهر المعاني» ج ١ ص ١٣٠-١٣١
(٣) «رماح حزب الرحيم» ج ٢ ص ١٤٣ بهامش «الجواهر».

وكيف لا يكون هذا وإنه قطب؟! وما أدراك ما القطب؟! وقد عرَّف حقيقة القطبانية حيث قال علي بن حرازم: اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلًا، حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بالحكم القطب، وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذوات الوجود وجملة وتفصيلًا، فترى الكون كله أشباحًا لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلًا، وقيامه في أرواحها وأشباحها، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فيذوق مختلفات أذواقهم؛ فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف فيها جميعها، والمعد لأربابها، وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام[1].

وعنه يقول صاحب الرماح: إنه خاتم الأولياء، وسيد العارفين، وأمام الصديقين، وممد الأقطاب والأغواث، وإنه هو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء؛ بحيث يتلقَّى واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضًا من حضرة نبي إلا بواسطته ﷺ من حيث لا يشعر بذلك[2].

هذا، ولقد ادعى التيجاني كذبًا وزورًا، ظلمًا وبهتانًا، تعاليًا وتكبرًا: من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الإثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب إن لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض[3].

ويقول محمد العمري التيجاني صاحب «البغية» متعمدًا الكذب على النبي

---

(١) «جواهر المعاني» ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) «رماح حزب الرحيم» ج ٢ ص ٤ .

(٣) «جواهر المعاني» ج ٢ ص ١٨٠

ﷺ أنه هو الذي قال له بذلك: وأما الكرامة الثالثة وهي دخول **الجنة** لمن رآه ﷺ **في** اليومين الإثنين والجمعة، فهي من كراماته ﷺ **التي طارت** بها الركبان، وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، **بإخبار** من النبي ﷺ ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا ﷺ **بعزة ربي: يوم الإثنين** والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى **الغروب، ومعي سبعة أملاك**، وكل من يراك في اليومين يكتبون **-يعني الأملاك السبعة- اسمه في** رقعة من ذهب، ويكتبونه من **أهل الجنة، وأنا شاهد على ذلك**[1].

ويفوق هذا الدعي على النبي الصادق المصدوق، ويرجح نفسه عليه؛ حيث يقولون: فيدخل الكفار في هذا الخطاب، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهَّاب، فتجتص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلمًا، سواءٌ كان من الأصحاب أم لا حسب ما هو به في الجواهر، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه، ولو كان كافرًا[2].

ويقول صاحب «الفتح الرباني»: من رآه ﷺ يوم الإثنين أو يوم الجمعة يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب بضمانته ﷺ وكذلك من رآه في بقية أيام الجمعة، ولكن يختص رائيه اليومين المذكورين بأن يسعد سعادة لا شقاوةَ بعدها، يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علمه تعالى أنه يكون سعيدًا، ويدخل في ذلك الكافر[3].

ليست الجنة لمن رآه فحسب من المسلمين والكفار، بل لكل من رأى حلته أيضًا حسب ذكر عمر بن سعيد الفوطي أنه قال: وقال شيخنا التيجاني: من رأى هذه الحلَّة دخل الجنة. ثم ألبسني إياها[4].

ونقلوا عن التيجاني هذا أنه كان يسكن «فاس»، ومرة أراد الانتقال منها

---

(١) «بغية المستفيد» ص ٢١٦ .

(٢) «بغية المستفيد» ص ٢١٦

(٣) «الفتح الرباني» ص ٨٢-٨٣ .

(٤) «رماح حزب الرحيم» ج ١ ص ١٨٢

إلى الشام، **فمنعه** عن **ذلك** رسول الله ﷺ **بسبب طلب** أولياء الغرب **كما يذكر** سكيرج وغيره من التيجانيين أن التيجاني أزمع **على** الانتقال من «فاس» وعزم **على الارتحال** إلى القطر الشامي **بجميع ما معه** من الأهل والعيال بقصد **الاستيطان به**... فبينما هو رضي الله عنه قد **أخذ أهبة** السفر، **ولم يبق له إلا الخروج لهذا الوطن، وقد** نزل بأصحابه بسبب هذا الأمر من **الحيرة** والنكد **ما يذهل الوالد عن الولد، حتى** كادت أن تتفتت أكبادهم إذا أشرف عليهم نور غرته، **وطلع عليهم بهاء محيّاه الكريم، فبشرهم** بما هو الشفاء مما دهاهم، وذلك بأن قال لهم: **إن أولياء الغرب أبَوْا أن يفقدوا** من بين ظهرانيهم نوره وسناه؛ **فطلبوا** من حضرة **سيد الوجود ورغبوا إليه ﷺ في بقاء وجوده العيني وشخصه** المشهود بين **الأغوار من قطرهم المبارك؛ لأنه ﷺ مربيه وكفيله. فأجابهم** ﷺ لمطلبهم، وأسعفهم بمرغبهم، **فأذن له في المقام وعدم الترحال، فلم يمكنه** إلا الانقياد والامتثال، فعند ذلك قرت به الحضرة الفاسيّة.

وكان رضي الله عنه يقول حين يضيق خاطره من أمور الخلق، ويرى إعراضه عن الحق: والله، لولا خوف الله ندعو على أولياء المغرب؛ لأنهم تسببوا له في سكنى «فاس» بعد أن كان قصده أن يسكن الشام[1].

ويكذب التيجانيون حيث يقولون: إن من كرامات التيجاني رؤية النبي ﷺ يقظة دائمًا أبدًا؛ بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، وسؤاله له عن كل أمره، ومشاورته في كل شيء دقَّ أوجلَّ، والتربية على يديه[2].

وبنى التيجاني زاويته هناك بحومة درداس المعروفة اليوم بالبليدة سنة ١٢١٥هـ.

وقالوا فيها: إن هذه الزاوية المباركة لها من المزايا ما افتخرت به على جميع الزوايا، حتى إن سيدنا رضي الله عنه كان يتكلّم يومًا في فضلها، فقال: لو علم أكابر العارفين ما في الزاوية من الفضل، لضربوا عليها خيامهم.

---

(١) «كشف الحجاب» لسكيرج ص ١٨-١٩

(٢) «الفتح الرباني» ص ٨٢ .

وكان رحمه الله كثيرًا ما ينوِّهُ بقدرها، ويحض على الصلاة فيها. ويقول: **الصلاة في الزاوية مقبولة قطعًا**، إلى هذا أشار صاحب المنية بقوله:

وما بزاويته يصلِّي   قطعًا يكن للقبول أهلا[1]

فهذا هو التيجاني شيخ الطريقة التيجانية.

وللتجانية أوراد ووظائف **مثل الطرق الصوفية** الأخرى، وهم يبالغون ويغلون في بيان **فضائلها وثوابها مبالغة قلّما** يبلغ أحدٌ مبلغهم في ذلك. ومن أورادهم **(صلاة الفاتح لما أُغلِق)، وهذا هو** نصُّها:

اللهم، صلِّ على محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم[2].

ثم سردوا فضائلها ومناقبها، فقالوا: أخبر شيخنا رحمه الله أنه سأل سيد الوجود ﷺ عنها، فأخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذِكْرٍ، ومن كل دُعاء صغير أو كبير ستة آلاف مرة، ثم قال: وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهي، لا مدخل للعقول فيه، فلا يلتفت إلى تكذيب مكذب، ولا قدح قادح، فإن لله سبحانه وتعالى فضلًا خارجًا عن دائرة القياس، ويكفيك قوله تعالى:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فما توجَّه متوجهٌ إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ما كان، ولا توجَّه متوجهٌ إلى الله تعالى بأحب إليه منها، ولا أعظم عند الله حظوة إلا مرتبة واحدة، وهي من توجَّه إلى الله باسمه العظيم الأعظم لا غير، وتليه في الرتبة صلاة الفاتح لما أغلق، ولا يحصل هذا الخير إلا لمن صدق بما سمع وسلم لفضل الله، وأنه لا يأخذه الحد والقياس.

---

(١) «كشف الحجاب» لسكيرج ص ٢١، كذلك «الفتح الرباني» ص ٨٤ وغيرهما من الكتب.

(٢) «الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية التيجانية، للشنقيطي ص ١١٥

ثـم قـال: واعلـم أن كـل مـا تـذكـره مـن **الأذكـار والصلاة** عـلى النـبي ﷺ والأدعية لو توجهت بجميعها **مائة** ألف **عام كل يوم** تذكرها مائة ألف مرة وجمع **ثواب** ذلك ما بلغ مرة واحدة **من صلاة الفاتح لما أُغلِق**[1].

وأما صاحب «الفتح»، فيقول: أما **صلاة الفاتح، فلها من الفضل ثماني مراتب، والمذكور** من فضلها جزء من المرتبة الأولى **فقط، وغير ذلك** كله مكتوم.

ومما ذكر من فضلها غير المكتوم أن من قرأها مرة واحدة في اليوم تضمن له سعادة الدارين، **ومنه أن المرة الواحدة** منها تكفِّرُ جميع الذنوب، وتعدل من كل تسبيح وذِكرٍ **ودعاء صغيرًا أو كبيرًا وقع في** الكون ستة **آلاف** مرة. ومنه أن من **يصلي بها عشر مرات يحصل ثوابًا أكبر من ثواب** وليٍّ عاش ألف سنة دون أن يذكرها. ومنه **أن** المرة الأولى **منها** بستمائة ألف صلاة من صلاة كل ملك وإنس وجن من أول خلقهم إلى وقت تلفُّظِ الذاكر بها، والمرة الثانية مثلها، ويضاف عليها ثواب الأولى، والمرة الثالثة مثلها، ويضاف عليها ثواب الأولى والثانية.. وهكذا. ومنه أن من يواظب على قراءتها كل يوم مرة يموت على الإيمان. ومنه أنه إذا حصل للمصلي بها شيء يحبط عمله، فإنها لا تحبط في جملة ما يحبط. ومنه أن من قرأها ليلة الجمعة مائة مرة تكفِّرُ عنه ذنوب أربعمائة سنة. ومنه غير ذلك مما لا يسعه هذا الكتاب المختصر.

وفضلها الخاصُّ يحصل بشرطين: الأول إذن الشيخ رضي الله عنه ولو بوسائط الثاني **اعتقاد** أنها ليست من تأليف البشر، بل وردت لسيدي محمد البكري من حضرة الغيب. ومن فضلها العام أن المرة الواحدة منها فدية من النار.

قال سيدي محمد البكري رضي الله عنه: من قرأ هذه الصلاة مرة ولم يدخل الجنة يقبض بين يدي الله تعالى. وقد ذكر الهاروشي في شرح كنوز الأسرار أن المرة الواحدة من هذه الصلاة بستمائة ألف صلاة. وهاتان الفضيلتان تحصلان بلا اشتراط ما تقدَّمَ؛ لأنهما من الفضل العام.

---

(١) أيضًا ص ١١٥

وبالجملة فصلاة الفاتح لما أُغْلِق أشرفُ الصلوات، ولم يصلِّ أحدٌ على النبي ﷺ بمثلها؛ لأن لها من الفضل ما يُبهر العقول:

قال شيخنا ﷺ: وخاصِّيَّة الفاتح لما أُغلِق **أمر إليه لا مدخل فيه** للعقول، فلو قدرت مائة ألف أمة، في كل **أمة ألف قبيلة، في كل قبيلة مائة** ألف رجل، وعاش كل واحد منهم **مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم** مائة ألف صلاة على النبي ﷺ **من غير الفاتح**، وجمعت ثواب هذه الأمم **كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار** كلها؛ ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من **صلاة الفاتح لما أُغلِق**[1].

وقال صاحب الجواهر نقلًا عن التيجاني أنه قال: سألته ﷺ عن فضلها، فاخبرني أولًا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذِكْرٍ، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار[2].

ونقل الرباطابي عن الهاروشي أنه قال: إن صلاة الفاتح لما أُغلِق تعدل ستمائة ألف صلاة؛ فانظره واقدر قدر ما ينال المصلي من صلاة الله تعالى عشرًا عشرًا. وقال في شرحه أيضًا: قال شيخنا العياش ﷺ: من قرأ هذه الصلاة مرة ولم يدخل الجنة يقبضني بين يدي الله تعالى[3].

فانظر إلى تلك الأكاذيب والأباطيل، كيف يروون تلك الفضائل، ومن الثواب ذلك المقدار على ورد اخترعوه، وذكر اختلقوه، وصلاة ابتدعوها، ويفضلونها على أوراد الأنبياء وأذكار الرسل والصلاة التي علمها رسول الله ﷺ مع أن هذه الصلاة خالية عن السلام، وأن صيغته لا تضاهي تلك الصيغة النبوية عليها مسحة إلهية، وفيها نفحة ربانية.

---

(١) «الفتح الرباني» ص ٩٩-١٠٠

(٢) جواهر المعاني ج ١ ص ٣٦.

(٣) الدرر السنية في الطريق التيجانية للرباطابي ص ٦٠ ط مطبعة حجازي القاهرة ١٣٧٥هـ.

وبذلك يلهون الناس عن قراءة القرآن والتمسك **بألفاظ** وردت عن رسول الله ﷺ بحجة أن التيجاني أيضًا تلقاها عن النبي، مع أن رسول الله ﷺ **لم يلقنها** أفضل الخلائق بعد الأنبياء والرسل أبا بكر الصديق، ومن تلاه **في المرتبة والمنزلة** عمر الفاروق، ومن يليهما **عثمان بن عفان صهر رسول الله** ﷺ **وزوج** كريمتيه الملقب بذي النورين، **والخليفة الراشد الرابع ابن عم رسول الله** ﷺ **علي** بن أبي طالب -رضي الله عنهم أجمعين- مع ما **في أقوالهم من الحث على ترك** العلم، والترغيب والتحريض على الاعتناء بهذه المجازفات **والمبالغات.**

وهناك أورادٌ أخرى **منها ما يسمونه جوهرة الكمال، ولفظها: اللهم، صلِّ** وسلِّم على عين الرحمة الربانية **والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم** والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحر والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني. اللهم، صلِّ وسلِّم على عين الحق تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم. اللهم، صلِّ وسلِّم على طلعة الحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه. اثني عشرة. ذكر الجمعة ويتبع الورد أيضًا في اللزوم حضرة الجمعة، وهي أن يذكر بعد صلاة العصر من يوم الجمعة قبل الغروب بساعة ونصفها يأتي الوجود لا إله إلا الله ألفًا ومائتين، أو الاسم المفرد الله الله الله ألفًا ومائتين. وبعضهم يجعلها ألفًا وخمسمائة، حتى يستغرق في الذكر، ثم يذكر الاسم المفرد الله الله الله حتى يتم العدد. وبعضهم يجعلها ألفًا وستمائة، وقال بعضهم: أقل العدد للذكر بها ألف مرة إلى غروب الشمس بعدد وبدون عدد، ومن كان عنده ضرورة شرعية يقرأ العدد ثم يمضي لضرورته بعد انتهائه(١).

ويقولون في فضلها: وأما جوهرة الكمال، فهي من إملاء رسول الله ﷺ

---

(١) أيضًا ص ١٢

لسيدنا الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقظة لا منامًا، فمن فضلها الذي ذكره **الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن المرة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية، وأن من** لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي ﷺ وأن **النبي ﷺ والخلفاء** الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها، **ولا يفارقونه حتى يفرغ** من ذكرها، وهذا من باب خرق العادة. ومنها **أن من قرأها عشر مرات،** وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله. **فكأنما زار النبي ﷺ** والأولياء والصالحين من أول **الوجود إلى وقته. ومنها أن من نزلت به** شدة أو ضيق وقرأها خمسًا وستين مرة فرَّجَ الله عنه في الحين، وفضل الله أوسع يختص به من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ومن أراد زيادة، فعليه بكتب هذه الطريقة، «كجواهر المعاني والرماح». وأما فضل ذكر يوم الجمعة بعد صلاة العصر يكفي في فضله حضور النبي ﷺ من أول الذكر إلى آخره قال صاحب «المنية»:

يكفيك في الفضلة حضور المصطفى صـلـى عـلـيـه ربـنـا وشـرَّفـا[1]

وغيرها من الخرافات.

ثم بينوا لها شروطًا وآدابًا يطول ذكرها، لكن نذكر الأهم لكي يعرف خبث القوم وحقيقتهم، فيقول الرباطابي: من الشروط أن يكون الشيخ الذي يلقن الأوراد اللازمة والاختيارية مأذونًا إذنًا صحيحًا من القدوة، أو من أذن له.

الثاني: أن يكون طالب التلقين خاليًا من أوراد المشايخ، أو ينسلخ عنها، ولا يعود لها أبدًا؛ لأن مريد السير إلى الله تعالى لا يصلح أن يكون بين شيخين كما لا يصلح أن تكون زوجة بين زوجين.

الثالث: عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات، وله زيارة الأنبياء والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأصحاب سيدي التيجاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الأحياء والأموات. قال سيدنا الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثلاثة تقطع المريد عنا: أخذ ورد على وردنا، وزيارة الأولياء الأحياء والأموات، وترك الورد؛ أي: تركًا كليًا، ولا يتهاون به، وأما تركه

---

(١) «الدرر السني»ة ص ٢٥ .

كسلًا، فلا يخرجه عن الطريقة؛ لأنه لم يتركه تركًا قبيحًا، ولا أعرض عنه إعراضًا كُلِّيًا إلا أنه عرض نفسه للمصائب بسبب تركه. وفي «الإفادة الأحمدية»: من ترك الورد بعد أخذه له حلَّ به الهلاك في الدنيا والآخرة، وليس منع الزيادة في طريقتنا هذه الأحمدية التيجانية تكبرًا على ساداتنا الأولياء الكرام، ومعاذ الله أن يصدر ذلك منا في جنابهم الأعز الرفيع، وجنابهم عندنا محترم غاية الاحترام. قال سيدنا أحمد التيجاني رضي الله عنه: عظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته، ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء، ومحبة أولياء الله رضي الله عنهم شرط من شروط طريقتنا.

السابع: أن لا يصدر منه سبٌّ ولا بغض ولا عداوة في جانب الشيخ رضي الله عنه.

العاشر: السلامة من الانتقاد على الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه لأن طريق السادة الصوفية مبنيٌّ على التسليم لأرباب التربية فيما يأمرون به أو ينهون عنه؛ لأنهم أمناء على الشريعة.

السادس عشر: احترام كل من انتسب للشيخ رضي الله عنه من الإخوان لاسيما كبار أهل الخصوصية من أهل الصوفية، قد جاء عن سيدنا الشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه أن إذاية أهل هذه الطريقة إذاية للنبي ﷺ.

الثاني والعشرون: مجانبة المنتقدين على الشيخ سيدنا أحمد التيجاني رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يحذر أصحابه من مجالسة المنتقدين عليه، ويقول: إن بعضهم يسري في قلب من يجالسهم كالسُّمِّ. قال صاحب المنية:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضلَّ في مهامه وفي حلك

الثالث والعشرون: يستحضر صورة الشيخ رضي الله عنه في حال قراءة الورد، ويستمد منه، وأعظم من ذلك أن يستحضر صورة النبي ﷺ على ما رويت في الشمائل الترمذية ويستمد منه، وهذا الاستحضار يكون من أول قراءة الورد إلى آخره إن أمكن ذلك، وإلا فليستحضر في أول الذكر، ثم يعاود الاستحضار مرة أخرى، ولا يلتفت عن الشيخ، والالتفات عن الشيخ سيدي أحمد

التيجاني رضي الله عنه بزيارة الأولياء الأحياء والأموات، أو طلب الدعاء منهم، أو إهداء ثواب العبادات من قرآن وصلوات وأذكار ونذر وصدقة ونحو ذلك لهم[(١)].

وهناك عقائد ومعتقدات وأفكار وآراء أخرى كثيرة مجانبة للحق ومخالفة للقرآن والسنة في الطريقة التيجانية من التمسح بالقبور، والاستمداد من غير الله، والشرك الجلي والخفي، والاعتقاد في الأولياء والمتصوفة وخاصة الشيخ التيجاني ومشايخ هذه الطريقة بأنهم يعلمون الغيب، ويملكون الضر والنفع، ويدفعون البلاء، ويميطون الأذى، ويحيون الأموات، ويرزقون، ويكسون، ويعطون، ويمنعون، أحياء وأمواتًا، وغير ذلك من الخرافات والترهات التي لا تخلو طريقة من الطرق الصوفية منها، بل إنها مبنية على تلك السخافات والخرافات، وإنها من لوازم التصوف، ذكرناها في ضمن المباحث في هذا الكتاب والكتاب الأول.

ونريد أن نذكر في آخر هذا المبحث الخدمات الجليلة التي أداها التيجانيون لدعم الاستعمار الفرنساوي الصليبي الكافر الغاشم الغازي لتلك البلاد المسلمة التي يقطنها التيجانيون، فلقد ذكر المؤلف التيجاني صاحب الفتح في الباب السابع تحت عنوان «ذكر كرامات شيخنا رضي الله عنه» منها إخباره باستيلاء فرنسا على بلاد الجزائر، وكان كثيرًا ما يشير إلى ذلك بما يفيد التحقق بوقوعه تصريحًا وتلويحًا[(٢)].

وعلى ذلك قام التيجانيون في الجزائر والمغرب بالدفاع عن الاستعمار الفرنسي، وتحريض المسلمين على الخنوع والخضوع أمامهم وتسليم البلاد بأيديهم بدون قتال ولا جدال، ومنعهم عن المحاربة والوقوف أمامهم، ففي خطبة ألقاها محمد الكبير شيخ التيجانية في وقته يذكر فيها بعض تلك

---

(١) «الدرر السنية في الطريقة التيجانية» ص ٤ وما بعد.

(٢) انظر «الفتح الرباني» فيما يحتاج إليه المريد التيجاني لمحمد بن عبد الله بن حسنين الطنطاوي التيجاني ص ٨٦ .

الخدمات بكل اعتزاز وافتخار. فيقول كما نشرته مجلة الفتح العدد ٢٥٧ القاهرة يوم الخميس ١٦ صفر سنة ١٣٥٠هـ السنة السادسة بعنوان «صاحب السجادة الكبرى يلقي بين يدي فرنسا خطبة الإخلاص».

وهذا نصه:

اعترافات خطيرة

صاحب السجادة الكبرى يلقي بين يدي فرنسا «خطبة الإخلاص»، الجزائر في (٢٣/ ١/ ١٣٥٠) لمراسل الفتح.

نشرت جريدة «لابريس ليبر la presse lipre» وهي جريدة فرنسية استعمارية يومية كبرى تصدر في عاصمة الجزائر في عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو (٢٨/ ذي الحجة/ ...) خطبة طويلة ألقاها الشيخ سيدي محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى؛ أي: رئيس الطريقة الصوفية المسماة بالطريقة التيجانية بين يدي الكولونيل سيكوني الفرنسي الذي ترأس بعثة من الضباط قامت بنزهة استطلاعية في الجنوب الجزائري، ومهدت «لابريس ليبر» للخطبة بكلمة جاء فيها.

وبعد ما طافت هذه البعثة العسكرية في مدينة (الأغواط)، سافرت إلى (عين ماضي) المركز الأساسي للطريقة الصوفية الكبرى التيجانية ملبين دعوى رئيس هذه الطريقة المحترمة المبجلة الشيخ سيدي محمد الكبير، وبعدما تفرَّجوا على المدينة يعني: قرية (عين ماضي) وعلى الزاوية ذهبوا إلى القصر العظيم الذي شيد بإيعاز من السيدة الفرنسية مدام أوريلي التيجاني (أيم التيجاني)، وفي ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة كبرى لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بـ(الأغواط) و(عين ماضي)، وفي أثناء شرب الشاي قام حبيبنا حسني سي أحمد بن الطالب، وتلا باسم المرابط سيدي محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التي قامت بها الطائفة التيجانية

لفرنسا وفي سبيل فرسنا في توطيد الاستعمار الفرنسي. **وفي تسهيل مهمة الاحتلال** على الفرنسيين، وفي إشارات التعقل كانت **تسديها هذه الطريقة** لمريديها من الأحباب. . .

ثم قالت الجريدة: وحيث طلب منا **نشر هذه الخطبة** القيمة فإننا ننشرها فيما يلي:

وهنا أوردت الجريدة **جانبًا كبيرًا من الخطبة** نصفها أو ثلثيها، كله ثناء لا **يحصى ولا يعد على فرنسا المستعمرة، فوصفها** الخطيب بأنها أم الوطن الكبرى، **وانهال عليها مدحًا وشكرًا** بما لا يخرج عن معنى ما نسمعه دائمًا من دعاتها المأجورين، إلا أنه قال: حتى الأرذال الأوباش أعداء فرنسا الذين ينكرون الجميل، ولا يعترفون لفاضل بفضل، قد اعترفوا لفرنسا بالمدينة والاستعمار، وبأنها حملت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة، وحملت الأمن والثروة والرخاء والسعادة والهناء. . .

ولكن المهم من الخطبة هو الجانب الأخير منها؛ لأنه يحتوي على اعترفات خطيرة مثبتة بتواريخها، ونحن ننقل هذه الاعترافات حرفيًا، ونعرضها على صفحات (الفتح) المجلة التي يثق بها المسلمون جميعًا، ولكل مسلم أن يحكم على هذه الاعترافات بما يشاء.

قال الشيخ سيدي محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى التيجانية، وهو خليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة، وهذا الخليفة يسيطر على جميع أرواح الأحباب المريدين التيجانيين في مشارق الأرض ومغاربها. . .

إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًا وأدبيًا وسياسيًا، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب. . . قبل أن تصل بلادنا، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام كذا ديارنا.

ففي سنة ١٨٣٨ كان جدي سيدي محمد الصغير رئيس التيجانية يومئذ أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا، الأمير عبد الله القادر

الجزائري، ومع أن هذا العدو - يعني: الأمير عبد القادر- حاصر بلدتنا (عين ماضي)، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر. فإن هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا - نحن المغلوبين- ولي فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهًا لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبد القادر.

وفي سنة ١٦٨٤ كان عمي سيدي أحمد صاحب السجادة التيجانية يومئذ مهد السبيل لجنود الدوك دوماك، وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة، وعاونهم على احتلالها.

وفي سنة ١٨٧٠ حمل سيدي أحمد هذا تشكُّرات الجزائريين للبقية من جنود التيرايور الذين سلموا من واقعة ريش هوفن وواقعة ويسانبور، ولكي يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين؛ وليزيل الريب وسوء الظن اللذين ربما كانا بقيا في قلب حكومتنا الفرنسية العزيزة عليه - يعني من حيث كونه مسلمًا ولو بالاسم فقط - برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطًا قلبيًا، فتزوج في أمد قريب بالفرنسية الآنسة أوريلي بيكار (مدام أو أيم التيجاني بعدئذ)، وبفضل هذه السيدة نعترف به مقرونًا مع الشكر تطورت منطقة كوردان هذه ضاحية من ضواحي (عين ماضي) من أرض صحراوية إلى قصر منيف رائع، ونظرًا لمجهودات مدام أوريلي التيجاني هذه المادية والسياسية، فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة جوقة الشرف.

والمراسل: وسيدي أحمد هذا لما تزوج في سنة ١٨٧٠ بهذه المرأة الفرنسية، كان أول مسلم جزائري تزوج بأجنبية، وقد أصدرت هي كتابًا فرنسيا في هذه الأيام أسمته أميرة الرمال، تعني نفسها، وقد ملأته بالمثالب والمطاعن على الزاوية التيجانية، وذكرت فيه أن سيدي أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكاردينال (لافيجري) على حسب الطقوس الدينية المسيحية، وذلك؛ لأن قانون الزواج الفرنسي كان دينيًا مسيحيًا لا مدنيًا، ولما توفي عنها سيدي أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التيجانية أخوه سيدي علي. . .

ولما أنعمت فرنسا بوسام الشرف على هذه السيدة منذ أربعة أعوام، قالت

الحكومة في تقريرها الرسمي ما نصه: لأن السيدة قد أدارت الزاوية **التيجانية** الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى؛ ولأنها **كسبت للفرنسيين مزارع** خصبة ومراعي كثيرة، لولاها ما خرجت من **أيدي العرب** الجزائريين التيجانيين، ولأنها ساقت إليها جنودًا مجندة **من أحباب هذه** الطريقة ومريديها، يجاهدون في سبيل فرنسا صفًا كأنهم **بنيان مرصوص**...

واليوم تعيش **هذه السيدة أيم التيجاني في** مزرعة لها كبرى في ضواحي مدينة **بلعباس وهران عيشة المترفين ذوي** الرفاهية والنعيم، وهي الآن لم تقطع علائقها **بالزاوية التيجانية**، بل لا تزال تسيطر عليها، وتقبض على أزمتها، ومع أن الأحباب التيجانيين يتبركون بهذه السيدة ويتمسكون بآثارها، ويتيممون لصلواتهم على التراب الذي تمشي عليه، ويسمونها زوج السيدين، فإنها لا تزال مسيحية كاثوليكية إلى هذه الساعة، ومن العجيب أن إحدى وستين سنة قضتها كلها في الإسلام وبين المسلمين من (١٨٧٠ إلى الآن ١٩٣٠) لم تغير من مسيحيتها شيئًا، وهذا دليل على ما كانت عليه تكنه في قلبها لهؤلاء الأحباب الذين حكموها في رقابهم وأموالهم!!

ولنرجع إلى نقل الاعترافات فنقول: ثم قال سيدي محمد الكبير: وفي سنة ١٨٨١ كان أحد مقاديمنا سي عبد القادر بن حميدة مات شهيدًا مع الكولونيل فلاتير؛ حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية.

في سنة ١٨٩٤ طلب منا جول كوميون والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية، فكتبنا عدة رسائل، وأصدرنا عدة أوامر إلى أحباب طريقتنا في بلاد الهكار التوارق والسودان نخبرهم بأن حملة فوولامي الفرنسية هاجمة على بلادهم، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد، وعلى نشر العافية فيها.

وفي سنة ١٩٠٦-١٩٠٧ أرسل المسيو جونار والي الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة سيدي مرانت، برسالة إلى أبي المأسوف عليه سيدي البشير، فأقام عنده في زاوية كوردان شهرًا كاملًا لأداء مهمة سياسية، ولتحرير رسائل وأوامر أمضاه سيدي البشير والدي رئيس

التيجانية يومئذ، ثم وجهت (أرسلت) إلى كبراء مراكش **(المغرب الأقصى)** وأعيانهم وزعماء تلك البلاد **وجيههم** - وهم: وأكثرهم- تيجانيون من أحباب **طريقتنا** نبشرهم بالاستعمار الفرنسي، ونأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة **والاستسلام** والخضوع التام، **وأن يحملوا الأمة على ذلك، وأن يسهلوا على جيوش** فرنسا تلك البلاد.

وفي الحرب العالمية الكبرى أرسلنا ووزعنا في سائر أقطار شمال أفريقية منشورات **تلغرافية وبريدية استنكارًا** لتدخل الأتراك في الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد **حلفائها الكرام، وأمرنا أحباب** طريقتنا بأن يبقوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها.

وفي سنة ١٩١٣ **إجابة لطلب الوالي العام للجزائر أرسلنا بريدًا إلى المقدَّم** الكبير للطريقة التيجانية في السنغال **سيدي الحاج مالك عثمان** ساي نأمره بأن يستعمل نفوذنا الديني الأكبر هناك في السودان لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالي العام للجزء الشمالي من إفريقية الغربية أي: لكي يسهل عليه احتلال واحة شنقيط.

وفي سنة ١٩١٦ إجابة لطلب المارشال ليوتي عميد فرنسا في مراكش كان سيدي علي صاحب السجادة الرئيس الذي كان قبلي كتب مئة وثلاث عشرة رسالة توصية، وأرسلها إلى الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها، وذلك بواسطة نفوذهم الديني...

وفي سنة ١٩٢٥ في أثناء حرب الريف أرسلت أنا حبيبنا المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسني سي أحمد بن الطالب الذي قرأ هذه الخطبة بلسان سيده إلى المغرب الأقصى، فقام بدعاية كبرى - وبروباغندا- واسعة في حدود منطقة الثوار، وتمكن من أخذ عناوين الرءوساء الكبار والأعيان الريفيين والمقاديم وأرباب النفوذ على القبائل الثائرة، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلى مقدَّمنا الأكبر في فاس، فبلغها إلى المبعوث إليهم يدًا بيد.

وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التيجانية نفوذها الديني إلا

وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها. **وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر** حبيبتنا فرنسا النبيلة.

والله المسئول أن يخلد وجودها بيننا لنتمتع **برضاه الخالد**، ثم لما ختم خطبته هذه بالثناء العاطر على الموظفين **الفرنسيين وعلى** الضباط العسكريين واحدًا واحدًا، ومدح الوالي العام **الحالي ووصفه بأنه** المستعمر الأكبر.

وما إن انتهى الشيخ من خطبته حتى نهض ليوتنان كولونيل سيكوني رئيس **البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثنى عليه**، ثم قال له: من كمال مروءتك وإحسانك **يا سيدي الشيخ** المرابط أنك لن تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التي غمرتني بها، فأنت الذي أنجيتني من التوارق الملثمين، وأنقذتني من أيديهم... وهكذا جعل الكولونيل يذكر مناقب أخرى للشيخ كثيرة.

ونلفت نظر القراء إلى شيئين اثنين:

أحدهما: **أن الرئاسة الروحية في هذه الطريقة التيجانية هي موحدة في يد** الخليفة، **وليس لأحد منهم أن يستقل عنه**.

وأما الثاني: فهو أن دعاة الإصلاح الإسلامي في المغرب العربي (الجزائر، تونس، مراكش) هم اليوم يقفون موقفًا حرجا جدًّا للغاية، فهم يحاربون دعاة الإباحية والإلحاد، وأهل الجمود والخرافات، ويقاومون في هؤلاء وهؤلاء الاستعمار الغاشم، وما فيه من قسوة وطغيان. اهـ.

ويقول بول أودينو: خلال السنين الستين الأخيرة كانت التيجانية تقدم لنا العون، ومنذ سنة ١٩١١م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف[١].

ويقول روم لاندو: وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية، والدور الذي تلعبه مرات ومرات متعددة من قبل، وثمة وثيقتان قلما يعرفها الناس تزودنا بالمعلومات الطريفة:

أولاهما: رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال (بوجو) أول حاكم

---

(١) «تاريخ المغرب في القرن العشرين» لروم لاندو ص ١٤٣

للجزائر، إلى شيخ التيجانية ذات النفوذ الواسع؛ إذ إنه لولا موقفها المشبع بالعطف؛ لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المتفتحة حديثًا أصعب بكثير مما كان.

ويقول المارشال في نهاية الرسالة: **عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما، أو إلى خدمة من أي نوع كانت، فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك.**

ثم قال (روم لاندو): **ووثيقتنا الثانية** تلقي ضوءًا على طريقة الإقناع: إنها إعلان بعث به خليفة التيجاني الذي تلقى رسالة المارشال (بوجو) إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة ١٩٢٥م، يدعو فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التيجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: إن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها... وفرنسا قد انتصرت مؤخرًا في حرب (١٩١٤-١٩١٩م) على واحدة من أعظم دول أوروبا وأقواها. ألا ينصر سبحانه ويمنح عباده من يشاء[١].

وينقل عن جوليان أنه أثنى على الحكومة الفرنسية قائلًا: ولقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين سولتهم وحمتهم[٢].

فهذه هي إحدى الطرق الصوفية المشهورة في شمال أفريقيا والغرب وبلاد المغرب العربي، فصلنا القول فيها لما لها من أهمية ومكانة عند المغفلين والسذَّج من الناس، ولا زال كثير من الذين أعياهم العلم، وأعماهم التعصب، واستولى عليهم الجهل، وأقعدهم الكسل والبطالة أو أكل أموال الناس بالباطل يعتنقون بها ويروجون أباطيلها، وينشرون أضاليلها، ويؤولون مقولاتها، مبتعدين عن الحق، حائرين متحيرين، ومن يضلل الله فما له من هاد.

---

(١) «تاريخ المغرب» ص ١٤٠-١٤١ .

(٢) أيضًا ص ١٤٠

الباب السادس
مُصْطَلَحَاتُ الصُّوفِيَّةِ

إن للصوفية **مصطلحات تعبر عنها ألفاظ** وكلمات وتراكيب، ولها معان خاصة ومطالب **مخصوصة غير ما** يدل عليه ظاهر الألفاظ والكلمات، أو تتضمن هذه الكلمات والألفاظ على مدلولاتها الأصلية، ولكن لها معان أعمق وأكثر من مفهومها ومدلولها الظاهر بداهة ولأول وهلة، فإنها لم توضع إلا لنوع معين وقسم خاص من المفاهيم والمقاصد الغير المتبادر إليها الذهن، لكل قوم ما اصطلحوا عليه فلا يدرك أبعادها، ولا يفهم مطالبها إلا من كان له معرفة وإلمام وعلم وإدراك بمصطلحات القوم، وبما اختاروا لها من الكلمات والألفاظ، ولما اختاروا لها أيضًا، وربما يقرأ القارئ كتابًا صوفيًا أو رسالة صوفية فيمر على ألفاظ هي كالألفاظ، وكلمات كالكلمات، ولكن لا يفهم منها شيئًا مع معرفته باللغة التي استعملت فيها تلك الألفاظ والكلمات، وإتقانه إياها، ويستغرب ويتعجب ويضل في متاهاتها، ويتحير في مسالكها وصحاريها وبراريها، وما أصدق ما قاله السمعاني في هذا الخصوص نفسه كما ينقل عنه الإمام الذهبي أنه قال: كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح ديِّن خيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، تفقه على المُخَرِّمي، وصحب الشيخ حمادًا الدباس، وكان يسكن باب الأزج في مدرسة بنيت له، مضينا لزيارته، فخرج وقعد بين أصحابه وختموا القرآن، فألقى درسًا ما فهمت منه شيئًا، وأعجب من ذا أن أصحابه قاموا وأعادوا الدرس، فلعلهم فهموا لإلفهم كلامه وعبارته[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي ج٢٠ ص ٤٤١ .

فلم يفهم منه شيئًا؛ لأنه لم يكن له علم بمصطلحات القوم ومدلولات كلماتهم، وفي مثل ذلك قال من قال:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

وقد أقر بذلك صوفي قديم نقلًا عن الشبلي أنه أنشد:

علم التصوف علم لا نفاد له علم سني سماوي ربوبي
فيه الفوائد لأرباب يعرفها أهل الجزالة والصنع الخصوصي[(١)]

وكثيرًا ما يمر على القارئ ألفاظ معناها الظاهر والعادي، لكن القوم يستعملونها كاصطلاح خاص تعبيرًا عن فلسفة مخصوصة وعقيدة مميزة يؤمنون بها ويعتقدون فيها، فهو لعدم معرفته لا يدرك حقيقتها؛ فلا يصل إلى الفهم الصحيح والمعنى الحقيقي الذي يجعله مطلعًا على مذهب القوم ومشربهم؛ فأردنا في هذا الباب أن نذكر بعض المصطلحات التي عليها تدور رحى التصوف.

وقد كثر استعمالها في كتابنا، ولا بد لمن أراد التعرف لمذهب أهل التصوف من أن يعرفها والمفاهيم التي وضعت لأجلها، وآنذاك يصل إلى الكنه والمغزى والمقصود والمطلوب.

ولقد كثر استعمال مصطلحات: «الحقيقة المحمدية»، و«القطب»، و«الأبدال»، و«الأوتاد»، وغيرها، فهذه قد مرَّ بيانُها في كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر» تحت عناوين مختلفة، فلا فائدة لتكرار ما ذكر هناك، ونذكر الأشياء التي بقي توضيحها وكشف مفاهيمها ومدلولاتها.

وقد كثر ورودها في كتابنا وكتب الصوفية، فمنها:

«الغيبة»، وهي عندهم أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها[(٢)].

ويقول القشيري والكمشخانوي: هي غيبة القلب عن علم ما يجري من

---

(١) «التعرف لمذهب أهل التصوف» لأبي بكر محمد الكلاباذي ص ١٠٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٨٠م.

(٢) «التعرف لمذهب أهل التصوف» ص ١٤٠

أحوال الخلق بما يرد عليه، ثم قد يغيب عن غيره فقط، **وقد يغيب عن غيره وعن نفسه** أيضًا إذا عظم الوارد[١].

وينشد الكمشخانوي:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدني وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفًا خليًا عن التذكار للجن والإنس[٢]

ويقول الهجويري: المراد من الغيبة غيبة القلب عما دون الحق إلى حد أن يغيب عن نفسه، **حتى إنه بغيبته** عن نفسه لا يرى نفسه[٣].

وبمثل ذلك قال الطوسي[٤].

وينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن سيده أحمد الدردير أنه قال مبينًا حالة غيبته عن نفسه: حتى لو تكلم الناس وأنا معهم بكلام وخاطبوني به لا أدري ما قالوا، وهم لا يعلمون مني هذا الحال؛ لأني صورتي الظاهرية صورة العاقل الصاحي، وهذا أمر عجيب لا يعرفه إلا من ذاقه[٥].

فمعنى الغيبة عند الصوفية هو أن يغيب الإنسان عن فكره وذهنه ووجوده، لا يدري ما يقع في الكون، ولا يفهم كلام الناس، فظاهره معهم، وباطنه غائب عنهم، وهذا مقام سني عندهم يحوزه كبار أوليائهم ومشايخهم، فيحكون عن ذي النون المصري أنه بعث إنسانًا من أصحابه إلى أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد. فلما جاء الرجل إلى بسطام، سأل عن دار أبي

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٢٣٢، أيضًا «جامع الأصول في الأولياء» للكمشخانوي ص ٢٥٤.

(٢) «جامع الأصول في الأولياء» لأحمد «الكمشخانوي» ص ١٢٥

(٣) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٨٩

(٤) انظر كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤١٦.

(٥) «سيدي أحمد الدردير» للدكتور عبد الحليم محمود ص ٧٧ ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

يزيد، فدخل عليه، فقال له أبو يزيد: ما تريد؟ **فقال: أريد أبا يزيد. فقال:** من أبو يزيد؟ وأين أبو يزيد؟ **أنا في** طلب **أبي يزيد. فخرج** الرجل، وقال: **هذا مجنون.** ورجع الرجل **إلى ذي النون فأخبره بما شاهد، فبكى** ذو النون، وقال: **أخي أبو** يزيد ذهب في الذاهبين **إلى الله**[١].

ومثل ذلك حكى ابن عجيبة عن الشبلي أنه **قال له** رجل: **أين الشبلي؟** قال: **مات، لا رحمه الله**[٢].

فهذه هي الغيبة الصوفية، يقولون: إن الإنسان ليستغرق في ذكر الله تعالى ومحبته حتى إنه **ينسى نفسه، والمعلوم** شرعًا وعقلًا أن ذكر الله -عز وجل- لا يستجلب هذا النوع من **الجنون والهَذَيان**، بل يُثمر الراحة والاطمئنان والسكينة:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٣].

فنسيان الكون والنفس، وذهاب العقل والفهم أمرٌ مذموم، وليس شيئًا محمودًا حتى يكون من ثمرات ذكر الله تعالى ومحبته، بل إنها أذواق شيطانية لا تُقرُّها الشريعة الإسلامية.

هذا، ويذكر القشيري صوفيًا غاب فكره وذهنه وعقله وفهمه، وهو أبو علي الدقاق، فيحكي عن أبي نصر المؤذن بنيسابور أنه قال: كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق بنيسابور، وقت كونه هناك، وكان يتكلم في الحج كثيرًا، فأثر في قلبي كلامه، فخرجت إلى الحج تلك السنة، وتركت الحانوت والحرفة، وكان الأستاذ أبو علي -رحمه الله- خرج إلى الحج أيضًا تلك السنة، وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب على القراءة في مجلسه، فرأيته يومًا في البادية تطهر ونسي قمقمةً كانت بيده، فحملتها؛ فلما عاد إلى

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٢٣٤-٢٣٥، «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٩٠، «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٣٠٨، «مشارق أنوار القلوب» للدباغ ص ١٠٣، «ترصيع الجواهر المكية» ص ٤٢ .

(٢) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٣٠٨ ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٨ .

رحله وضعتها عنده، فقال: جزاك الله خيرًا! حيث حملت هذا. **ثم نظر إليَّ** طويلًا كأنه لم يرني قط، وقال: رأيتك مرة. فمن **أنت؟ فقلت: المستغاث** بالله، صحبتك مدة، وخرجت عن مسكني **ومالي بسببك، وتقطعت في** المفازة بك، والساعة تقول: رأيتك مرة[١].

وذلك؛ لأنه كان غائبًا عن **نفسه**.

وحكي عن أبي عقال **أنه دخل عليه بعض** الفقراء فقال له: سلامٌ عليكم. **فقال له أبو عقال: وعليكم السلام. فقال** الرجل: أنا فلان. فقال أبو عقال: **أنت فلان، كيف أنت؟ وكيف** حالك؟ وغاب عن حالته. قال هذا الرجل، **فقلت له**: سلامٌ عليكم. فقال: وعليكم السلام. وكأنه لم يرني قط. ففعلت مثل هذا غير مرة، فعلمت أن الرجل غائب؛ فتركته، وخرجت من عنده[٢].

وحكاية أخرى حكاها كل من القشيري وابن الملقن وعماد الدين الأموي، تُبَيِّنُ حقيقة هذا المصطلح، فينقلون عن الجنيد أنه كان قاعدًا، وعنده امرأته، فدخل عليه الشبلي، فأرادت امرأته أن تستتر، فقال لها الجنيد: لا خبر للشبلي عنك، فاقعدي. فلم يزل يكلمه الجنيد، حتى بكى الشبلي؛ فلما أخذ الشبلي في البكاء، قال الجنيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبلي من غيبته[٣].

هذا بالنسبة لغيبة الصوفي عن ذهنه وفكره ووجوده. وأما غيبته هو عن الخلق ووصوله إلى الله كما يدَّعُون، فيروي الأموي أن الحسن -رحمه الله- اختفى عند حبيب العجمي من الحجاج، فسعى به، فدخل عليه الشرط، فقالوا: أين الحسن؟ قيل لنا: إن الحسن عندك. فقال: هل ترون شيئًا؟ ففتشوا الدار كلها، وخرجوا وهم لا يرونه؛ لأنه كان عند الله فلم يروه[٤].

---

(١) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) أيضًا ص ٢٢١ .

(٣) انظر «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٢٣٣، أيضًا «طبقات الأولياء» لابن الملقن ٢١١، أيضًا «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢٧٣ بهامش «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٦٩ بهامش «قوت القلوب».

فهذه هي أقاويل المتصوفة في الغيبة إحدى مصطلحاتهم.

ومثلها السُكر كما يقولون: السُكْر هو أن يغيب الإنسان عن تمييز الأشياء(١).

ويقول شهاب الدين يحيى السهروردي المقتول: السُكْر سانح قدسي للنفس يؤدي إلى إبطال النظام عن الحركات(٢).

ويذكره المنوفي الحسيني بقوله: السُكْر غيبة بوارد شهود الخلق(٣).

ويقول روزبهان: السُكْر هو كثرة شرب أقداح حسن التجلي(٤).

ويقول الطوسي: السُكْر معناه قريب من معنى الغيبة، غير أن السُكْر أقوى من الغيبة(٥).

وقريبًا من معنى اصطلاح الغيبة والسُكْر المحو كما يقول الكمشخانوي: إذا غلب على الصوفي المحو، فلا علم ولا عقل ولافهم ولا حس، كما روي مسندًا أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين ولم يأكل ولم يشرب إلى أن مات، وكان يسلِّم عليه خاص أصحابه فلم يعرفه حتى يعرِّفه نفسه، ثم يغيب عنه الشيخ حتى لو عاوده بالكلام لم يعرفه الشيخ، ومنهم من يعود إلى حال أداء الفرض فقط(٦).

ومثلَ ذلك ذكروا عن أبي عبد الله التروغندي أنه ما كان يُفيق إلا في أوقات الصلاة، يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم يزل كذلك إلى أن مات(٧).

---

(١) «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي ص ١٣٨ .

(٢) كلمة التصوف للسهروردي ضمن رسالة أز شيخ أشراق فصل في شرح بعض مصطلحات الصوفية ص ١٢٥ ط مؤسسة انتشارات إسلامي لاهور باكستان.

(٣) «جمهرة الأولياء» لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ١ ص ٣٠٤ .

(٤) «شرح الحجب والأستار» لروزبهان ص ١٩ ط.

(٥) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤١٦ .

(٦) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١٢٦

(٧) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٣٢١ .

ومنها الصولة؛ وهي أن لا يرى أحدًا إلا الله[١].

وأما الحضور والصحو، فهما: رجوع الصوفي إلى الإحساس بعد غيبة عقله وإحساسه[٢].

ويذكر الهجويري أن داود -عليه السلام- رأى امرأة أوريا في حالة السُّكْر، فيقول: وقع نظر داود -عليه السلام- على ما لم يكن ينبغي له أن ينظر إليه -أي على امرأة أوريا- وكان ذلك في حالة السُّكْر، أما نظر المصطفى ﷺ إلى امرأة زَيْد، فكانت تلك النظرة في محل الصحو[٣].

ومن المصطلحات الصوفية الجمع؛ وهو شهود الحق بلا خلق، وجمع الجمع شهود الخلق قائمًا بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع[٤].

ويصرِّح القشيري: جمع الجمع الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله -عز وجل- عند غلبات الحقيقة؛ فالعبد يطالع نفسه في هذه الحالة في تصريف الحق سبحانه، يشهد مبدئ ذاته وعيه بقدرته، ومجري أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته[٥].

ويقول روزبهان: الجمع هو ظهور التجلي في الروح[٦].

وقد جمع هذه المصطلحات الصوفية كلها عطاء الله السكندري في «حكمه»؛ حيث قال: وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، فهو عبد مواجه بالحقيقة، ظاهر

---

(١) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) انظر «اللمع» للطوسي ص ٤١٦، «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٩٠، جامع الأصول ص ٢٢٩، كلمة التصوف للسهرودي ص ١٢٥، جمهرة ص ٣٠٥ .

(٣) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤١٤ ط دار النهضة العربية بيروت.

(٤) «اصطلاحات الصوفية» لعبد الرزاق القاشاني من صوفية القرن الثامن الهجري ص ٤١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م، أيضًا متممات جامع الأصول في الأولياء ص ٨٠، أيضًا «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ص ٣٠٢ .

(٥) «الرسالة القشيرية» ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦

(٦) «شرح الحجب والأستار» لروزبهان.

عليه سناها، سالك للطريقة، قد استوى على مداها. غير أنه غريق الأنوار، مطموس الآثار، قد غلب سُكْرُه على صحوه. وجمعه على فرقه، وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره[١].

ويشرح النفزي الرندي هذه العبارة بقوله: هذا هو حال الخاصة من أرباب الحقائق، وهم الذين غابوا عن شهود الخلق بشهود الملك الحق، فلم يقع لهم شعور بهم، ولا التفات إليهم، وفنوا عن الأسباب برؤية مسبب الأسباب، فلم يروا لها فعلًا ولا جَعْلًا، فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها، أي: نورها وضياؤها، سالكون طريقة الحق، قد استولوا على مداها، أي: وصلوا إلى غايتها ومنتهاها، إلا أنهم غرقوا في بحار أنوار التوحيد، مطموس عليهم آثار الوسايط والعبيد، أي. مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سُكْرهم، وهو: عدم إحساسهم بالأغيار، على صحوهم، وهو: وجود إحساسهم بها، وجمعهم، وهو ثبوت وجود الحق فردًا، على فرقهم، وهو ثبوت وجود الخلق، وفناؤهم، وهو: استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم، وهو شعورهم بالخلق، وغيبتهم، وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق.

ومعاني هذه الألفاظ، كما تراها متقاربة، وهي ألفاظ تداولها الصوفية المحققون بينهم، وعبروا بها في كتبهم، وضعوها على معانٍ اختصوا بفهمها، ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به، ولهم ألفاظ كثيرة غيرها[٢].

ولعل معنى اصطلاح الجمع يتضح أكثر بنص الهجويري حيث قال: الجمع هو أن يصير كل المحب كل المحبوب... وهو أن يكون العبد في الحكم والهًا ومدهوشًا، ويكون حكمه حكم المجانين...

---

(١) «الحكم العطائية» لتاج الدين بن عطاء الله السكندري ص ٢٠٨ ضمن «غيث المواهب العلية».

(٢) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج٢ ص ٢٠٨-٢٠٩ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. ط مطبعة السعادة القاهرة ١٣٨٠هـ.

ويقول واحد من المشايخ رحمه الله: جاء درويش إلى مكة، وأقام سنة في مشاهدة الكعبة، فلم يطعم ولم يشرب ولم ينم ولم يذهب للطهارة، لاجتماع همته برؤية البيت؛ لأن الله تعالى قد أضافه إلى نفسه فصار غذاء جسده ومشرب روحه...

ومثل جمع همة المجنون في ليلى؛ لأنه حينما لم يكن يراها كان كل العالم وكل الموجودات عنده صورة ليلى[1].

وكثيرًا ما يذكر الصوفية عند بيان مصطلحاتهم العشق الغزلي والحب الطبيعي، ويشبهون الله -عز وجل- بمعشوق مجازي، ويحملون وصفه سبحانه وتعالى على ليلى وغيرها، ثم يحاولون ربط العلاقة بين الحبين، سنذكر هذا المبدأ مفصلًا في هذا الباب إن شاء الله.

وعلى كل فإن الصوفية تكلموا وراء ستار هذه المصطلحات والكلمات في موضوعات لا تمت إلى الإسلام بصلة، واعتقدوا بالحلول والاتحاد، والوصول والاتصال. وقد استغرب المسلمون عقائدهم وأفكارهم هذه.

فمما يدل على اعتقاد الصوفية بحلول ذات الله تعالى في العبد اصطلاحهم «الفناء»، وهو من أهم المصطلحات التي يقوم عليها مذهبهم وتتأسس عليها ديانتهم. والفناء عند الصوفية: فناء ذات العبد في ذات الرب، فتزول الصفات البشرية في هذا المقام، وتبقى الصفات الإلهية، وتفنى جهة العبد البشرية في الجهة الربانية؛ فيكون العبد والرب شيئًا واحدًا، والعياذ بالله.

فيصرح داود بن محمود القيصري: المراد من الفناء فناء جهة العبد البشرية في الجهة الربانية؛ إذ لكل عبد جهة من الحضرة الإلهية... وهذا الفناء موجب لأن يتعين العبد بتعينات حقانية، وصفات ربانية[2].

---

(١) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٩٨-٤٩٩.

(٢) «مقدمة شرح الفصوص» للقيصري مخطوط نقلًا عن ملحقات «ختم الأولياء» للحكيم الترمذي ص ٤٩١ ط بيروت.

ويقول النفزي الرندي: فناء في الذات؛ أي: **لا موجود على الإطلاق إلا** الله تعالى، وأنشدوا في ذلك:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء[١]

ويعتبر فريد الدين العطار فناء السالك **في الله كفناء القطرة في البحر**[٢].

ويقول ابن الدباغ: واعلم أن المحب ما لم **يصل إلى مقام الاتحاد لا تنقطع الحجب التي بينه وبين** محبوبه، فإنها كثيرة، لكن بعضها ألطف وأشد نورانية من بعض، **وكلما كشف له منها** حجاب، تاقت النفس إلى كشف ما بعده حتى **تزول جميعها عند الاتحاد**[٣].

ويصرح أيضًا **بعقيدة اتصال الصوفي بالله تعالى، بقوله**: واعلم أن كل من أحب ذاتًا ما محبة كاملة خالصة، **وأراد الاتصال بتلك الذات لا يمكنه ذلك إلا بخلع ما سواه وترك الإحساس به، فإذا صح له هذا مع صحة التوجه، فقد** وصل إلى مطلبه من الاتصال، ولا مانع من الاتصال بالحق مع حصول معرفته إلا بالشعور بما سواه، ومن تجرَّد عن بدنه واطَّرحه ناحية وفني عن شعوره بذلك، فقد اتصل بالحق؛ لأن بدن الإنسان أقرب العالم المحسوس إليه، فإذا فني عنه، فقد فني عن العالم كله، وهذا هو الوصول، ومن صار له هذا الانسلاخ ملكة بحيث يفعله متى شاء، فهو الواصل على الحقيقة لتمكُّنه من مقام شهود الحق[٤].

ويقولون: إن الله يتجلى على العبد في هذا المقام، كما يذكر ذلك السهروردي في «عوارفه» بقوله: أما الفناء الباطن، فهو محو آثار الوجود عند

---

(١) «غيث المواهب العلية» في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي ج ١ ص ٩٩ .

(٢) انظر «منطق الطير» لفريد الدين العطار، المقالة الرابعة والأربعون ص ٤٠٤ ط دار الأندلس بيروت.

(٣) «مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب» ص ٦٨، تحقيق المستشرق هـ. ريتر ط دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ.

(٤) «مشارق أنوار القلوب» للدباغ ص ٩٤ .

لمعان نور الشهود، يكون في تجلي الذات، وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا[١].

وقال: قد يكون التجلي بطريق الأفعال، وقد يكون بطريق الصفات، وقد يكون بطريق الذات[٢].

ويكتب ظهير الدين القادري: **الفناء هو أن يطالع** الحق سرَّ وليّه بأدنى تجلٍّ، فيتلاشى الكون **ويفنى الولي تحت تلك** الإشارة[٣].

ويقول ابن عجيبة: إن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار، وملئت بالأنوار والأسرار، **لا يتجلى فيها إلا** الحق[٤].

وينقل الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه كان يقول:

إذا ما تجلى الحق من غيب ذاته تلاشى وجود الغير حقًا بلا شك[٥]

ويقول المنوفي الحسيني شارحًا الصدق: هو الفناء في الحق بالتجلي الذاتي[٦].

ويبين القاشاني معنى التجلي الشهودي بقوله: هو ظهور الوجود المسمى باسم النور، وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي صورها، وذلك الظهور هو النفس الرحماني الذي يوجد به الكل[٧].

ويقول مصطفى بن الحسين الصادقي بأن العارف يذكر الله تعالى ويصقل قلبه ختى صار بحيث إذا تجلى له المحبوب لم ير في تلك المرآة إلا وجهه الكريم وهو قد اضمحلَّ بجنب ذاك الجمال، وانمحق تحت أنوار الجلال، ولم يبق منه أثر ولا خبر، بل استولى عليه الرب سبحانه، فصار سمعه الذي

---

(١) «عوارف المعارف» للسهرودي ص ١٥٤ .

(٢) أيضًا ٥٢٦ .

(٣) «الفتح المبين» لظهير الدين القادري ص ٣٨ ط المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.

(٤) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٢٧ .

(٥) «الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٧١ .

(٦) «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ج ١ ص ٣٠٥ .

(٧) «اصطلاحات الصوفية» للقاشاني ص ١٥٦ .

به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ويده التي بها يبطش، فتجلى الحق سبحانه حينئذ بذاته لذاته، وكان محبًا لذاته بذاته، جاز إطلاق اسم المحبوب على ذلك العبد[١].

ويقول **الوزير** لسان الدين بن **الخطيب**: **أي** النفس.

فإذا جازت هذا المقام وهو فناء الفناء، **وعدم منها الخلق بالكلية، وتجلى** لها الحق **فشهدته موصوفًا** بالصفة التي تليق به، فحينئذٍ يصح الوصول[٢].

وإليكم **الآن ما قاله الجيلي عبد** الكريم موضحًا معنى التجلي: التجلي الصوري ظهوره في **مخلوقاته على ما اقتضاه القانون الخلقي التشبيهي**[٣].

وأصرح من ذلك ما قاله في مقام آخر: **إن العبد إذا** أراد الحق سبحانه وتعالى أن يتجلى عليه باسم أو صفة، فإنه يفنى العبد فناء يعدمه عن نفسه، ويسلبه عن وجوده، فإذا طمس النور العبدي، وفني الروح الخلقي، أقام الحق سبحانه وتعالى في الهيكل العبدي[٤].

ويقول: الإنسان الكامل هو مظهره الأكمل، وجلاؤه الأفضل[٥].

فليشاهد القارئ كيف أبدل الصوفية بالحلول كلمة التجلي، والحق أن التجلي الصوفي ليس إلا الحلول المسيحي.

ويستغرب الباحث حينما يجد الصوفية يبرِّئون أنفسهم عن الاعتقاد بالحلول، مع هذه التصريحات والتوضيحات التي لا تترك مجالًا للريب والشك في هذا الخصوص.

ومقام الفناء على حد تعبيرهم هو الذي ادعى فيه كثير من مشايخ الصوفية

---

(١) «المنهج الموصل إلى الطريقة الأنهج» لمصطفى بن الحسين الصادقي مخطوط ص ٨، ٩.

(٢) «روضة التعريف» للسان الدين بن الخطيب ص ٤٦٤ ط دار الفكر العربي.

(٣) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي ج ١ ص ٤٩ ط مصطفى البابي، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

(٤) أيضًا ص ٦٧.

(٥) أيضًا ج ٢ ص ١٧.

الحلول والاتحاد حسب روايات المتصوفة، كما نقلوا عن أبي يزيد **البسطامي** أنه كان **يقول**: سبحاني ما أعظم شأني[(١)].

فيقولون: إن قائل هذه الكلمة ليس أبا يزيد، **بل الله** -سبحانه وتعالى- هو الذي قال بها كما صرَّح بذلك **القشيري في رسالته؛** حيث قال: قال أبو يزيد: سبحاني، ما قال إلا الحق[(٢)].

ويقول نجم الدين **الكبرى: تتجلى سبحات** وجهه الكريم، ويجري على لسان **السيار الصوفي بحكم الاضطرار:** سبحاني سبحاني ما أعظم شأني[(٣)].

لماذا هذا التستر وراء كلمة التجلي، ولِمَ لا يصرِّحون ويقولون: «تحلٌ» وما التجلي غير الحلول باختلاف لفظي، والمعنى واحد.

ونقل عن البسطامي أيضًا الهجويري أنه كان يومًا في الصومعة، فجاءه رجل وقال: هل أبو يزيد في البيت؟ فقال: هل في البيت إلا الله[(٤)].

ونقلوا عنه أنه قال: وما في الجُبَّة غير الله[(٥)].

وذكر الوزير لسان الدين عنه أيضًا أنه قال: قال لي الحق: يا أبا يزيد، كل هؤلاء خلقي إلا أنت، أنت أنا، وأنا أنت[(٦)].

وقال أيضًا: رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد، إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك، قالوا: رأيناك فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا[(٧)].

---

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٧٥، رسالة «ترتيب السلوك» للقشيري ص ٧٣، فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى ص ٣٦، «درر الغواص» للشعراني ص ٨٥، «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٢٠٤، «جمهرة الأولياء» ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) «ترتيب السلوك» للقشيري ص ٧٣ من مجموعة الرسائل القشيرية ط إسلام أباد باكستان.

(٣) «فوائح الجمال» لنجم الدين الكبرى ص ٥٥ .

(٤) «كشف المحجوب» للهجويري ص ٤٩٩ .

(٥) انظر «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني ص ٢٣٤ .

(٦) «روضة التعريف» بالحب الشريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٣٥٣ .

(٧) انظر كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٦١ .

فهذا النص صريح في معناه، جلي في محتواه، يدل على اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالعجب ممن يؤولون مثل هذه النصوص بتأويلات سخيفة لتبرئة ساحة المتصوفة، ويسمونها شطحات، ويقولون: لا عبرة بها؛ لأن حكم أصحابها المغمى عليهم[(١)].

مع أن هذه العبارات ومثلها تقتضي خروج أصحابها عن حكم الدين، وأنها ضلال عن قصد السبيل، ونتيجة للاشتغال بالفلسفات الإشراقية وغيرها، وإلا فَلِمَ لَمْ تصدر هذه العبارات من الصحابة ﷺ وهم أعبد الناس وأخشاهم لله.

وإن الله يحفظ وليَّه من التفوه بهذه الكلمات الكفرية، والشيطان هو الذي يتكلَّم على ألسنتهم، ويستولي على أذهانهم وقلوبهم. أعاذ الله جميع المسلمين من ذلك.

هذا، وقد نقل الفيتوري عن أبي راوي الفحل أنه كان يقول: لا إله غيري، ولا معبود سواي. إلى أن سمع به علماء أفريقية، فأنكروا عليه، وأفتَوْا بتكفيره ففرَّ منهم[(٢)].

ومن المعلوم أن أقوال الصوفية هذه ناتجة عن فكرة الفناء، فالصوفية يدَّعون الألوهية لاعتقادهم بالحلول والاتحاد عند وصولهم إلى الله وفنائهم فيه حسب ما يزعمون.

فيقول الوزير لسان الدين بن الخطيب: ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثاني... وكثير من الطوائف تدعي الحلول والاتحاد، والكل متفقون على أنه لا يبقى في ذلك المقام إلا الله[(٣)].

وينقل الشعراني عن أبي مدين المغربي أنه كان يقول: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره[(٤)].

---

(١) انظر «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ٣٧٣ بهامش «قوت القلوب».
(٢) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الفيتوري ص ٨١ .
(٣) «روضة التعريف» للوزير لسان الدين ص ٥١١ .
(٤) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٥٤

ويقول محمد القونوي: الإنسان الكامل مجلٍّ تام للحق، **يظهر الحق به من حيث ذاته**[1].

وينسبون إلى الجيلاني أنه قال: قال لي الله: **يا غوث الأعظم**، ما ظهرت في شيء كظهوري في الإنسان[2].

وأما أمر الحلاج وأقواله **وأشعاره في هذا الخصوص**، فهي معروفة مشهورة، نذكر بعضًا منها، **ونعرض عن الباقي؛** لأننا نريد أن نفرد له ولأمثاله من **ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض** والرومي وغيرهم كتابًا مستقلًا -إن شاء الله- **فمنها أنه سئل**: من أنت؟ قال: أنا الحق؟[3].

ومن أشعاره المشهورة:

سبحان من أظهر ناسوته ... سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[4]

وأيضًا:

رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت: من أنت؟ قال: أنت
ففي بقائي ولا بقائي ... وفي فنائي وجدت أنت
أشار سري إليك حتى ... فنيت عني ودمت أنت[5]

ومما يدل على جرأة المتصوفة على الكذب، ونسبة القول إلى غير قائله أن ابن عجيبة الحسني نسب في «إيقاظه» نفس هذه الأبيات التي قالها

---

(١) رسالة «النصوص» لمحمد القونوي ص ٤٢ .

(٢) مقدمة «مقصود المؤمنين» لبايزيد الأنصاري، تقديم الصوفي الدكتور ميرولي خان ص ١٠٦ . ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان ١٣٩٦هـ.

(٣) انظر «مكاشفة القلوب» للغزالي ص ٢٦ ط الشعب القاهرة، أيضًا «عوارف المعارف» للسهروردي ص ٧٩ .

(٤) ديوان الحلاج، الطبعة الثانية، بغداد ١٤٠٤هـ.

(٥) ديوان الحلاج ص ٣٧ .

الحلاج، نسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: ومما يُنْسَب لسيدنا علي كرم الله وجهه: رأيت ربي بعين قلبي... إلخ[١].

ويقول الحلاج أيضًا:

فأنا الحق حق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق[٢]

ومن أبياته المشهورة كذلك:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

روحه روحي وروحي روحه من رأى روحين حلَّت بدنا[٣]

هذا بالنسبة للحلول والاتحاد، والوصول والاتصال، الذي يسمونه بوحدة الشهود أيضًا:

وأما وحدة الوجود فسنذكر عقيدة الصوفية هذه بالتفصيل -إن شاء الله- عند ذكر ابن عربي وأفكاره في الكتاب المستقل -إن شاء الله- ولكننا نذكر هنا ملخصًا وإجمالًا.

فيعتقد كثير من الصوفية بأنه ليس هناك فرق بين الله وخلقه إلا أن الله تعالى كل، والخلق جزؤه، وأن الله متجل في كل شيء من الكون حتى الكلاب والخنازير، فالكل مظاهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهره.

فيقول ابن عربي: فلا مظهر له إلا نحن، ولا ظهور لنا إلا به. فبه عرفنا أنفسنا وعرفناه، وبنا تحقق عين ما يستحق الإله:

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كانا

فإن قلنا بأنا «هو» يكون الحق إيانا

فبداناه وأخفاه وأبداه وأخفانا

فكان الحق أكوانا وكنا نحن أعيانا

فيظهرنا لنظهره سرارًا ثم إعلانا

---

(١) انظر «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٥٨، ٥٩.

(٢) أيضًا ص ٦٧

(٣) أيضًا ص ٧٧، ٧٨

ويقول أيضًا: فالكل أسماء الله، أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته، **فما في الوجود إلا الله**، والأعيان معدودة في عين ما ظهر **فيها**[1].

ويقول: فكل ما ندركه فهو وجود الحق في **أعيان الممكنات، فمن حيث** هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف **الصور فيه هو** أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور **اسم الظل كذلك لا** يزول باختلاف الصور اسم العالم أو اسم **سوى الحق**[2].

وأيضًا: أسماؤنا أسماء الله تعالى إذ إليه الافتقار بلا شك، وأعياننا في نفس الأمر **ظله لا غيره**[3].

ويقول: يا محجوب لِمَ لَمْ تَرَ وَجه الحق في كل شيء، في ظلمة ونور، ومركّب وبسيط، ولطيف وكثيف[4].

ونصوص أخرى كثيرة له لم نذكرها تجنبًا عن الإطالة.

هذا ويقول حيدر الآملي: ليس في الوجود سوى الله[5].

ونقل روزبهان بقلي شيرازي عن الشبلي أنه قال: ليس هناك غير الله[6].

ونقل ابن عجيبة الحسني عن ابن وفا أنه قال: جميع العالمين له ظلال[7].

ويقول: ولا شيء في الكون سواه[8].

وأيضا: فهل في الوجود أحد سوى الملك الحق[9].

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي ج ٢ص ٤٤، ٤٥ .

(٢) أيضًا ص ٥٣ .

(٣) «فصوص الحكم» لابن عربي ص ١٠٣ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٤) أيضًا ص ١٠٦

(٥) «ذخائر الأعلاق» لابن عربي ص ٧٨ ط مطبعة السعادة القاهرة.

(٦) كتاب «نص النصوص» لحيدر الآملي مخطوط نقلًا عن ملحقات «ختم الأولياء» ع ص ٥٠٦ ط بيروت.

(٧) «شرح شطحيات» ص ٢٧٨ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٨) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة ص ٢٥٤ .

(٩) أيضًا ص ٢٧٢ .

ويقول ابن عطاء الله السكندري: وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؛ إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه[١].

ويقول النفزي الرندي: لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق، وإن وجود ما سواه إنما هو وهم مجرد[٢].

والوزير لسان الدين بن الخطيب يذكر وحدة الوجود بقوله: قال بعض كبارنا: إن الحق عين ما ظهر، وعين ما بطن، ويرون - أي الصوفية- أن وقوع التعدد في تلك الحقيقة، ووجود الاثنينية وهم، باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال، والصدى، وصور المرائي، جمع مرآة، وإن كل ما سوى عين القدم إذا استتبع فهو عدم، كان الله ولا شيء معه[٣].

وأيضًا: فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحدًا، وذلك الواحد هو الحق، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل، فإذا سقط الباطل وهو اللازم بالأوهام لم يبق إلا الحق... فالكل واحد، وإن كان متفرقًا، فسبحان من هو الكل ولا شيء سواه[٤].

ويشرح فلسفة وحدة الوجود بايزيد الأنصاري قائلًا: إن الموجودات واحدة مع ذات المعبود... قال الشاعر:

ها أنا أم أنت هذان الإلهان   حاشاك حاشاك عن إثبات الاثنين

فأين ذاك حيث كنت أرى   قد بان ذاتي حيث لا أنا

ما قيل: من أثبت الله نفى النفس، ومن أثبت النفس نفى الله... والموحد لا يشرك وجودًا مع ذات المعبود حتى لا يصير مشركًا[٥].

فالشرك عندهم إثبات الاثنين إذ لا اثنينية عندهم.

---

(١) «ايقاظ الهمم» ص ٥٦ .

(٢) «الحكم العطائية» لابن عطاء الله السكندري، متن «غيث المواهب العلية» ج ١ ص ١٠٠

(٣) «غيث المواهب العلية» للنفزي الرندي ج ١ ص ٣٢٣ .

(٤) «روضة التعريف» للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٤٩٩ .

(٥) أيضًا ص ٦٠٣

وبذلك قال فخر الدين العراقي المتوفى ٦٨٨هـ:

وأأنت أم أنا هذا العين في العين حاشاي حاشاي من إثبات اثنين[(١)]

ويقول أيضًا:

وما الوجه إلا واحد غير أنه . إذا أنت أعددت المرايا تعددا[(٢)]

يعني لا وجود سوى وجه الله، **والعالم كله** عكس لذات الله ووجهه.

ويقول النسفي: **إن الله هو الموجود حقيقة**، والعالم كله خيال ووهم[(٣)].

ويقول الصوفي الشيعي محمد كاظم عصار إنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، وإن الحق تعالى أوجد العبادة في العباد، فهو في الحقيقة يعتبر معبودًا وعابدًا وموجدًا للعبادة، وحامدًا وخالقًا للحمد ومحمودًا[(٤)].

ويقول محمد القونوي: إن الوسائط السببية ليست غير تعينات الحق في المراتب الإلهية والكونية على اختلاف ضروبها... من حيث إن ظاهر الحق مجلي لباطنه[(٥)].

ويقول: إن الله هو عين الظاهر وعين المظهر[(٦)].

وأما ابن الفارض فيقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلَّت

كلانا مصلٍّ ساجدًا إلى حقيقته بالجامع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة[(٧)]

---

(١) «مقصود المؤمنين» لبايزيد الأنصاري ص ٣٣٥، وما بعد ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان.

(٢) لمعات ص ٥٦ الطبعة الأولى، انتشارات مولى إيران.

(٣) أيضًا ص ٥٠

(٤) «زبدة الحقائق» للنسفي ص ٨٢ ط كتابخانه طهوري إيران ١٤٠٥ هجري قمري.

(٥) رسالة وحدة الوجود لمحمد كاظم عصار ضمن ثلاث رسائل في الحكمة الإسلامية ترجمة صلاح الصادي ص ١٦ ط المطبعة المرتضوية إيران.

(٦) «رسالة النصوص» لمحمد القونوي ص ٣٧ ط مركز نشر دانشكاهي إيران ١٣٦٢ هجري قمري.

(٧) أيضًا ص ٥٧ .

وأيضًا:

فبي موقفي لا بل إلي توجهي كذلك صلاتي لي ومنى كعبتي[١]

وأيضًا:

إلي رسولًا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلَّت[٢]

يعني **أنه هو المرسل**، والرسول، والمرسل إليه.

فالحاصل **أن الصوفية يعتقدون** أن العالم كله ظل وعكس لذات الله تعالى، فهل في الوجود **إلا الله، والإنس** والجن، والشجر والحجر، والدود والدواب، والطيور والسباع، **والكلاب والخنازير صور مختلفة للتجلي** الإلهي، فكل شيء من العالمين إله عند الصوفية، **وعلى ذلك نقل الطوسي** عن أبي حمزة الصوفي أنه كان إذا سمع صوتًا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور فكان يصيح ويقول: **لبيك**[٣].

ونقل عن أبي الحسين النوري أنه سمع نباح الكلاب فقال: لبيك وسعديك[٤]. وأما تجليه سبحانه وتعالى وظهوره في القرود والخنازير عياذًا بالله من نقل الكفر الصوفي البواح فهو كما ذكر ابن عجيبة الحسني حيث نقل عن الشُشتري أنه قال:

محبوبي قد عم الوجود، وقد ظهر في بيض وسود، وفي النصارى مع اليهود، وفي الخنازير مع القرود، وفي الحروف مع النقط، افهمني قط، افهمني قط[٥].

ونقل البقاعي عن بعض أهل العلم أنه رأى شخصًا ممن ينتحل هذه

---

(١) نقلًا عن «مصرع التصوف» للبقاعي المتوفى ٨٨٥هـ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ص ٦٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر «مصرع التصوف» للعلامة البقاعي ص ٧٣ .

(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٩٥ .

(٤) أيضًا ص ٤٩٢ .

(٥) «ايقاظ الهمم» لابن عجيبة الحسني ص ٥٥ .

المقالة القبيحة بثغر الإسكندرية، وأن ذلك الشخص قال له: إن الله **تعالى هو عين كل شيء**، فمر بهما حمار، فقال: وهذا الحمار؟

فقال - أي الصوفي -: وهذا الحمار.

فقال له: وروث الحمار؟

فقال له: وروث الحمار. **نسأل الله السلام والتوفيق**[١].

ويقول عبد الرحمن **الوكيل محقق «مصرع** التصوف»:

ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة، فقال: مر شيخان منهم التلمساني والشيرازي على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم، فقال الشيرازي للتلمساني: هذا (وأشار إلى جثة الكلب الميت الأجرب) أيضًا هو ذات الله!!

فقال: وهل ثَم شيء خارج عنها؟ نعم: الجميع ذاته.

وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء، فالروث شيء، والجيفة المنتنة شيء، والخنزير شيء، والبغي الهلوك شيء، والأحمق المأفون شيء، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم[٢].

وقال في مقدمة كتاب «مصرع التصوف»: إن الصوفية ينشدون:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا[٣].

هذا، وإن الصوفية يعتقدون أن الشيطان أيضًا صورة لذات الله، تجلت الذات الإلهية فيه، كما ذكر ذلك با يزيد الأنصاري: فالشيطان صورة تجلى فيها بصفة الإضلال والإغواء[٤].

وبناء على هذه المعتقدات الكفرية الضالة وهذه الأباطيل الشركية الزائغة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كفر القائلين بالاتحاد أعظم من كفر النصارى[٥].

---

(١) «مصرع التصوف» لبرهان الدين البقاعي ص ١٢٣ .

(٢) هامش «مصرع التصوف» للوكيل ص ١٢٣

(٣) مقدمة كتاب مصرع التصوف ص ٥ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) «مقصود المؤمنين» لبايزيد الأنصاري ص ٢٤٤ .

وقبل أن نتكلم عن الفكرة الباطلة الأخرى، **فكرة وحدة الأديان** نريد أن نبحث فكرة خبيثة نتجت عن وحدة الوجود، وهي: أن الصوفية قد عشقوا الصور الجميلة لاعتقادهم أنها مظاهر الحق، فتصوف وحدة الوجود دعوة إلى خلاعة ما جنة وإلى حب الشهوات الرذيلة، حيث جعلوا العشق الطبيعي سلمًا للحب الإلهي، وحاكوْا في كتبهم الحكايات الغزلية والأساطير العشقية، وجعلوا مجنون ليلى قدوة لهم في حبهم لله تعالى.

فيقول ابن عربي: الجمال محبوب لذاته، فالعالم كله محب لله وجمال صنعه، سار في خلقه، والعالم مظاهره، فحب العالم بعضه بعضًا من حب الله نفسه، فإن الحب صفة الموجود وما في الوجود إلا الله، والجلال والجمال لله. . . فلا محب ولا محبوب إلا الله - عز وجل- فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية، وهي ذاته وصفاته وأفعاله[(١)].

ويصرح في «فصوصه»: فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي[(٢)].

فحب الصور الجميلة من النساء وغيرهن فهو حب الله؛ لأن الله ظاهر فيهما.

ويقول: فما أحب الله إلا الله، والعبد لا يتصف بالحب، إذ لا حكم له فيه، فإنه ما أحبه منه سواه، الظاهر فيه، وهو الظاهر[(٣)].

وأيضًا إن الحسن معشوق لذاته في كل شيء ظهر[(٤)].

وجعلوا الحب السفلي سلمًا للحب الإلهي، كما صرح بذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب بقوله:

عشق الحادث للحادث ربما كان سلمًا للحب الحقيقي الموصل للسعادة[(٥)].

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي ج٢ ص ١١٤ .

(٢) فصوص الحكم لابن عربي ص ٢١٨ .

(٣) «الفتوحات المكية» ج ٢ ص ١١١

(٤) ذخائر الأعلاق لابن عربي ص ٣٨ .

(٥) «روضة التعريف» بالحب الشريف للوزير لسان الدين ص ٢٩٢ .

وصرح به أيضًا ابن الدباغ حيث ذكر:

وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة **أما هذه فوق الركائب حورها**
يقول خليلي والظباء سوانح **أهذا الذي تهوى فقلت نظيرها**
لئن شابهت أجيادها وعيونها **لقد خالفت أعجازها وصدورها**
أراك الحمى قل لي بأي وسيلة **توسلت قبَّلتك ثغورها**

فقد صح أن الجمال الظاهر هو المعنى اللائح على الهياكل الإنسانية التي في غاية **كمال الشكل وتمام الهيئة**.

وأما الجمال الباطن فهو ما تفيده الأنوار القدسية الإلهية إذا أشرقت على العقول الزكية من الاتصاف بأنواع العلوم الدينية وأسرار المعارف الربانية المؤدية إلى المحبة الحقيقية، ولا يدرك هذا الجمال إلا العقول التي هي غاية الصفاء، المستنيرة من أنوار الله التي تكون سببًا لحصول محبة الحق[1].

ويقول: النظر إلى الجمال عبادة إذا قصد بالتعلق به الوصول إلى خالقه؛ إذ لا يستدل على علم الصانع وقدرته إلا بإتقان صنعته وإحكامها... وكيف لا يكون النظر إلى الجمال بهذا الاعتبار عبادة والناظر إليه مطالع لفاطره وواهبه، ومستدل به علي جماله الذي لا ينبغي إلا له، إذ لا يعطي الجمال إلا من هو أجمل منه، ولا نسبة بين الجمالين، كما لا نسبة بين المجاز والحقيقة والفعل الفاعل، بل لا يسمى الجمال المبدع جمالًا إلا من حيث النظر إلى موجده، وأما بالنظر إلى ذاته فهو مجاز محض.

والنظر إلى الواهب هو المقصود، وهذا موصل إليه ودال عليه[2].

فانظر إلى القوم كيف يدعون إلى معصية الله ورسوله بالحث على النظر إلى النساء الجميلات، بدليل أن النظر إلى جمالهن يوصل إلى محبة الله، ودال على حبه؛ إذ إنه هو خالق ذاك الجمال، وأن خالقه أجمل منه.

---

(١) «مشارق أنوار القلوب» لابن الدباغ ص ٤٧-٤٨ط دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ.
(٢) أيضًا ص ١٢٠

فأين قول الله - عز وجل- الذي أمر فيه المؤمنين:
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

ولكن حب الشهوات قد استعبد الصوفية، وذهب بهم إلى أنهم كذبوا على رسول الله ﷺ أنه قال: النظر إلى الوجه الحسن عبادة[2].

وفي ذلك يقول عبد الرحمن الوكيل: النساء عند الصوفية هن أجمل تعينات الذات الإلهية. . . ودائمًا ترى الصوفية يلهجون بذكر النساء، ويرونهن أكمل وأجمل وأتم تعينات الذات الإلهية ومجاليها، وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيوانًا ضاريًا يستعبده الشبق والغلمة الداعرة، ويستعلن دائمًا بالصريح الملتهب عما يزلزله من رجفات الشهوات العارمة، وينزو بعربدته على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسلكن معهم طريق القوم[3].

وأما الاستدلال من أبيات مجنون وأقواله وحكاياته، فكما ذكر الوزير لسان الدين في مسألة عبادة الله لا خوفًا ولا رجاء، يستدل على كون المحبة هي الأصل، لا الخوف والرجاء، من أشعار مجنون يذكرها في روضته:

ولو قيل لمجنون ليلى أوصلها تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي واشفى لبلواها[4]

يذكر لسان الدين هذه الأبيات الغزلية ثم يبني عليها قاعدته في الحب بذات الله مستدلا منها ومن الفلسفة التي ذكرت فيها.

هذا ونقل الشعراني عن الشبلي أنه كان يقول: قيل لمجنون بني عامر: أتحب ليلى؟

---

(١) سورة النور الآية ٣٠ .
(٢) «مشارق أنوار القلوب» ص ١١٦
(٣) هامش «مصرع التصوف» ص ١٤١-١٤٢
(٤) «روضة التعريف بالحب الشريف» ص ٤٢٨ .

قال: لا.

قيل: ولم؟

قال: لأن المحبة ذريعة للوصلة، وقد سقطت **الذريعة**، فليلى أنا، وأنا ليلى[١].

فذكر هذه الحكاية واستدل **منها على اتصال الصوفي** بذات الله سبحانه وتعالى.

ويدعم الطوسي قول من قال: أنا أنت وأنت أنا، بحب مجنون ليلى، فيقول:

أما قول القائل أنا أنت وأنت أنا فمعناه الإشارة إلى ما أشار إليه الشبلي - رحمه الله- حيث قال: في مجلسه: يا قوم: هذا مجنون بني عامر كان إذا سئل عن ليلى، فكان يقول: أنا ليلى، فكان يغيب بليلى عن ليلى حتى يبقى بمشهد ليلى، ويغيبه عن كل معنى سوى ليلى، ويشهد الأشياء كلها بليلى[٢].

وابن عربي يذكر أنواع الحب وكيفياته، فيقول: كان قيس ليلى في هذا المقام، حيث كان يصيح: ليلى، ليلى. في كل ما يكلم به، فإنه كان يتخيل أنه فقيد لها، ولم يكن، إنما قرب الصورة المتخيلة أفرطت في القرب فلم يشاهدها، فكان يطلبها طلب الفاقد. ألا تراه حين جاءته من خارج، فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة، التي أمسكها في خياله منها، فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة؛ فخاف فقدها، فقال لها: إليك عنّي، فإن حبك شغلني عنك. يريد أن تلك الصورة هي عين الحب، فبقى يطلبها: ليلى، ليلى[٣].

يذكر هذا النص ثم يقارن بين الحب الطبيعي والحب الإلهي، ويربط العلاقة بينهما. وروى الشعراني عن ابن الحسين الشيرازي أنه كان يقول:

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٠٤

(٢) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٣٧ .

(٣) «الفتوحات المكية» لابن عربي ج ٢ ص ١١١

رؤي مجنون بني عامر في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وجعلني حجة على المحبين[١].

وإليكم الآن ما قاله الجيلي شارحًا العشق ومستدلًا منه على «الفناء» الاصطلاح الصوفي، فيقول: إذا طفح الود حتى أفنى المحب والمحبوب سمِّيَ عشقًا، وفي هذا المقام يرى العاشق معشوقه فلا يعرفه ولا يصيح إليه، كما روي عن مجنون ليلى أنها مرَّت به ذات يوم، فدعته إليها لتحدثه، فقال لها: دعيني، فإني مشغول بليلى عنك. وهذا آخر مقامات الوصول والقرب، فيه ينكر العارف معروفه؛ فلا يبقى عارف ولا معروف، ولا عاشق ولا معشوق، ولا يبقى إلا العشق وحده، والعشق هو الذات المحض الصرف الذي لا يدخل تحت رسم ولا نعت ولا وصف. فإذا امتحق العاشق وانطمس، أخذ العشق في فناء المعشوق والعاشق، فلا يزال يفنى منه الاسم، ثم الوصف، ثم الذات؛ فلا يبقى عاشق ولا معشوق، فحينئذٍ يظهر العاشق بالصورتين، ويتصف بالصفتين، فيسمى بالعاشق، ويسمى بالمعشوق[٢].

هذا، ويستدل الطوسي وابن الدباغ على فناء العبد في محبة الله من حكاية عاشق ومعشوق أنهما ركبا سفينة، فزلَّت قدم أحدهما من أعلى السفينة؛ فسقط في البحر؛ فلما رآه صاحبه، لم يتمالك أن سقط معه، فلما رفعا إلى السفينة، قال الأول منهما لصاحبه: أنا سقطت دون قصد، وأنت لِمَ سقطت؟ فقال له: ظننت أنني أنت، وغبت عن نفسي؛ فسقطت:

كلما مسَّك شيء مسَّني ... فإذا أنت أنا في كلِّ حال[٣]

وذكروا هذه الحكاية كدليل على الحلول الصوفي والفناء في الذات الإلهي، وكبرهان على القاعدة الصوفية تقوى المحبة بحسب قوتها حتى لا

---

(١) «طبقات الشعراني» ج ١ ص ١٢٠

(٢) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي ج ١ ص ٨٠-٨١ ط مصطفى البابي، الطبعة الرابعة.

(٣) كتاب «اللمع» للطوسي ص ٤٣٧، أيضًا «مشارق أنوار القلوب» لابن الدباغ ص ٩ .

يفهم المحب أن بينه وبين محبوبه فرقًا أصلًا، كما قيل:

أفنيتني بك عني يا غاية المتني
أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني[١]

ويقيس ابن الدباغ محبة الله على **محبة الأشخاص**، ويحمل وصفه على وصف العباد؛ حيث يقول: إن **المحب إذا تحقق في** مقام وجد الموجود، وظهرت عليه آثار الشهود، **يشهد محبوبه في** سائر الذوات، وصفاته مع سائر الصفات، **فلا يرى الوجود سواها، ولا** يراها سواه:

وطارحني غنج اللحاظ معانيا أغار عليها أن تلمَّ بمسمعي
فكررت طرفي في الوجود بأسره فلم أرَ فيه غير معناك مقنعي
وطالعت في سر الهوى فإذا التي أطوف عليها في معالمها معي[٢]

ويذكر في موضع آخر من كتابه قاعدة من قواعد الحب، ثم يستدل عليها من حكايات غزلية عشقية، فيقول: سئل سري السَّقَطِيّ: هل يجد المحب طعم الألم؟ فقال: لا. قيل: وإن ضرب بالسيف؟ قال: وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة.

وحكي أن بعض الشطَّار ضرب مائة فما تألم بذلك، ثم ضرب بعد ذلك سوطًا واحدًا فتألم وصاح، فسئل عن ذلك فقال: العين التي كنت أضرب من أجلها كانت معي ناظرة إلي؛ فلم أجد للضرب ألمًا؛ فلما غابت عني، رجعت إلى جسمي فوجدت الألم.

وكذلك أيضًا حكي أن بشر بن الحارث قال: رأيت شخصًا ببغداد قد ضرب ألف سوط ولم يتكلم؛ فلما حمل إلى السجن تبعته فسألته عن سكوته، فقال: معشوقي الذي كنت أضرب من أجله كان حذائي ينظر إلي. قلت: فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر؟ قال: زعق زعقة وخرَّ ميتا[٣].

---

(١) «مشارق أنوار القلوب» للدباغ ص ٨ .

(٢) «مشارق» ص ٣٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٥

وكذلك عماد الدين الأموي يبين أصلًا من أصول المحبة، ثم يدعمها بحكاية غزلية، فيقول: وأصل حال المحب أن يقطع تشوقه عن كل شيء سوى محبوبه، فمن نظر إلى سواه، فهو محجوب عن مولاه.

يحكى أن بعض الناس رأى امرأة جميلة؛ فاشتغل قلبه بها فقال لها: كُلِّي بك مشغولٌ. فقالت: إن كان كُلُّكَ بِكُلِّي مشغولٌ، فكُلِّي لك مبذولٌ، لكن لي أخت لو رأيت حسنها وجمالها لم تذكرني. فقال: أين هي؟ فقالت: وراءك. فالتفت وراءه؛ فلطمته لطمة، وقالت: يا كذاب، لو كنت صادقًا فيما قلت، لم تلتفت إلى غيري[1].

وأما نجم الدين الكبرى، فيذكر العشق نقلًا عن الجنيد أنه سئل عن العشق، فقال: لا أدري ما هو، ولكن رأيت رجلًا أعمى عشق صبيًا، وكان الصبي لا ينقاد له، فقال الأعمى: يا حبيبي، أَيْش تريد مني؟ قال الصبي: روحك. ففارق روحه في الحال[2].

ثم يقول: وقد يفنى العاشق في العشق، فيكون العاشق هو العشق، ثم يفنى العشق في المعشوق، عشقت جارية بقرية على ساحل نيل مصر، فبقيت أيامًا لا آكل ولا أشرب إلا ما شاء الله، حتى كثرت نار العشق؛ فكنت أتنفس نيرانًا، فتتلقى الناران ما بيني وبين السماء، فما كنت أدري من ثمة أين تلتحقان، فعلمت أن ذلك شاهدي في السماء[3].

فهكذا اعتقد الصوفية أن الله يتجلى في الصور الجميلة من النساء والصبيان، فالعشق بهن هو العشق بذات الله تعالى، وعلى ذلك لا يستحيون من ذكر وقائعهم التي مضت بهم من العشق بالجواري والصبيان.

فهذا هو الحب الذي قالوا عنه: الحب حج ثانٍ[4].

---

(١) «حياة القلوب» لعماد الدين الأموي ج ٢ ص ١١٩

(٢) «فوائح الجمال وفواتح الجلال»، لنجم الدين الكبرى ص ٣٧، ٣٨ ط ألمانيا بتحقيق المستشرق فرينز مائر.

(٣) أيضًا ص ٣٩ .

(٤) انظر «روضة التعريف بالحب الشريف»، للوزير لسان الدين ط دار الفكر العربي.

ونقلوا عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال: لو رأيت حساب الخلق يوم القيامة، لم أعذب أحدًا من العشاق؛ لأنهم لا اختيار لهم في عشقهم[(١)].

وأخيرًا نذكر من ابن الفارض أبياته الخليعة المشهورة؛ حيث ينشد:

ففي النشأة الأولى تراءت[(٢)] لآدم ... ففي مرة لبنى وأخرى بثينة

بمظهر حواء قبل حكم الأمومة ... وآونة تدعى بعزة عزت

وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة

ولَسْنَ سواها لا ولا كُنَّ غيرَها ... وما إن لها في حسنها من شريكة[(٣)]

ثم يعلق عليها الوكيل بقوله: يفتري سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية أتم وأجمل ما تتجلَّى في صور النساء الجميلات، ويفتري أنها تجلّت في صورة ليلى وبثينة وعزة، وقد رمز بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفي العشق، كان لا بُدَّ له من التجلِّي في صور عاشق ليعشق، ويعشق، فتجلى في صور قيس وجميل وكُثَيِّر عشاق أولئك الغانيات.

وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله الحب وتيمته الصبابة.

ثم يفتري أيضًا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة، بل هو هي. فالرب الصوفي عشق وعاشق وعشيقة[(٤)].

وأما وحدة الأديان، فيؤمن بها الصوفية نتيجة إيمانهم بوحدة الوجود، فيقولون: إن الله هو الظاهر في كل شيء، والشيء يطلق على الصنم أيضًا؛ فكل من عبد شجرًا أو حجرًا، أو حيوانًا، أو إنسانًا، أو كوكبًا، أو ملكًا، فهو في الحقيقة يعبد الله، وهذا هو معنى لا إله إلا الله عندهم، كما يقول عبد الكريم الجيلي: لا إله إلا أنا. يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر

---

(١) أيضًا ص ٤١٥ .

(٢) أي: الذات الإلهية.

(٣) «مصرع التصوف» ص ١٠١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) «هامش المصرع» ص ١٠١

في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة، فما تلك الآلهة إلا أنا. ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة، وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية، ولا كما يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث إنهم سموهم آلهة، لا من حيث إنهم في أنفسهم لهم هذه التسمية، وهذا غلط منهم وافتراء على الحق؛ لأن هذه الأشياء كلها، بل جميع ما في الوجود له من جهة ذات الله تعالى في الحقيقة هذه التسمية تسمية حقيقية؛ لأن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية، ولو كان كذلك، لكان الكلام أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التي تعبدونها ليست بآلهة، وأن لا إله إلا الله أنا فاعبدوني، لكنه إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو، فقال: لا إله إلا أنا. أي: ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا، فما في العالم ما يعبد غيري، وكيف يعبدون غيري وأنا خلقتهم ليعبدوني، ولا يكون إلا ما خلقتهم له. قال -عليه الصلاة والسلام- في هذا المقام

«كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». أي لعبادة الحق؛ لأن الحق تعالى قال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وقال تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

فنبه الحق نبيه موسى -عليه السلام- على أن أهل تلك الآلهة إنما عبدوا الله تعالى، ولكن من جهة ذلك المظهر، فطلب من موسى أن يعبد من جهة جميع المظاهر، فقال:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾

أي: ما ثم إلا أنا، وكل ما أطلقتموه عليه اسم الإله فهو أنا[١].

---

(١) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي ج ١ ص ٩٩ .

ويقول العطار: ليس في عين الإنسان إلا شيء واحد. حيث لا **وجود هنا** للكعبة والدير[(١)].

ويقول الشعراني: اعلم أن الموحد سعيه بأي **وجه كان توحيده**[(٢)] وإن لم يكن مؤمنًا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة.

وأما ابن عربي، فأمره مشهور، **وقد ذكر في كتبه** نصوصًا عديدة، وأنشد أبياتًا كثيرة تدلُّ **على أنه يؤمن بوحدة الأديان،** فعبادة الأصنام والأوثان عنده **هي عبادة الله تعالى، والدير لديه كالكعبة،** والكنيسة كالمسجد؛ لتنوع التجليات الإلهية، فهو الظاهر المتجلي في كل شيء، فيقول:

لقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنَّى توجهت ... ركائبه فالدين ديني وإيماني

لنا أسوة في بشر هند وأختها ... وقيس وليلى ثم مي وغيلان[(٣)]

وأنشد أيضًا:

فوقتًا أسمى راعي الظبي بالفلا ... ووقتًا أسمى راهبًا ومنجمًا

تثلث محبوبي وقد كان واحدًا ... كما صيَّرُوا الأقنام بالذات أقنما[(٤)]

وصرَّحَ قائلًا: العارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو ملك، هذا اسم الشخصية فيه، والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده، وهي على الحقيقة مجلي الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلي المختص[(٥)].

---

(١) «منطق الطير»، لفريد الدين عطار ص ٣٨٩ ط دار الأندلس بيروت.

(٢) «اليواقيت والجواهر»، للشعراني (٢/ ٨٥).

(٣) «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق»، لابن عربي ص ٤٩ وما بعد.

(٤) أيضًا ص ٥٢، ٥٣ .

(٥) انظر «فصوص الحكم» لابن عربي ص ١٩٥

وعبادة العجل عنده هي عبادة الله كما يقول: وكان موسى -عليه السلام- أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى ألا يعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء[1].

ويؤمن كذلك بدخول جميع الناس في الجنة، مسلمًا كان أم كافرًا، حيث يقول: فلقد بان لك عن الله تعالى أنه في أينية كل وجهة، وما ثم إلا الاعتقادات. فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه، وإن شقي زمانًا ما في الدار الآخرة[2].

ويقول أيضًا: وأما أهل النار، فمآلهم إلى النعيم، ولكن في النار إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون بردًا وسلامًا على من فيها، وهذا نعيمهم، فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقى في النار، فإنه عليه السلام تعذَّبَ برؤيتها وبما تعوَّدَ في علمه وتقرَّرَ أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان، وما علم مراد الله فيها ومنها في حقه.

فبعد وجود هذه الآلام وجد بردًا وسلامًا مع شهود الصورة اللونية في حقه، وهي نار في عيون الناس. فالشيء الواحد يتنوع في عيون الناظرين، هكذا هو التجلي الإلهي[3].

وهكذا نختم كتابنا هذا سائلين المولى -عز وجل- أن نكون قد وفقنا لتبيين حقيقة الصوفية ورد شبهات المتصوفين.

ونسأل الله الرشاد والهدى وحسن الخاتمة، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) أيضًا ص ١٩٢

(٢) أيضًا ص ١١٤

(٣) فصوص الحكم فص حكمة نفسية في كلمة يونسية ص ١٦٩- ١٧٠

مصادر الكتاب ومراجعه

كتب الصوفية:

١ - الإبريز، لعبد العزيز الدباغ. ط مصر.

٢ - أحاسن المجالس، لأبي إسحاق إبراهيم. ط المكتبة السلفية. مكة المكرمة ١٣٩٠هـ.

٣ - أحمد بن مخلوف الشبابي. ط المكتبة الشبابية. الجزائر ١٩٧٩م.

٤ - أحوال وآثار فريد الدين مسعود كنج شكر «أردو». ط باكستان.

٥ - أحوال وأقوال الشيخ أبي الحسن الخرقاني (فارسي) الطبعة الثالثة ١٣٦٣هجري، قمري إيران.

٦ - أحوال أبدال، لمحمد عبد العزيز مزنكوي «أردو». ط باكستان.

٧ - إحياء علوم الدين للغزالي، ط دار القلم بيروت.

٨ - الأخلاق المتبولية، لعبد الوهاب الشعراني. ط مطبعة دار التراث العربي. القاهرة.

٩ - آداب الصوفية لنجم الدين كبرى (فارسي). ط كتاب فروشي زوار. إيران.

١٠ - أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة. القاهرة.

١١ - أسرار الأولياء ملفوظات فريد الدين. ط باكستان.

١٢ - أسرار نامه (فارسي) لعطار نيشابوري. ط باكستان.

١٣ - الإسراء لابن عربي. ط حيدر آباد دكن الهند ١٣٦٧هـ.

١٤ - الاسم الأعظم، للغزالي. ط مكتبة نصير. القاهرة.

١٥ - اصطلاحات الصوفية، لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر.

١٦ - الألواح العمادية للسهروردي، بتحقيق نجف قلي. ط مركز **تحقيقات فارسي** إيران وباكستان.

١٧ - الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل **الطريق من الشروط، لا** بن عربي بتحقيق محمد عبد الرحمن الكردي. ط **القاهرة.**

١٨ - الانتصار لطريق الصوفية الأخيار **لزمنمي بن محمد.** ط دار مرجان للطباعة. مصر.

١٩ - **الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي. الطبعة** الرابعة ١٩٨١م.

٢٠ - إنشاء الدوائر، **لابن عربي.** ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.

٢١ - أوراد الأحباب وفصوص الآداب، لأبي المفاخر يحيى الباخرزي. ط طهران ١٩٦٦م.

٢٢ - الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية، لعبد الوهاب الشعراني. ط دار إحياء التراث العربي. بغداد ١٩٨٤م.

٢٣ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لا بن عجيبة الحسني. ط مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.

٢٤ - أيها الولد للغزالي. ط دار الاعتصام. القاهرة.

٢٥ - آئينة شاه ناصر أولياء، لمحمد أنور بدخشاني. ط كراتشي. باكستان.

٢٦ - بايزيد الأنصاري، للدكتور ميرولي خان. ط مجمع البحوث الإسلامية. باكستان ١٣٩٦م.

٢٧ - البرهان المؤيد، لأحمد الرفاعي. ط القاهرة.

٢٨ - بيان الأحكام في السجادة والخرقة والأعلام، لعلي بن ميمون المغربي. مخطوط.

٢٩ - تأبيد الحقيقة الجلية، للسيوطي.

٣٠ - تاريخ مشائخ جشت «أردو» لخليق أحمد نظامي. ط باكستان.

٣١ - التجليات، لابن عربي. ط دكن الهند.

٣٢ - التدبيرات الإلهية، لابن عربي. ط ليدن ١٣٣٦هـ.

٣٣ - تذكرة الأولياء «أردو» لفريد الدين العطار. ط باكستان.

٣٤ - تذكرة أولياء باك وهند «أردو» للدكتور ظهور الحسن شارب. ط باكستان.
٣٥ - تذكرة أولياء بر صغير «أردو» لميرزا محمد اختر الدهلوي. ط باكستان.
٣٦ - تذكرة أولياء كرام، لصباح الدين عبد الرحمن «أردو». ط باكستان.
٣٧ - تذكرة صوفياء بلوجستان «أردو» للدكتور إنعام الحق كوثر. ط باكستان.
٣٨ - تذكرة صوفياء بنجاب «أردو» لإعجاز الحق قدوسي. ط باكستان.
٣٩ - تذكرة غوثية «أردو» لشاه كل حسن قادري. ط باكستان.
٤٠ - التراجُم، لابن عربي. ط دكن الهند.
٤١ - ترتيب السلوك للقشيري. ط المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية. إسلام أباد. باكستان.
٤٢ - ترتيب السلوك إلى ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي. ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.
٤٣ - ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي. ط المطبعة العامرية مصر ١٣٠١هـ.
٤٤ - تحقيق الأسفار الأربعة لحسن نوري. ط شيراز إيران.
٤٥ - التصوف في الإسلام لعرجون محمد الصادق، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٦٧م.
٤٦ - التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري لجواد المرابط. ط دار اليقظة، دمشق ١٩٦٦م.
٤٧ - التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر.
٤٨ - التصوف في تراث ابن تيمية للدكتور طبلاوي حمد سعد. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
٤٩ - التصوف الإسلامي الخالص للمنوفي. ط دار نهضة مصر.
٥٠ - تصوف إسلام (أردو). لعبد الماجد دريا آبادي. ط باكستان.
٥١ - التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي، الطبعة الثالثة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٠هـ.

٥٢ - التعريفات للجرجاني مخطوط.

٥٣ - تفسير ابن عربي. ط انتشارات ناصر خسرو، طهران.

٥٤ - تنبيه المغتربين لعبد الوهاب الشعراني. ط مصر.

٥٥ - تنبيه الغافلين لأبي الليث بن نصر محمد. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٣م.

٥٦ - ثلاث رسائل لشهاب الدين السهروردي. ط مركز تحقيقات إيران وباكستان.

٥٧ - جامع الأصول فى الأولياء لأحمد الكمشخانوي. ط المطبعة الذهبية طرابلس الشام ١٢٩٨م.

٥٨ - جامع كرامات الأولياء لابن عربي. ط دار صادر، بيروت.

٥٩ - جامي فارسي لعلي أصغر حكمت. ط انتشارات توس، إيران.

٦٠ - جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني. ط مؤسسة الحلبي، القاهرة.

٦١ - الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط.

٦٢ - الجواب والدرر للشعراني ط مصر.

٦٣ - الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن في التوْ والساعة، لعلي المرزوقي. ط مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٦٤ - جهل مجلس، لعلاء الدين سمناني بتصحيح عبد الرفيع حقيقت فارسي.

٦٥ - الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية. ط باكستان.

٦٦ - الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، لمحمد المصطفى حلمي. ط القاهرة ١٩٦٠م.

٦٧ - حضرات القدس فارسي، لبدر الدين سرهندي. ط لاهور ١٩٧١م.

٦٨ - حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى الطبعة الرابعة. المطبعة الوطنية، عمان ١٤٠١هـ.

٦٩ - حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردي.

٧٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني. ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠م.

٧١ - الحلاج لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر، القاهرة.

٧٢ - حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بهامش قوت القلوب. ط دار صادر، بيروت.
٧٣ - الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد للسيوطي، مخطوط.
٧٤ - ختم الولاية للحكيم الترمذي. ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
٧٥ - خزينة الأصفياء (أردو)، لمفتي غلام سرور. ط باكستان.
٧٦ - خزينة معرفت (أردو)، للصوفي محمد إبراهيم قصوري. ط باكستان.
٧٧ - درر الغواص على فتاوى سيدي على الخواص لعبد الوهاب الشعراني، بهامش الإبريز للدباغ. ط مصر.
٧٨ - الدر الثمين والمورد المعين لمحمد بن أحمد المالكي. ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م.
٧٩ - الدرر السنية في الطريقة التيجانية لمحمد سعد الرباطبي. ط مكتبة القاهرة.
٨٠ - دلائل الخيرات. ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦هـ.
٨١ - ديوان ابن عربي. ط مكتبة محمد ركابي الرشيدي، القاهرة.
٨٢ - ديوان ابن فارض. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ.
٨٣ - ديوان البرعي. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٨٤ - ديوان البوصيري لشرف الدين بوصيري. ط مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٨٥ - ديوان الحلاج، الطبعة الثانية، بغداد ١٤٠٤هـ.
٨٦ - ديوان منصور حلاج فارسي. ط انتشارات كتابخانه، سنائي، طهران.
٨٧ - ديوان فريد الدين عطار نيشابوري فارسي. ط كتابخانه، سنائي، طهران.
٨٨ - ذخائر الأعلاق لابن عربي. ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٨٩ - راحة القلوب ملفوظات فريد الدين كنج شكر (أردو). ، ط باكستان.
٩٠ - الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري. ط دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٤م.
٩١ - رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوي. ط مشهد، إيران.
٩٢ - الرستميات، فارسي، لأبي سعيد محمد بن الرستمي. ط مجمع البحوث الإسلامية، إسلام أباد، باكستان.

٩٣ - روح السنة وروح النفوس المطمئنة لأحمد بن إدريس. ط دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٩٤ - روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب. ط دار الفكر العربي.

٩٥ - زبدة الحقائق لعزيز الدين النسفي تعليق حق وردي ناصري. ط كتابخانه، طهوري، طهران.

٩٦ - ساعة مع العارفين، لسعيد الأعظمي. ط دار الاعتصام، القاهرة.

٩٧ - سبيل الأذكار والاعتبار لعبد الله باعلوي الحداد بهامش النصائح الدينية للمؤلف المذكور. ط مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٩٨ - سبيل الجنة في التربية بالطريقة القادرية لمحمد ناصر. ط الهند.

٩٩ - سر سبردكانه، فارسي، لمحمد علي. ط كتابخانه، منوشري، إيران.

١٠٠ - سيدي أحمد الدردير، للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٠١ - السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة، للدكتور أحمد صبحي منصور الطبعة الأولى، مطبعة الدعوة الإسلامية، مصر.

١٠٢ - السيد البدوي محمد حجاب. ط مؤسسة سعيد للطباعة، مصر.

١٠٣ - سير الأقطاب، (أردو)، لعبد الرحيم. ط باكستان.

١٠٤ - سير الأولياء، لمحمد بن المبارك علوي. ط مؤسسة انتشارات إسلامي، باكستان.

١٠٥ - سير العارفين، (أردو)، لحامد بن فضل الله جمالي. ط لاهور، باكستان.

١٠٦ - شجرة الكون لابن عربي. ط باكستان ١٩٨٠م.

١٠٧ - شرح الحجب والأستار لروزبهان أبي محمد. ط حيدر أباد الهند ١٣٣٣هـ.

١٠٨ - شرح الزيارة للجماعة الكبيرة، لأحمد بن زين الدين، مطبع السادات، إيران.

١٠٩ - شرح المسائل الروحانية لابن عربي، ضمن كتاب ختم الولاية للحكيم الترمذي.

١١٠ - شرح مقدمه التائية لداود القيصري، مخطوط.
١١١ - شرح شطحيات فارسي، لروزبهان بقلي شيرازي، بتصحيح هنري كربين. ط طهران.
١١٢ - شرح الفصوص للقيصري، مخطوط.
١١٣ - شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسي، مخطوط.
١١٤ - الشريعة والحقيقة للدكتور حسن محمد شرقاوي. ط القاهرة.
١١٥ - شموس الأنوار لابن الحاج التلمساني. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١١٦ - شهاب الدين السهروردي، للدكتور إبراهيم مدكور. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١٧ - صوم القلب لعمار البدليسي، مخطوط.
١١٨ - الصلاة الكبرى لابن عربي، مخطوط.
١١٩ - الطبقات للسلمي. ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.
١٢٠ - طبقات الأولياء لابن الملقن. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٣هـ.
١٢١ - الطبقات الكبرى للشعراني. ط دار العلم للجميع. ط المطبعة العامرية العثمانية ١٣٠٥هـ، القاهرة.
١٢٢ - الطبقات الصغرى للشعراني. ط مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
١٢٣ - الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي. ط المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
١٢٤ - الطريق إلى الله لأبي سعيد الخراز. ط دار الكتب الحديثة، مصر.
١٢٥ - طريق النجاة، فارسي، لكريم خان، مطبع السادات، إيران ١٣٩٦هـ.
١٢٦ - «طهارة القلوب» لعبد العزير الدريني. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١٢٧ - الطواسين للحلاج. ط المعارف، باكستان.
١٢٨ - عبد الله الأنصاري الهروي، للدكتور محمد سعيد عبد المجيد. ط دار الكتب الحديثة، مصر.
١٢٩ - عبد الله خويشكي قصوري، (أردو). لمحمد إقبال مجددي. ط باكستان

١٣٠ - عبد الرحمن الثعالبي والتصوف لعبد الرزاق قسوم. ط الشركة الوطنية، الجزائر.
١٣١ - العظة والاعتبار في حياة السيد البدوي. لأحمد محمد الحجاب. ط القاهرة.
١٣٢ - العروة للسمناني، مخطوط.
١٣٣ - عقلة المستوفز لابن عربي. ط مطبعة بريل، ليدن ١٣٣٦هـ.
١٣٤ - عقيدة أهل المعاني في شرح قصيدة بدء الأمالي، لأبي الحسن محمد الدوسي. ط مكتبة أيشيق، تركيا.
١٣٥ - العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي. ط دار الكندي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
١٣٦ - العلوم الإلهية والأسرار الربانية لابن عربي. ط مكتبة نصير، القاهرة.
١٣٧ - عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ.
١٣٨ - غزليات شمس تبريزي فارسي. ط طهران.
١٣٩ - غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي. ط دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٠م.
١٤٠ - الفتح الرباني والفيض الرحماني، لعبد القادر الجيلاني. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١٤١ - الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين، لأبي الظفر القادري الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.
١٤٢ - الفتح الرباني لعبد العزيز نابلوسي. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠م.
١٤٣ - الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني. ط عالم الفكر، القاهرة.
١٤٤ - الفتوحات المحمدية لمبارك علي. ط باكستان ١٩٨١م.
١٤٥ - الفتوحات المكية لابن عربي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ.
٤ فتوحات نامه لعبد الرزاق كاشاني، فارسي. ط طهران.
١٤٦ - فرائد اللآلئ من رسائل الغزالي، بتحقيق محمد بخيت. ط فرج الله ذكي الكردي، مصر ١٣٤٤هـ.

١٤٧ - فرحة الناظرين لمحمد أسلم (أردو).. ط باكستان.
١٤٨ - فصوص الحكم لابن عربي، بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفي. ط دار الكردي، مصر ١٣٤٤هـ.
١٤٩ - فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين كبرى.
١٥٠ - فوائد الفوائد ملفوظات خواجه نظام الدين أولياء. (أردو).. ط أوقاف، لاهور، باكستان.
١٥١ - الفوائد في الصلات والعوائد لشهاب الدين الشرجي اليمني. ط مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٨هـ.
١٥٢ - فوائد العز الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وخواصها لمحمد الشبراوي الشافعي بهامش الفوائد لشهاب الدين الشرجي. ط مصطفى البابي الحلبي، مصر.
١٥٣ - قرة العيون ومفرّح القلب المحزون، لأبي الليث السمرقندي. دار إحياء الكتب العربية، مصر.
١٥٤ - القصد الشاذلي، مخطوط.
١٥٥ - قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد أبي الهدى الرفاعي. ط بيروت ١٤٠٠هـ.
١٥٦ - «قواعد التصوف»، لأحمد بن زروق. ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٦م.
١٥٧ - قوانين حكم الإشراق لأبي المواهب الشاذلي. ط مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
١٥٨ - قوت القلوب لأبي طالب المكي. ط دار صادر، بيروت.
١٥٩ - كتاب الاستبصار لأهل الأذكار، لأحمد محمود زين الدين الحسيني. ط مطبعة الأنوار، القاهرة.
١٦٠ - كتاب البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر، لمحمود رجب حلمي.
١٦١ - كتاب المخاطبات، لمحمد بن عبد الجبار النفزي. ط مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٦٢ - كتاب المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفري. ط مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٦٣ - كتاب الحجات، لأحمد بن الحاج العياشي. ط ١٣٨١هـ ١٩٣٤م.

١٦٤ - كشف الحقائق للنسفي، بتصحيح الدكتور أحمد مهدوي، فارسي. ط طهران ١٣٥٩هـ.

١٦٥ - كشف الغمة عن جميع الأئمة للشعراني. ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

١٦٦ - كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية. ط دار النهضة العربية، بيروت.

١٦٧ - كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للبكري المكي الدمياطي. ط دار الكتب العربية الكبرى، مصر ١٣٢٥هـ.

١٦٨ - كلزار أبرار لمحمد غوثي شطاري، (أردو). ط باكستان.

١٦٩ - كلزار صوفياء (أردو) لغام مقري. ط باكستان.

١٧٠ - كلمة الحق لعبد الرحمن، (أردو). . ط لكنوء الهند ١٨٨٣م.

١٧١ - كليات وديوان شمس تبريزي، فارسي لجلال الدين محمد بلخي. ط نشر طلوع إيران.

١٧٢ - الكندي وآراؤه الفلسفية، للدكتور عبد الرحمن شاه ولي. ط مجمع البحوث العلمية، باكستان.

١٧٣ - كنجيه كوهر فارسي، لملا أحمدي قاضي. ط مطبعة الحوادث، إيران.

١٧٤ - لطائف المنن والأخلاق، لعبد الوهاب الشعراني. ط القاهرة.

١٧٥ - لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري. ط مطبعة حسان، القاهرة.

١٧٦ - اللطف الداني، لعبد الوهاب محمد أمين. ط القاهرة.

١٧٧ - اللمع للسراج الطوسي. ط دار الكتب الحديثة، مصر.

١٧٨ - اللمحات لشهاب الدين السهروردي. ط مركز تحقيقات، فارسي، إيران، وباكستان ١٩٨٤م.

١٧٩ - اللمعات لفخر الدين عراقي فارسي. ط إيران.

١٨٠ - **لوائح لعبد الرحمن جامي**، فارسي. ط **لاهور، باكستان**.

١٨١ - المثنوي العربي النوري **لسعيد** النوري. ط **مطبعة الزهراء، بغداد**.

١٨٢ - **المجالس** الرفاعية **لأحمد الرفاعي**. ط مطبعة الإرشاد، بغداد.

١٨٣ - **مجموع** مخطوط بالفاتيكان **عربي رقم** ١٢٤٢.

١٨٤ - **مجموعة في** الحكمة المشرقية، **لشهاب الدين** السهروردي.

١٨٥ - المحبة **والشوق للغزالي**. ط مصطفى **البابي الحلبي، القاهرة**.

١٨٦ - محاسن المجالس **لابن العريف**. ط باريس ١٩٣٣م.

١٨٧ - محمد سليمان تونسوي **(أردو)**.، للدكتور محمد حسن للهي. ط باكستان.

١٨٨ - محيي الدين بن عربي، **فارسي**، للدكتور محسن جهانغيري، **الطبعة الثانية**، طهران.

١٨٩ - محيي الدين بن عربي لطه عبد الباقي سرور. ط القاهرة.

١٩٠ - مختصر تذكرة القرطبي لعبد الوهاب الشعراني. ط دار إحياء الكتب العربية، مصر.

١٩١ - المدرسة الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٩٢ - مدينة الأولياء، (أردو).، لمحمد دين كليم قادري. ط باكستان.

١٩٣ - مشتهى الخارف الجاني، لمحمد الخضر الشنقيطي.

١٩٤ - مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، لأحمد بن حسن الرصاص. ط دار الاعتصام، القاهرة.

١٩٥ - مطالع المسرات لمحمد المهدي بن أحمد. ط **مصطفى البابي الحلبي** ١٩٧٠م.

١٩٦ - معارج المقربين، لمحمد ماضي أبي العزائم. دار الثقافة العربية للطباعة، مصر

١٩٧ - المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التُّسْتَري. ط دار الإنسان، القاهرة.

١٩٨ - المقدمات للفرغاني. مخطوط

١٩٩ - مقصود المؤمنين لبايزيد الأنصاري. ط مجمع البحوث الإسلامية، إسلام أباد، باكستان.
٢٠٠ - «مكاشفة القلوب» للغزالي. ط الشعب القاهرة.
٢٠١ - مناقب العارفين للأفلاكي، فارسي. ط دنياء كتاب، الطبعة الثانية ١٣٦٢ هجري قمري.
٢٠٢ - مناقب الصوفية لقطب الدين المرزي. ط طهران.
٢٠٣ - مناقب الصوفية فارسي لأبي المظفر المروزي، باهتمام محمد تقي وإيراج أخشار. ط طهران.
٢٠٤ - مناقب الصوفية فارسي، لمنصور بن أردشير. ط إيران.
٢٠٥ - مناقب العرافين لشمس الدين الأفلاكي فارسي، ط دنياء كتاب، إيران.
٢٠٦ - من أعلام التصوف الإسلامي، لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر.
٢٠٧ - المنتخبات من مكتوبات المجدد فارسي. مكتبة أيشيق، تركيا.
٢٠٨ - المنقذ من الضلال، الغزالي. ط دار الكتاب اللبناني. بيروت.
٢٠٩ - المنقذ من الضلال، مجموعة مؤلفات عبد الحليم محمود. ط دار الكتاب اللبناني. بيروت.
٢١٠ - إيران.
٢١١ - منبع أصول الحكمة، لأبي العباس أحمد بن علي البوني. ط مصطفى البابي الحلبي.
٢١٢ - منح المنة، لعبد الوهاب الشعراني. ط مكتبة عالم الفكر. القاهرة ١٣٩٩هـ.
٢١٣ - منطق الطير، لفريد الدين العطار. ط دار الأندلس. بيروت.
٢١٤ - منهاج العابدين، للغزالي. ط مصطفى البابي الحلبي. مصر.
٢١٥ - المنهج الموصل إلى الطريقة الأنهج، لمصطفى الصادقي. مخطوط.
٢١٦ - المواقف الإلهية لابن قضيب البان، ضمن كتاب الإنسان الكامل. للبدوي. ط الكويت.
٢١٧ - مولانا رومي، لبشير محمود اختر «أردو» ط إدارة ثقافة إسلامية. باكستان.

٢١٨ - مواقع النجوم، لابن عربي. ط مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.
٢١٩ - مهر منير لمهر علي شاه (أردو). ط باكستان.
٢٢٠ - نزهة المجالس، لعبد الرحمن الصفوري. ط مكتبة الشرق الجديد. بغداد. العراق.
٢٢١ - نساء فاضلات، لعبد البديع صفر. ط دار الاعتصام. القاهرة.
٢٢٢ - نسيم الأنس، لزين الدين بن رجب. مخطوط.
٢٢٣ - نشاط التصوف الإسلامي، لإبراهيم بسيوني. ط دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩م.
٢٢٤ - النصائح الدينية، لعبد الله باعلوي الحداد. مطبعة دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
٢٢٥ - نص النصوص، لحيدر الآملي. مخطوط.
٢٢٦ - النفحة العلية في أوراد الشاذلية، لعبد القادر زكي. ط مكتبة المتنبي. القاهرة.
٢٢٧ - نفحة الروح وتحفة الفتوح، لمؤيد الدين جندي. ط طهران ١٣٦٢هجري قمري.
٢٢٨ - نفحات الأنس (فارسي)، لعبد الرحمن جامي. ط إيران ١٣٣٧هـ.
٢٢٩ - الوصية الكبرى، لعبد السلام الأسمر الفيتوري. طرابلس. ليبيا ١٩٧٦م.
٢٣٠ - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، لعبد الوهاب الشعراني. ط مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٧٨هـ.

كتب غير الصوفية من المسلمين:

٢٣١ - ابن سبعين وفلسفته الصوفية، للدكتور أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني. ط دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٧٣م.
٢٣٢ - أبو نعيم وكتابه الحلية، لمحمد لطفي الصباغ. ط دار الاعتصام. القاهرة.
٢٣٣ - إتحاف السادة، للزبيدي. ط المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٧٤م.
٢٣٤ - أخبار الحكماء، للقفطي.
٢٣٥ - أديان الهند الكبرى، للشبلي. ط القاهرة ١٩٦٤م.

٢٣٦ - أساس البلاغة، للزمخشري. ط إحياء المعاجم العربية.

٢٣٧ - أضواء على التصوف، للدكتور طلعت غنام. ط عالم الكتب. القاهرة.

٢٣٨ - الاعتصام، للشاطبي. ط مطبعة السعادة مصر.

٢٣٩ - الأنساب، للسمعاني. ط محمد أمين دمج بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٢٤٠ - الإنسان الكامل في الإسلام، للدكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات. الكويت.

٢٤١ - البداية والنهاية، لابن كثير. ط بيروت.

٢٤٢ - بين التصوف والحياة، لعبد الباري الندوي. ط دار الفتح. دمشق ١٩٦٣م.

٢٤٣ - بوارق الأسماع في إكفار من يحل السماع (أردو). لمير عالم. ط مطبع منشي فخر الدين. ط باكستان.

٢٤٤ - تاريخ التصوف الإسلامي، للدكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات. الكويت ١٩٧٨م.

٢٤٥ - تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غني، ترجمة عربية لصادق نشأت. ط مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

٢٤٦ - تاريخ التصوف، للدكتور محمد إقبال (أردو). ط لاهور. باكستان.

٢٤٧ - التبصر في الدين، للإسفراييني. ط القاهرة.

٢٤٨ - تذكرة الحفاظ، للذهبي. ط القاهرة.

٢٤٩ - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، للدكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات. الكويت.

٢٥٠ - التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، للدكتور زكي مبارك. ط دار الجيل. لبنان.

٢٥١ - التصوف بين الحق والخلق، لمحمد فهر شفقة. ط دار السلفية. الكويت.

٢٥٢ - التصوف بين الدين والفلسفة، للدكتور إبراهيم هلال. ط دار النهضة العربية. القاهرة.

٢٥٣ - التصوف في تهامة، لمحمد بن حسد العقيلي. ط دار البلاد. جدة.

٢٥٤ - التنبيه والرد للملطي، تحقيق محمد زاهد الكوثري. ط مصر ١٣٦٠هـ.

٢٥٥ - تلبيس إبليس، لابن الجوزي. ط دار الوعي. بيروت أيضًا. ط دار القلم. بيروت.

٢٥٦ - تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني. ط بيروت.

٢٥٧ - جستجو در تصوف إيران (فارسي)، للدكتور عبد المحسن زرين كوب. ط مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران ١٣٦٣هـ.

٢٥٨ - حادي الأرواح، لابن قيم الجوزية. ط دار القلم. بيروت. لبنان.

٢٥٩ - الخضر في الفكر الصوفي، لعبد الرحمن عبد الخالق. ط الدار السلفية. الكويت.

٢٦٠ - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الاثني عشرية، للسيد محب الدين الخطيب.

٢٦١ - خلاصة الأثر، للمحبي.

٢٦٢ - دائرة المعارف الإسلامية (أردو). ط جامعة بنجاب. لاهور. باكستان.

٢٦٣ - دراسات في التصوف الإسلامي، للدكتور محمد جلال شرف. ط دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨٠م.

٢٦٤ - دنباله جستجو در تصوف (فارسي)، للدكتور عبد الحسين زرين كوب. ط إيران.

٢٦٥ - ذم ما عليه مدعو التصوف، لأبي محمد موفق الدين. ط المكتب الإسلامي. بيروت.

٢٦٦ - روضة المحبين، لابن قيم الجوزية. ط دار الفكر العلمية. بيروت.

٢٦٧ - سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي. ط بيروت.

٢٦٨ - الشيعة وأهل البيت، للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة. لاهور. باكستان.

٢٦٩ - الشيعة والسنة، للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة. لاهور. باكستان.

٢٧٠ - صحيح البخاري.

٢٧١ - صحيح مسلم.

٢٧٢ - الصوفية.. الوجه الآخر، للدكتور محمد جميل غازي. ط القاهرة.

٢٧٣ - الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط دار الفتح. القاهرة.

٢٧٤ - الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، لعبد المجيد محمد. ط القاهرة.
٢٧٥ - الصوفية في نظر الإسلام، لسميع عاطف الزين. ط دار الكتاب اللبناني. بيروت.
٢٧٦ - ضحى الإسلام، لأحمد أمين. ط القاهرة ١٩٥٢م.
٢٧٧ - الطبقات، لابن سعد. ط بيروت.
٢٧٨ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية. ط إدارة ترجمان السنة. لاهور. باكستان.
٢٧٩ - الفِصَلُ في المِلَل والأهواء والنِّحَل، للحافظ ابن حزم. ط بيروت.
٢٨٠ - فضائح الباطنية، للغزالي. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية. الكويت.
٢٨١ - فلسفة الهند القديمة، لمحمد عبد السلام. ط الهند الرامبوري.
٢٨٢ - الفلسفة الصوفية في الإسلام، للدكتور عبد القادر محمود. ط دار الفكر العربي. القاهرة.
٢٨٣ - القاديانية، للمؤلف. ط باكستان.
٢٨٤ - القاموس للفيروزآبادي. ط مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
٢٨٥ - القول المنبي في تكفير ابن عربي، للنحاوي. مخطوط.
٢٨٦ - لسان العرب، لابن منظور الإفريقي. ط دار صادر بيروت.
٢٨٧ - مجموعة الرسائل، لابن تيمية. ط دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
٢٨٨ - مدخل إلى التصوف الإسلامي، لأبي الوفاء الغنيمي. ط مصر.
٢٨٩ - المسند، للإمام أحمد.
٢٩٠ - المقدمة، لابن خلدون. ط مطبعة مصطفى محمد. مصر.
٢٩١ - الملامتية وأهل الفتوة والصوفية، لأبي العلاء العفيفي. ط دار أحياء الكتب العربية. مصر.
٢٩٢ - منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط لاهور. باكستان.
٢٩٣ - المِلَل والنِّحَل، للشهرستاني، بهامش الفِصَل، لابن حزم. ط بيروت.
٢٩٤ - الموطأ، للإمام مالك.
٢٩٥ - نشأة الفلسفة الصوفية، للدكتور عرفان عبد الحميد. ط المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٧٤م.

٢٩٦ - النجوم الزاهرة، للتغري البردي الأتابكي. ط وزارة الثقافة. مصر.
٢٩٧ - وفيات الأعيان، لابن خلكان. ط بيروت.
٢٩٨ - الوافي بالوفيات.
٢٩٩ - ولاية الله والطريق إليها، للإمام الشوكاني. ط القاهرة.
٣٠٠ - هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل. ط دار الكتب العلمية.

كتب الشيعة والإسماعيلية:

٣٠١ - أجزاء عن العقائد الإسماعيلية، للداعي إبراهيم. ط أمبرين نيشنل. باريس ١٧٨٤م.
٣٠٢ - أربعة نصوص إسماعيلية، للداعي الإسماعيلي المجهول، بتحقيق ماسينيون. ط باريس.
٣٠٣ - أساس التأويل، للقاضي الإسماعيلي النعمان. ط دار الثقافة. بيروت.
٣٠٤ - الأصول من الكافي للكُلِينِيِّ. ط دار الكتب الإسلامية. طهران ١٣٨٨ هجري وقمري.
٣٠٥ - أعلام النبوة، لأبي حاتم الرازي، تحقيق صلاة الصادي. ط إيران ١٣٩٧ هجري قمري.
٣٠٦ - أعيان الشيعة، لمحسن الأمين. ط دار التعارف للمطبوعات. بيروت.
٣٠٧ - اعتقادات الصدوق، لابن بابويه القمي. ط إيران.
٣٠٨ - الافتخار، للداعي أبي يعقوب السجستاني. ط بيروت.
٣٠٩ - الأمالي، للمفيد. ط قم إيران.
٣١٠ - بحار الأنوار، للمجلسي. ط إيران.
٣١١ - البرهان في تفسير القرآن، لهاشم البحراني. ط إيران.
٣١٢ - بصائر الدرجات الكبرى، للصفار. ط منشورات الأعلمي. طهران ١٤٠٤هـ.
٣١٣ - بيت الدعوة الإسماعيلية. مخطوط.
٣١٤ - بين التصوف والتشيع، لهاشم معروف حسيني. ط دار القلم. بيروت.
٣١٥ - تلخيص الشافي، للطوسي. ط قم إيران.
٣١٦ - تنقيح المقال، للمامقاني. ط طهران.

٣١٧ - حق اليقين (فارسي)، للمجلسي. ط إيران.

٣١٨ - حديقة الشيعة (فارسي)، لأحمد بن محمد الأردبيلي. ط طهران.

٣١٩ - الخصال، لابن بابويه القمي. ط إيران.

٣٢٠ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآقا بزرك الطهراني. ط إيران.

٣٢١ - الرجال، للحلي. ط طهران.

٣٢٢ - رجال الطوسي. ط نجف العراق.

٣٢٣ - رجال الكشي. ط كربلاء.

٣٢٤ - الزهد، للحسين بن سعيد الأهوازي. ط إيران.

٣٢٥ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد. ط إيران.

٣٢٦ - شرح اعتقادات الصدوق. ط إيران.

٣٢٧ - الصلة بين التصوف والتشيع، للدكتور كامل مصطفى الشيبي. ط بيروت ١٩٨٢م.

٣٢٨ - طرائق الحقائق، للحاج معصوم علي شاه. ط إيران.

٣٢٩ - عيون أخبار الرضا، لابن بابويه القمي. ط إيران.

٣٣٠ - فرق الشيعة، للنوبختي. ط المطبعة الحيدرية. نجف. العراق.

٣٣١ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة. للحر العاملي. ط مكتبة بصيرتي. قم. إيران.

٣٣٢ - الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، للدكتور كامل مصطفى الشيبي. مكتبة النهضة. بغداد.

٣٣٣ - كمال الدين وتمام النعمة، لابن بابويه القمي. ط دار الكتب الإسلامية. طهران ١٣٩٥هـ.

٣٣٤ - مشارق أنوار اليقين، للحافظ رجب البرسي. ط دار الأندلس. بيروت.

٣٣٥ - المقالات والفرق، لابن عبد الله الأشعري القمي. ط طهران.

٣٣٦ - منهج المقال للإسترابادي. ط إيران.

٣٣٧ - منهج الكرامة، للحلي. ط باكستان.

٣٣٨ - النصرة، للسجستاني. ط دار الثقافة. بيروت.

٣٣٩ - نهج البلاغة المنسوب إلى علي بن أبي طالب ﷺ. بتحقيق صبحي صالح. بيروت.

٣٤٠ - هفت شريف، للمفضل الجعفي. تحقيق مصطفى غالب الإسماعيلي. ط بيروت.
٣٤١ - ثلاث رسائل في الحكمة الإسلامية، لمحمد كاظم عصار. ط المكتبة المرتضوية. إيران.

كتب غير المسلمين:

٣٤٢ - إنجيل.
٣٤٣ - آئين جوانمردي (فارسي)، لهنري كربين. ط إيران.
٣٤٤ - ابن عربي حياته ومذهبه، لآسين بلاثيوس، ترجمة عربية دكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات. الكويت.
٣٤٥ - التاريخ العام للتصوف ومعالمه، لميركس.
٣٤٦ - تاريخ العرب، لحتي.
٣٤٧ - التصوف الإسلامي وتاريخه، لنيكلسون. ترجمة عربية للدكتور أبي الوفاء العفيفي. ط القاهرة.
٣٤٨ - التصوف، لماسينيون. ط دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٨٤م.
٣٤٩ - العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدزيهر.
٣٥٠ - فلسفة اليوجا، ليوجي راماشاراكه. ط القاهرة.
٣٥١ - الفكر العربي ومكانته في التاريخ، للمستشرق أوليري، ترجمة تمام حسان. ط القاهرة.
٣٥٢ - قصة الحضارة، لول ديورانت، ترجمة عربية لمحمد بدران. ط القاهرة ١٩٦٤م.
٣٥٣ - للت دستب كتاب بوذي مقدس. ط الهند.
٣٥٤ - هذه هي الوجودية، لبول فولكييه.

❁ ❁ ❁

الفهرس